

Abstrak

Kajian ini bertujuan untuk menjelaskan pemahaman tentang maksud kejayaan di dalam al-Quranul Karim dan menjelaskan kedudukan dan kelebihanannya. Penulis telah membahagikan kajiannya kepada pendahuluan, lima fasa, dan penutup. Penulis telah membincangkan di dalam pendahuluannya tentang kepentingan ilmu khususnya ilmu Ulum Quran dan Tafsir. Di dalam fasa pertama, penulis membincangkan maksud kejayaan dalam konteks al-Quran dan perkataan lawannya. Setelah itu, penulis mengaitkannya dengan perbuatan akhlak yang mulia. Turut disertakan bersama hadis nabawi yang berkaitan dengan kejayaan. Fasa yang kedua, penulis membincangkan perkataan-perkataan yang hampir maksud dengan kejayaan (al-falah) di dalam al-Quran. Ada tiga perkataan yang hampir maksud dengan al-falah iaitu al-fauz, an-nasr, dan an-najah. Dijelaskan hubungan ketiga-tiganya dengan al-falah dan maksud setiap satunya. Pada fasa yang ketiga, dibincangkan sifat orang yang berjaya sebagaimana di dalam al-Quran. Ada enam sifat orang yang berjaya iaitu beriman kepada Allah, cinta kepada Rasulullah saw dan pengikutnya, menyuruh yang baik dan mencegah yang mungkar, berjihad pada jalan Allah, bersabar, dan sentiasa mengingati Allah swt. Semuanya dijelaskan dengan terperinci dengan persembahan yang menarik. Seterusnya pada fasa yang keempat, penulis menyebut beberapa penghadang yang menghalang seseorang dari mencapai kejayaan. Ada tiga penghadang yang besar iaitu kekafiran, kezaliman, dan perbuatan dosa besar. Setelah itu di dalam fasa yang kelima dan terakhir, penulis mendatangkan beberapa contoh orang yang telah berjaya. Penulis membawa secara ringkas contoh dari para sahabat seperti Abu Bakar as-Siddiq r.a, Umar al-Khattab r.a, dan Uthman al-Affan r.a. Turut didatangkan kisah kaum Ansar r.a dan dijelaskan kejayaan mereka di dalam membantu Islam dan menyebarkan dakwahnya. Penulis menamatkan kajiannya dengan penutup dan disertakan beberapa noktah penting dalam kajiannya.

Abstract

This study aims to illustrate the concept of "success" in the Holy Qura'an, and to highlight its advantages and status. The study consists of introduction, five chapters and conclusion. The introduction provides a discussion on the importance of the holy Qura'anic science, especially the interpretation of Qura'an (*Tafseer*). In the first chapter the researcher presented the meaning of "success" in the holy Qura'an, its antonyms, and its relation with noble manners. The researcher also mentioned the Prophets Hadiths talking about "success". In the second chapter the researcher discussed the synonyms of the word "success" which are found in the holy Qura'an such as: winning, victory, and safety. He also demonstrated the relation between these words and the word success. In the third chapter the researcher detailed six characteristics of the successful believers stated in the holy Qura'an: belief (faith) in Allah swt, love of prophet Mohammed PBUH and his companions, promotion of virtue and prevention of vice, fight (*Jihad*) for the sake of Allah swt, patience, and praise and glorification of Allah swt. Some of the challenges or factors that prevent achieving "success" such as disbelief, injustice, and major sins were presented in the fourth chapter. In the last chapter the researcher briefly showed examples of successful figures in the Islamic history such as: Abu Baker Assidiq, Omer Bin Al-Khattab, Othman Bin Affan (May Allah swt be pleased with them). In addition, aspects of success in al-Ansari life and their role in the spread of Islam were also presented. In the end, the researcher summarized the key points of the research.

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح مفهوم الفلاح في القرآن الكريم وإبراز فضله ومكانته، حيث قسم الباحث البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

وتتناول في الفصل الأول معنى الفلاح في القرآن الكريم وأضداده في المعنى، وعرّج على علاقته بمكارم الأخلاق، وذكر أبرز الأحاديث النبوية التي تكلمت عن موضوع الفلاح.

أما في الفصل الثاني فتناول الباحث الألفاظ المشابهة للفلاح في القرآن الكريم وهي ثلاثة ألفاظ: الفوز والنصر والنجاة، وذكر العلاقة بينها وبين الفلاح مبيناً مفهوم كل منها.

أما الفصل الثالث فتناول فيه الباحث صفات المفلحين في القرآن الكريم وهي ست صفات: أولها: الإيمان بالله عز وجل، وثانيها: محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه، وثالثها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورابعها: الجهاد في سبيل الله، وخامسها: الصبر، وسادسها: ذكر الله عز وجل، وقد ذكرها بشي من التفصيل والشرح غير المؤدي إلى الملل.

وفي الفصل الرابع ذكر الباحث أبرز الموانع التي تحول دون الفلاح وهي ثلاثة: الكفر والظلم والكبائر.

أما الفصل الخامس والأخير فقد ذكر الباحث نماذج من المفلحين ذكر فيه الباحث نبذة قصيرة عن سادتنا: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعثمان بن عفان رضي الله عنه، بالإضافة إلى ذكر نبذة عن الأنصار رضوان الله عليهم مبينا جوانب فلاحهم ودورهم في نصرته الإسلام والدعوة إليه.

ثم ختم الباحث بخاتمة ذكر فيها أبرز نقاط البحث.

إهداء

أهدي عملي هذا إلى والدي العزيز حفظه الله ورعاه الذي طالما حثني على طلب العلم والتعلم

وإلى والدي العزيزة أكرمها الله التي ما برحت تحثني على الخير وتدعوني إليه.

والى أخي الأكبر الحارث الذي لم يألُ جهداً في نصحي ومساعدتي.

وإلى إخوتي:

عبد الله وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن.

وإلى أخواتي أجمعين.

وإلى مشايخي وأساتذتي في كل مكان

أفري عملي فزراً

الشكر والتقدير

عملاً بأحكام الشريعة الإسلامية الغراء التي تحت على رد الجميل بالجميل والإحسان بالإحسان، لقوله صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" ¹ فإنني بعد شكر الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله، الذي أعاني على القيام بهذا العمل ، فإنني أقدم أسمى كلمات الشكر والعرفان إلى الفاضل الأستاذ الدكتور ذو الكفل محمد حاجي يعقوب حفظه الله، الذي تفضل بالإشراف على أطروحتي، وغمرني بوافر النصيح والإرشاد والتوجيه المستمر.

كما أقدم جزيل الشكر والتقدير إلى والدي الفاضل حفظه الله بما أمدني من عون ومساعدة كان لها الأثر البالغ بعد فضل الله تعالى في إتمام هذه الأطروحة.

والشكر موصول إلى كل من الدكتور: محمد كامل عبد الهادي (أبو عاصم) والدكتور محمد السيد (أبو العز) على ما قدماه لي من معلومات قيمة أعانتني على إتمام هذا العمل.

كما أقدم الشكر إلى كل من أعضاء لجنة التحكيم الدكتور عبد الرحمن حسين والدكتور مصطفى.

كما ولا يفوتني أن أقدم الشكر الوفير إلى جميع الأصدقاء الذين قدموا لي العون والمساعدة، وإلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل.

¹ - رواه الترمذي كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ج، ص، حديث رقم () وقال حديث حسن صحيح

المحتويات

الموضوع	الصفحة
Abstrak.....أ	
Abstract.....ب	
ملخص البحث.....أ	
إهداء.....د	
شكر وتقدير.....د	
المحتويات.....و	
المقدمة.....1	
فرضيات البحث.....2	
مشكلة البحث.....3	
أهداف البحث.....3	
الدراسات السابقة:.....4	
منهجية البحث.....7	
خطة البحث.....8	
الفصل الأول.....10	
المبحث الأول.....11	
تعريف الفلاح.....11	
المطلب الأول: تعريف الفلاح لغة:.....11	
المطلب الثاني: تعريف الفلاح اصطلاحاً:.....12	
المبحث الثاني.....15	
الفلاح وأصدادُه في المعنى.....15	
(الخُسْرَان).....15	
المبحث الثالث.....19	
العلاقة بين الفلاح ومكارم الأخلاق.....19	
المطلب الأول: الصدق.....20	
المطلب الثاني: الكرم.....23	
المبحث الرابع.....28	
دلالات ألفاظ الفلاح في القرآن الكريم.....28	
المبحث الخامس.....30	
الأحاديث الواردة في الفلاح.....30	

34	الفصل الثاني.....
34	الألفاظ المشابهة للفلاح في القرآن الكريم.....
36	المبحث الأول.....
36	الفوز.....
40	المبحث الثاني.....
40	النجاة.....
43	المبحث الرابع.....
43	النصر.....
47	الفصل الثالث: صفات المفليحين.....
48	المبحث الأول.....
48	الإيمان بالله عز وجل.....
48	المطلب الأول: في قوله تعالى.....
49	المطلب الثاني: معنى الإيمان.....
52	المطلب الثالث: أركان الإيمان.....
53	المطلب الرابع: معاني الإيمان في القرآن الكريم.....
54	المطلب الرابع: معاني الإيمان في القرآن الكريم.....
56	المطلب الخامس: صفات المؤمنين المفليحين.....
56	الصفة الأولى: الخشوع في الصلاة.....
59	الصفة الثانية: الإعراض عن اللغو.....
61	الصفة الثالثة: أداء الزكاة.....
66	الصفة الرابعة: حفظ الفرج.....
69	الصفة الخامسة: حفظ الأمانة والعهد.....
72	الصفة السادسة: المحافظة على الصلاة.....
77	المبحث الثاني.....
77	محبة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه.....
79	المطلب الأول: معنى محبة النبي صلى الله عليه وسلم.....
79	المطلب الثاني: دوافع محبة النبي صلى الله عليه وسلم.....
81	المطلب الثالث: مظاهر اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.....
85	المبحث الثالث.....
85	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
85	المطلب الأول: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
86	المطلب الثاني: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
88	المطلب الثالث: من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.....

89	المطلب الرابع: فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
91	المطلب الخامس: شروط وأركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
93	المطلب السادس: مخاطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
96	المبحث الرابع
96	الجهاد في سبيل الله
98	المطلب الأول: تعريف الجهاد وحكمه
100	المطلب الثاني: فضل الجهاد والمجاهدين
102	المطلب الثالث: أهداف الجهاد وغاياته
103	المطلب الرابع: مجالات الجهاد
106	المبحث الخامس
106	الصبر
106	المطلب الأول: معنى الصبر
107	المطلب الثاني: فضل الصبر
108	المطلب الثالث: حكم الصبر
109	المطلب الرابع: مجالات الصبر
111	المطلب الخامس: أنواع الصبر
112	المطلب السادس: فوائد الصبر
114	المبحث السادس
114	ذكر الله عز وجل
114	المطلب الأول: معنى الذكر
116	المطلب الثالث: فضل الذكر:
117	المطلب الرابع: منزلة الذكر
118	المطلب الخامس: هل للذكر حدود
121	الفصل الرابع
121	موانع الفلاح
122	المبحث الأول
122	الكُفر
122	المَطْلَبُ الأوَّلُ: مَعْنَى الكُفْرِ
124	المَطْلَبُ الثاني: أنواعُ الكُفْرِ
126	المطلبُ الثالث: صِفَاتُ الكَافِرِينَ
127	المطلبُ الرابع: مَعَانِي الكُفْرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
128	المَطْلَبُ الخامسُ: أركانُ الكُفْرِ
129	المَطْلَبُ السادسُ: أقسامُ الكُفَارِ

131	المطلب السابع: أضرار الكفر
133	المبحث الثاني
133	الظلم
133	المطلب الأول: معنى الظلم
134	المطلب الثاني: معاني الظلم في القرآن الكريم
135	المطلب الثالث: حكم الظلم
140	المطلب الرابع: أنواع الظلم
141	المطلب الخامس: المجالات التي يدخل فيها الظلم
142	المطلب السادس: أضرار الظلم وعواقبه
145	المبحث الثالث: الكبائر
	وفي هذا المبحث سأتكلم عن بعض الكبائر التي تمنع الإنسان من الفلاح في دنياه وأخراه وهي: شرب الخمر،
146	والسحر، وأكل الربا. المطلب الأول: شرب الخمر
147	المطلب الأول: شرب الخمر
147	الباب الأول: معنى شرب الخمر
147	الباب الثاني: حكم شرب الخمر
151	الباب الثالث: الحكمة من تحريم الخمر
152	الباب الرابع: أسباب انتشار الخمر
153	الباب الخامس: أضرار الخمر
154	الباب السادس: كيفية الوقاية من تعاطي الخمر
156	المطلب الثاني: السحر
156	الباب الأول: تعريف السحر
157	الباب الثاني: معاني السحر
159	الباب الثالث: حكم السحر
160	الباب الرابع: أقسام السحر
162	المطلب الثالث
162	الربا
162	الباب الأول: معنى الربا
163	الباب الثاني: أنواع الربا
164	الباب الثالث: حكم الربا
167	الباب الرابع: الحكمة في تحريم الربا
171	الباب الخامس: الفرق بين البيع والربا
174	الباب السادس: عقوبات آكل الربا
176	الفصل الخامس

176	نماذج من المفليحين
179	المطلب الأول
179	أبو بكر الصديق رضي الله عنه
179	أولاً: نسبه وكنيته ولقبه:
179	ثانياً: مناقبه:
181	ثالثاً: جوانب من فلاحه:
185	المطلب الثاني
185	الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه
185	أولاً: نسبه وكنيته ولقبه:
185	ثانياً: مولده ونشأته:
185	ثالثاً: إسلامه:
186	رابعاً: مناقبه وقصائله:
187	خامساً: جوانب من فلاحه:
189	سادساً: استشهاده رضي الله عنه
191	عثمان بن عفان رضي الله عنه
191	أولاً: نسبه وكنيته ولقبه رضي الله عنه:
195	ثالثاً: خلافته رضي الله عنه:
195	رابعاً: استشهاده رضي الله عنه:
196	المطلب الرابع
196	الأنصار رضي الله عنهم
197	أولاً: من هم الأنصار
198	ثانياً: الثؤاة الأولى
199	ثالثاً: فضل الأنصار
202	الخاتمة
209	فهرس الآيات
232	فهرس الأحاديث
237	المصادر والمراجع

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الغر الميامين وعلى من سار على نهجه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد.

فإنه إذا كان شرف العلم من شرف المعلوم فإن العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم هي أشرف العلوم وأفضلها، وخير الناس من تعلمها وعلمها مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"⁽²⁾.

وإن لعلم التفسير بين هذه العلوم شأنًا خاصاً ومرتبة عظيمة، إذ هو ذروة سنامها وأعلىها منزلة وأرفعها مرتبة، قال الشوكاني: (إن أشرف العلوم على الإطلاق وأولها بالفضيل على الاستحقاق وأرفعها قدرًا بالاتفاق هو علم التفسير لكلام القوي القدير إذا كان على الوجه المعتبر في الورود والصدر غير مشوب بشيء من التفسير بالرأي الذي هو من أعظم الخطر وهذه الأشرفية غنية عن البرهان)⁽³⁾.

وقد تباينت مناهج المفسرين واختلفت بحسب حاجة المسلمين واختلاف العصور والأمصار، وقد ورد في الأثر: (إن هذا القرآن مآدبة الله فتعلموا من مآدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعجب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة

² - أخرجه أبو عبيد : القاسم بن سلام، فضائل القرآن، (ص20 ، 38) دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، 1991م، تحقيق وتعليق وهي سليمان غاوجي، والشيباني: أحمد بن حنبل، المسند (1: 412، 413، 500) طبع المكتب الإسلامي، والبخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري (9: 74) كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، المطبعة السلفية، القاهرة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، والسجستاني: أبو داود سليمان بن الأشعث في سننه مع شرحها عون المعبود (4: 325) أبواب الوتر، باب في ثواب قراءة القرآن، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط2، 1388هـ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، والترمذي: محمد بن عيسى في سننه، (5: 173) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في تعلم القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت تحقيق إبراهيم عطوة، وابن ماجه: محمد بن يزيد في سننه (1: 76، 77) المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، والدرامي: عبد الله بن عبد الرحمن في سننه (2: 444) دار إحياء السنة النبوية، وابن الضريس: محمد بن أيوب، فضائل القرآن (ص39) تحقيق غزوة بدير، كلهم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

³ - الشوكاني: محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (1، 11، 12) دار الفكر، بيروت.

الرّد..⁽⁴⁾ من أجل ذلك يمت وجهي نحو ساحته وغصت في بحره لاصطياد جواهره ودرره، فألّزمت نفسي بدراسة موضوع من مواضيعه الشريفة، ورغم قصور بضاعتي وقلة حيلتي؛ لم يمنعني ذلك من الإقدام في هذا المقام.

فهذا موضوع قرآني مهم يتحدث عن الفلاح في القرآن الكريم، وهو نور من أنواره. نتحدث فيه عن الفلاح كما بيّن القرآن الكريم ووضح، يستنير به الحريصون على الفلاح في دنياهم وأخراهم، وقد بيّن القرآن سبيل الفلاح وطريقه وفصل لنا في صفات أهل هذه المترلة العظيمة التي جعلها القرآن غايةً ساميةً من غاياته الجليلة، ففي القرآن آيات كثيرة في سور شتى تلقي الضوء على مفردات هذا الموضوع وجزئياته مبينةً فضله وحكمه ولطائفه وأساره، وقد جاء هذا البحث ليتناول تلك المفردات بالبيان والتفصيل آملاً أن يكون هذا البحث نوراً وهدىً لمن يبغي الفلاح والنجاح في دنياه وأخراه .

فكلمة الفلاح التي وردت في القرآن أربعين مرة

وإني على ما بذلت من جهد وتحريّت من حق وبحث ونقبت لأعلم أن القصور من شأنّي والخطأ من طبعي وعذري أني لم آلُ جهداً ولم أدحر وسعاً وأرجو الله أن أكون وفقت وأصبت فيما كتبت وسمطرت، فإن كان ذلك فهو فضل الله يؤتيه من يشاء وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، وأسأل الله العفو والغفران.

فرضيات البحث

تبرز فرضيات هذا البحث من جوانب عدة منها:

1- القيمة العليا لموضوع الفلاح بوصفه أحد المواضيع المهمة لتجلية هدي القرآن الكريم.

2- الأهمية العظيمة والمكانة العلية لمترلة الفلاح بوصفها غاية جليلة من غايات القرآن الكريم وهدفاً سامياً من أهدافه العظيمة.

⁴ - النيسابوري: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب فضائل القرآن، باب أخبار فی فضائل القرآن جملة، ج741/1.

3- الأثر الذي يتركه هذا الموضوع في نفوس كثير من الناس الحريصين على النجاة والفوز في الدنيا والآخرة.

4- عدم وجود بحث متكامل يتناول هذا الموضوع من جميع جوانبه وجزئياته - على حد اطلاع الباحث.

مشكلة البحث

يسلط هذا البحث الضوء على مفهوم الفلاح في القرآن الكريم والطريق الذي يأخذ بيد المسلم إلى الفلاح في الدنيا والآخرة ويمكن صياغة المشكلة الأساسية للبحث وما يتفرع عنها في الأسئلة الآتية:

1. ما معنى الفلاح؟
2. وما العلاقة بينه وبين مكارم الأخلاق؟
3. ما أبرز الصفات التي يجب أن يتصف بها المسلم حتى يكون من المفلحين؟
4. ما الموانع التي تمنع المسلم من أن يكون من المفلحين؟
5. وهل هناك نماذج حية في تاريخنا الإسلامي اتصفت بصفات المفلحين؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى أمور عدة، ومن أهمها:

- 1- التعريف بمفهوم الفلاح والألفاظ المشابهة له.
- 2- بيان العلاقة بين الفلاح ومكارم الأخلاق.
- 3- إبراز فضيلة الفلاح في الدنيا والآخرة.
- 4- بيان صفات المفلحين للعمل بها وتمثلها وتطبيقها.
- 5- الكشف عن الموانع والعوائق التي تحول دون الفلاح.

6- إبراز جمال التفسير الموضوعي عبر دراسة مفهوم الفلاح بوصفه موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

رغم البحث الواسع الذي قام به الباحث، في كثير من الكتب والدراسات التي تختص بالتفسير الموضوعي والرسائل الجامعية والأبحاث، إلا أنه لم يجد بحثاً أو دراسة مستقلة تجمع شتات هذا الموضوع ومفرداته، وكل ما وجدته هو بعض تفاسير الآيات التي تتعلق بموضوع الفلاح أو مرادفاتها في القرآن الكريم من أمهات كتب التفسير المعروفة.

وجد الباحث بعض الكتب المنشورة التي ذكرت موضوع الفلاح ومرادفاته في المعنى مثل كتاب "من موضوعات سور القرآن الكريم" لعبد الحميد محمود ظهراز حيث بين فيه معنى فلاح المؤمنين وبيان حكمة الله عز وجل من خلقهم وهي أن يتشرفوا بعبادته وطاعته في الدنيا ليرحمهم في الآخرة بالخلود في فراديس جنته وبين أسباب فلاحهم والتي عدها في ستة أسباب، وهي:

1- الخشوع في الصلاة.

2- الإعراض عن اللغو.

3- الفاعلون للزكاة.

4- حفظ الفرج.

5- الراعون للأمانات والعهود.

6- الحفاظ على الصلاة.

ولا شك بأن هذه الدراسة مهمة في مجالها لكنها لم تتناول موضوع الفلاح بشكل عام وإنما اقتصر على ذكر أسباب الفلاح عبر آيات سورة "المؤمنون"، ولم يكن هدف الكاتب دراسة الفلاح وإنما تناول موضوعات عدة من القرآن الكريم كان أسباب الفلاح أحدها. أما في هذا البحث فسيتناول الباحث موضوع الفلاح بشكل تفصيلي يلم فيه شتاته ويجمع كل ما يتعلق به.

وفي كتاب لعبد الفتاح فيود وهو بعنوان " من هدي القرآن " ذكر فيه صفات المفلحين وما أعده الله عز وجل لهم من النعيم المقيم والدائم في الجنة، وموضحاً أن أهم صفة وأعلهاها هي الإيمان بالله عز وجل موضحاً معنى الإيمان وآراء العلماء فيه ثم ذكر صفات هؤلاء المؤمنين المفلحين شارحاً لها بالتفصيل.

وهذه الدراسة كسابقتها من حيث إنها اقتصرت على صفات المفلحين ولم تهتم بدراسة الفلاح دراسة شاملة؛ وإنما اقتصرت على جانب واحد وهو بيان صفات المفلحين في القرآن الكريم، وفي هذه الدراسة ستناول الباحث ما تناولته هذه الدراسة ويزيد عليها بحيث تتناول كل ما له علاقة بمفهوم الفلاح من صفات وموانع وغيرها.

وللشيخ أبو بكر الجزائري بحث بعنوان سبل الفلاح بين فيه أن من أهم سبل الفلاح تقوى الله عز وجل والجهاد في سبيله مبيناً فيه معنى التقوى وآثارها ومعنى الجهاد في سبيل الله وأنواعه وقد قسمه إلى قسمين هما: جهاد الشيطان وجهاد الأعداء.

والدراسة السابقة لم تتوسع في دراسة مفهوم الفلاح وإنما أبرزت دور الجهاد وما له من صلة مباشرة في فلاح الأمة في الدنيا والآخرة كما سنرى في الفصل الثالث إن شاء الله.

وفي بحث لأحمد بحر الأستاذ في الجامعة الإسلامية في غزة تحدث فيه عن مبشرات النصر والتمكين حيث أوضح فيه أن النصر والتمكين لهذا الدين مهما بذل أعداء الإسلام البذل والمكر والخبث وأوضح فيه مبشرات النصر في القرآن ومنها: أن الأمة الإسلامية فوق الأمم في الدنيا والآخرة. ومنها أن المؤمن هو الأعلى سنداً ومصدراً ومنها أن الله تعالى هو ولي الذين آمنوا وهو ناصرهم ومنها وعده عز وجل بإحباط كيد الكافرين ومكرهم. وموضحاً فيه أسباب النصر وصفات الفئة المنصورة.

وهذه الدراسة وإن لم تكن في مفهوم الفلاح فإنها كانت في أحد الألفاظ الشبيهة له، حيث إن النصر هو فلاح للمؤمنين في الدنيا فإن الله عز وجل وعد المؤمنين المجاهدين بالنصر أو الشهادة وإن كانت الشهادة فلاحاً للمؤمنين في الآخرة فإن النصر فلاح وعزة

لهم في الدنيا. لكن هذه الدراسة اقتصرت على أسباب النصر في الدنيا وفي هذا البحث سيتناول الباحث الفلاح من مفهومه الشامل وكل ما له صلة به من ألفاظ وردت في القرآن الكريم.

و لعلي محمد الصلابي كتاب بعنوان تبصرة المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم حيث بدأ الكتاب بتمهيد ومقدمة حول التمكين والنصر ومفهومهما وأنواعهما.

ذكر في الباب الأول وهو بعنوان أنواع التمكين في القرآن الكريم ذكر فيه عدداً من قصص السابقين من الأنبياء والمرسلين وربطها بواقعا واستخلص الدروس منها. والباب الثاني ذكر فيه شروط التمكين وأسبابه وبين أن الاستخلاف في الأرض والتمكين لدين الله عز وجل وذكر أن القرآن الكريم أشار بكل وضوح إلى شروط التمكين ولوازم الاستمرارية فيه.

وختم الكتاب بالباب الثالث وهو مراحل التمكين وأهدافه حيث أسهب الكاتب في مراحل التمكين وذكر بعد ذلك أهداف التمكين عبر قصة "ذو القرنين" في سورة الكهف، وختم بأن التمكين مطلوب لذاته ولإقامة شرع الله عز وجل في الأرض.

وهذه الدراسات قيمة وجديرة بالدراسة والاهتمام والمطالعة والاستفادة منها قدر الإمكان وإن كانت تقتصر على جانب واحد من مفهوم الفلاح ولم تكن أي منها شاملة لهذا المفهوم وتفاصيله.

منهجية البحث

منهجي في هذا البحث كما يأتي:

1. المنهج الاستقرائي: استخراج الآيات القرآنية التي وردت فيها مادة الفلاح ومشتقاتها وترتيبها ترتيباً موضوعياً مع ذكرها مرقمة وبيان سورها ثم تفسيرها، وكذلك استخراج الأفكار الرئيسية في الموضوع من كتب التفسير المتعددة.
2. المنهج الوصفي التحليلي: وذلك بالقيام بجمع المعلومات والحقائق عن مادة الفلاح وما يتعلق بها من ذكر لصفات المفلحين وموانع الفلاح وذكر نماذج من المفلحين، وكذلك تفسير الآيات التي وردت فيها مادة الفلاح، وما تقتضيه طبيعة هذا البحث.
3. المنهج الاستنباطي: استنباط واستخلاص صفات المفلحين وموانعه من الآيات التي وردت فيها مادة الفلاح.
4. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الرئيسة وذلك بعزوها إلى مواضعها والحكم عليها في بعض الأحيان.
5. التعامل مع النصوص بطريقة مثلى وذكر آراء العلماء والباحثين في الموضوع ومناقشة آرائهم وذكر الراجح منها.

خطة البحث

الفصل الأول

المبحث الأول: معنى الفلاح لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الفلاح وأضداده في المعنى.

المبحث الثالث: العلاقة بين الفلاح ومكارم الأخلاق.

المبحث الرابع: دلالات الفلاح في القرآن الكريم.

المبحث الخامس: الأحاديث الثابتة الواردة في الفلاح.

الفصل الثاني: مرادفات الفلاح في القرآن الكريم.

المبحث الأول: الفوز.

المبحث الثاني: النجاة.

المبحث الثالث: النصر.

الفصل الثالث: صفات المفلحين في القرآن الكريم

المبحث الأول: الإيمان بالله عز وجل

المبحث الثاني: محبة الرسول "صلى الله عليه وسلم" واتباعه وطاعته.

المبحث الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الرابع: الجهاد في سبيل الله.

المبحث الخامس: الصبر.

المبحث السادس: ذكر الله عز وجل.

الفصل الرابع: موانع الفلاح

المبحث الأول: الكفر.

المبحث الثاني: الظلم.
المبحث الثالث: الكبائر.

الفصل الخامس: نماذج من المفلحين.
المبحث الأول: نماذج من الأفراد
المبحث الثاني: نماذج من الأقوام.

الفصل الأول

ويحتوي على المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريفُ الفَلاحِ لُغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الفَلاحُ وأُضدادُهُ في المعنى.

المبحث الثالث: الفَلاحُ ومَكارمُ الأخلاقِ.

المبحث الرابع: دلالاتُ الفَلاحِ في القرآنِ الكريمِ.

المبحث الخامس: الأحاديثُ الصحيحةُ الواردةُ في الفَلاحِ.

المبحث الأول تعريف الفلاح

ويتضمن مطلبين

المطلب الأول: تعريف الفلاح لغة:

قال ابن فارس: الفاء واللام أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على شَقٍّ، والآخرُ على فوزٍ وبقاءٍ.⁽⁵⁾

والفَلَحُ والفَلَّاحُ: الفوزُ،⁽⁶⁾ والنجاةُ،⁽⁷⁾ والبقاءُ في الخيرِ والتَّعَمُّمِ.⁽⁸⁾ وفَلَّاحُ الدَّهْرِ بَقَاؤُهُ⁽⁹⁾ وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُؤَذِّنِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ أَي: حَيَّ عَلَى بَقَاءِ الْخَيْرِ.⁽¹⁰⁾ ولا شك أن كل الخير في تلبية نداء الله تعالى.

وأصل الفَلَّاح: الشَّقُّ والقَطْعُ، قال الشاعر: إِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ، أَي: يُشَقُّ.⁽¹¹⁾ وفَلَّحَ الْأَرْضَ لِلزَّرْعَةِ يَفْلَحُهَا فَلْحًا: إِذَا شَقَّهَا لِلْحَرْثِ، وَالْفَلَّاحُ: الْأَكَّارُ.⁽¹²⁾ أَي يهيئها لما هو أصلح للزرع.

⁵ - ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص330، دط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

⁶ - الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص644، دار القلم، دمشق- سوريا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ابن الشجري: علي بن محمد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، ص231، ط1، 1317هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، ج2، ص69، ط1، المطبعة الخيرية، القاهرة- مصر. الألوسي: شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ج7، ص206، ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. البقاعي: إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج13، ص105، 1398هـ. اطفيش: محمد بن يوسف، تيسير التفسير، ج9، ص5، مكتبة الضامري، عُمان.

⁷ - فيود: بسيولي عبد الفتاح، من هدي القرآن الكريم، ص8، ط1409هـ. الأصفهاني، المفردات، ص644. مرجعان سابقان

⁸ - الرازي: محمد فخر الدين، مفاتيح الغيب، ج23، ص78، ط1، 1401هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان. الزجاج: إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص5، ط1، 1408هـ، الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، ج3، ص25، ط1392هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة - مصر.

⁹ - الفراهيدي: الخليل بن أحمد، العين، ج3، ص336، ط1، 1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

¹⁰ - ابن الشجري، ما اتفق لفظه واختلف معناه، ص231. الفراهيدي، العين، ج3، ص336. مرجعان سابقان

¹¹ - القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص164، ط1424هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

والفلاح: السُّحُور، قالوا سُمِّيَ فلاحاً لأنَّ الإنسانَ تَبَقَّى مَعَهُ قُوَّتُهُ فِي الصَّوْمِ.⁽¹³⁾
وفي الحديث "فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَّاحُ قَالَ قُلْتُ وَمَا الْفَلَّاحُ قَالَ السُّحُورُ"⁽¹⁴⁾

والفَلَحُ: شِقٌّ فِي الشَّفَةِ السُّفْلَى واسم ذلك الشِقِّ: الفَلَحَةُ. ورجل أَفْلَحَ مُتَفَلِّحُ
الشَّفَةِ واليدين والقدمين: أي أصابه فيها تَشَقُّقٌ مِنَ الْبَرْدِ.⁽¹⁵⁾

وَفَلَحَ الْقَوْمَ وَلِلْقَوْمِ يَفْلَحُ فَلَاحَةً: زَيَّنَ الْبَيْعَ وَالشَّرَاءَ لِلْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي. وَفَلَحَ بِهِمَا
تَفْلِيحاً: مَكَّرَ، وَقَالَ غَيْرُ الْحَقِّ. وَالْفَلَحُ: النَّجَشُ، وَهُوَ زِيَادَةُ الْمَكْتَرِيِّ لغيره فُيْغْرِيهِ.
والتَّفْلِيحُ: الْمَكْرُ وَالِاسْتِهْزَاءُ، وَالْفَيْلِحَانِي: نَوْعٌ مِنَ التَّيْنِ.⁽¹⁶⁾

إذن فالفلاح في اللغة أصله يدل على الشق والقطع ومنه قيل فلاح أي الذي يشق
الأرض. ويأتي بمعنى الفوز والنجاة ولذلك قيل حي على الفلاح أي على الخير الدائم.
وكذلك يأتي بمعنى السحور لما فيه من الخير والبركة.

المطلب الثاني: تعريف الفلاح اصطلاحاً:

الفلاح في الاصطلاح له معانٍ كثيرة منها:

أفلح: فازَ برضى اللهِ وجنةٍ عرضَها السماواتُ والأرضُ، ونَجَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
وَسَخَطِهِ.⁽¹⁷⁾

وقيل: هوَ الفوزُ بكلِّ مطلوبٍ، ونيلُ كلِّ مَرْغُوبٍ،⁽¹⁸⁾ وهو الفوزُ بالمرامِ، والنجاةُ
مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْآلَامِ، والبقاءُ بِالْخَيْرِ عَلَى الْأَبَدِ.⁽¹⁹⁾

¹² - الأصفهاني، المفردات ، ص 644. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص164. مرجعان سابقان
¹³ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص330. الأصفهاني، المفردات، ص644، الفراهيدي، العين،
ج3، ص336. مراجع سابقة
¹⁴ - السجستاني: أبو داود، سليمان بن أشعث، سنن أبي داود، كتاب شهر رمضان، باب في قيام شهر رمضان،
حديث رقم (1375) ص225، طبعة جديدة كاملة في مجلد واحد، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، ط1،
1422هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
¹⁵ - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص644.
¹⁶ - ابن منظور: جمال الدين بن مكرم، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، ج3، ص332، ط1، 1413هـ، دار
الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
¹⁷ - الدرّة: محمد بن عطية، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، ج9، ص275، ط1408هـ، دار الحكمة
للطباعة والنشر، دمشق- سوريا.

والمفلح هو من نجا وفاز بوراثته الجنة، وهو الموحد لله عز وجل دون الكفار.⁽²⁰⁾

والفلاح: الفوز بالمرام وإدراك البغية، والبقاء في الخير، وهو فوزهم بمطلوبهم في الآخرة، ونجائهم مما يكرهون.⁽²¹⁾

والمفلح هو الذي أدرك ما طلب، ونجا من شر ما منه هرب، وهو الفائز بالجنة والباقي فيها،⁽²²⁾ وقيل: الفوز والظفر بخير الدنيا والآخرة.⁽²³⁾

والفلاح: الفوز بالأمان والظفر بالمطلوب، والخلص من عذاب الله، والبقاء على دوام رحمته لهم وهو الفوز بالجنة.⁽²⁴⁾

قال القرني: الفلاح: هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، وإدراك الرضوان، والسلامة من الخسران، وهو تحقيق العبودية لله، وإصلاح النفس الأماردة برديها عن الهوى، وكسرها عند الشهوات، وإيقافها مع الدليل، وتحذيرها بالوحي عند ملكٍ مقتدر، وتيلُّهم جوار الملك الحق، وبعدهم عن غضبه، وعذابه سبحانه.⁽²⁵⁾

وقد ذكر الراغب رحمه الله أن الفلاح ضربان: دنيوي وأخروي.⁽²⁶⁾

أما الدنيوي فهو الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا من شرف وجاه وعزٍّ وغنى وسُمتة وما إلى ذلك من الأمور الدنيوية.

¹⁸ - انظر: ابن عجيبة: أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج5، ص3، ط1، 1423هـ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

¹⁹ - الجمل: سليمان بن عمر العجلي، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، ج5، ص224، ط1، 1416هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مرجع سابق، ج5، ص3.

²⁰ - الدينوري: عبد الله بن محمد بن وهب، الواضح في تفسير القرآن الكريم، ج2، ص49، ط1، 1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

²¹ - مخلوف: حسنين محمد، صفوة البيان لمعاني القرآن، ص435، ط3، 1407هـ، الكويت.

²² - القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، مرجع سابق، ج1، ص164.

²³ - الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج8، ص305، ط1415هـ، دار الفكر، بيروت- لبنان.

²⁴ - انظر: الطريحي: فخر الدين، مجمع البحرين، ج3، ص1413، ط1، 1416هـ، مؤسسة البعثة.

²⁵ - انظر: القرني: عائض بن عبد الله، نظرات حول بعض الآيات، ص28، ط1، 1424هـ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان.

²⁶ - انظر: الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص644.

أما الأخرى: فهو بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، ولذلك قيل: "لا عيش إلا عيش الآخرة".

قلت: إن ما عناه الرّاعِبُ بالفلاح الدنيوي أقرب إلى ما يُسمّى النّجاح منه إلى الفلاح، فإن هذه السّعادات الدّنيويّة هي سعادات محدودة وليست دائمة وخالدة، ثمّ إنّها أكثر ما تكون لغير المؤمنين بالله عزّ وجلّ على الغالب، وغير المؤمنين ليس بمفلح، وذلك أنّ المؤمن لا ينشد هذه الأهداف، فهي نجاح في الدنيا، وهذا النّجاح محدود، وهو ليس غاية المؤمن، ولهذا السّبب لم ترد كلمة النّجاح في القرآن الكريم قطّ، وكأنّ القرآن يُريد أن يربط أذهان المؤمنين وقلوبهم بما عند الله عزّ وجلّ في الحياة الآخرة، فهو يُريد منهم جلّ وعلا نجاحاً أبدياً وليس مؤقتاً. وربما هذا ما عناه القرني في قوله:

لو كان الفلاح مالاً، لأدرك الفلاح قارون؛ لكنّه شقيّ بماله.

ولو كان الفلاح منصّباً، لناله فرعون؛ ولكنّه تردّى بمنصبه.

ولو كان الفلاح جاهاً، لحازهُ أبو جهل؛ ولكنّه عذبَ بجاهه.

ولو كان الفلاح نسباً، لسعدَ بنسبه أبو لهب؛ ولكنّه لم ينفعه نسبه.

ثمّ قال: إنّ الفلاح سجدة القلب الطويلة في محراب الإيمان التي لا يرفع رأسه منها، وهجرة الرّوح من بلاد المعصية إلى ديار الطّاعة، واستسلام العبد لربّه، والقيادة لمولاه، ومطابقة هواه لما جاء به صاحب الهدى "صلّى الله عليه وسلّم".⁽²⁷⁾

من التعريفات السابقة نرى أن العلماء وإن اختلفوا في تعريف الفلاح، فإن المعنى والمقصود واحد وهو أن الفلاح يكون: بتوحيد الله عزّ وجلّ ونيل رضوانه والخلود في جناته، والبعد عن سخطه وعذابه والنّجاة من نار جهنم.

²⁷ - القرني: ، نظرات حول بعض الآيات، مرجع سابق، ص28.

المبحث الثاني

الفلاح وأضدادُهُ في المعنى

(الخُسْرَان)

تعريفُ الخُسْرَان

لغةً: خَسِرَ: ضَلَّ، والخَسَارَةُ والخَسَارُ: الضَّلَالُ والهَلَاكُ. (28)

والخُسْرُ والخُسْرَان: النَّقْصُ وهو مِثْلُ الْفَرْقِ وَالْفُرْقَانِ (29) قال تعالى: ﴿وَلِذَا كَالُوهُمْ

أَوْ زَوَّضُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (30) أي: يُخْسِرُونَ فِي الْكَيْلِ وَالْوِزْنِ (31)

والخُسْرُ والخُسْرَان: صَارَ عُرْفًا بَانْتِقَاصِ رَأْسِ الْمَالِ، وَيُنْسَبُ ذَلِكَ إِلَى الْإِنْسَانِ، فيقال: خَسِرَ فُلَانٌ، وَإِلَى الْفِعْلِ، فيقال خَسِرَتْ تِجَارَتُهُ. (32)

والخُسْرَان في القرآن الكريم وَرَدَ بِأَرْبَعَةِ مَعَانٍ، هي:

1. الخُسْرَان بمعنى الضَّلَالُ: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (33) أي: فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (34) أي لفي ضَلَالٍ، والضَّلَالُ هو ضِدُّ الْهُدَى وَالرَّشَادِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْفَلَاحِ.

²⁸ - ابن منظور، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص337.

²⁹ - الجوهري: إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية، ج2، ص305، ط1، 1420 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

³⁰ - [المطففين: 3].

³¹ - ابن منظور، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص337.

³² - الأصفهاني: المفردات، مرجع سابق، ص281.

³³ - [النساء: 119]

³⁴ - [العصر: 2]

2. الحُسْرَانُ بمعنى العجز: وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾ (١٤) (35) أي لعجزه.

3. الحُسْرَانُ بمعنى الغبن: وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (١٥) (36)

4. الحُسْرَانُ بمعنى النقص: وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (٩) (37) أي لا تُنقصُوا الميزان. وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (٣) (38) والنقص هو ضدُّ الزيادة.

5. الحُسْرَانُ بمعنى العقوبة: وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٦٥) (39) قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٤٧) (40) والعقوبة والعقاب يختصُّ بالعذاب. (41)

والحُسْرَانُ في القرآن الكريم يُقسَّم إلى قِسْمَيْنِ:

1. الحُسْرَانُ المادي: وهو الحُسْرَانُ في ميزان الدنيا وكيِّله، المستعملُ في المقتنياتِ الخارجيّة، كالمالِ والثُّقُودِ وغير ذلك. (42) وقد تناول القرآن الكريم هذا النوعَ من الحُسْرَانِ وحذَّرَ منه، وحثَّ الناسَ على العدلِ في الميزانِ والتزامِ القِسْطِ، قال تعالى:

³⁵ - [يوسف: ١٤]

³⁶ - [الزمر: 15]

³⁷ - [الرحمن: ٩]

³⁸ - [المطففين: ٣]

³⁹ - [الزمر: ٦٥]

⁴⁰ - [هود: ٤٧]

⁴¹ - انظر: النيسابوري: إسماعيل بن أحمد الحيري، وجوه القرآن الكريم، ص126، ط1، 1996م، دار السقا، دمشق- سوريا. الدامغاني: الحسين بن محمد، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، ص298، ط1419، 1هـ، مكتبة دار الفارابي، دمشق- سوريا. ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص16، ط1، 1421هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

⁴² - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص281.

﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ (١٨) ⁽⁴³⁾ وهذه الآيات نزلت في قوم سيدنا شعيب وهو يدعوهم إلى إتمام الكيل والميزان وعدم انتقاصه. وقد ذم الله تعالى الذين يُنْقِصُونَ الْكَيْلَ وتوعدهم بالهلاك والعقاب إن هم انقصوا الكيل قال تعالى: ﴿ وَيَلِلْ لِلمُطَفِّفِينَ ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (٢) ⁽⁴⁴⁾ وهو هنا الكيل بالميزان المُستعمل في البيع والشراء بين الناس.

2. **الخُسْرَانُ المَعْنَوِي:** وهو الخُسْرَانُ المتعلق بالمقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب والأجر والسعادة والعذاب. ⁽⁴⁵⁾ قال تعالى: ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (١١) ⁽⁴⁶⁾ أي خسر الدنيا ولم يظفر بحاجته منها، وخسر الآخرة مُعَذَّبٌ فيها بنار الله الموقدة. ⁽⁴⁷⁾ قال القرطبي رحمه الله ⁽⁴⁸⁾: أي: قد خسر الدنيا بأن لا حظَّ له فيها من غنيمة ولا ثناء، والآخرة بأن لا ثواب له فيها.

وفي القرآن الكريم آية جمعت بين الخُسْرَانِ المادي والخُسْرَانِ المعنوي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (٩) ⁽⁴⁹⁾ فيجوز حمل معنى الوزن في هذه الآية إلى آلة الوزن التي يُوزَنُ بها الأشياء في معاملة الناس، ويجوز حملها على ميزان الله عز وجل في يوم القيامة. ⁽⁵⁰⁾

⁴³ - [الشعراء: 181].

⁴⁴ - [المطففين: ١ - ٣].

⁴⁵ - الأصفهاني: المفردات، مرجع سابق، ص 281.

⁴⁶ - [الحج: ١١].

⁴⁷ - الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 9، ص 116، ط 1، 1418 هـ، دار القلم، دمشق، سوريا.

⁴⁸ - القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، مرجع سابق، ج 12، ص 14.

⁴⁹ - [الرحمن: ٩].

⁵⁰ - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 281.

عبر النَّظَرِ إلى الآياتِ الكريمةِ التي تحدّثت عن الفلاحِ والخُسرانِ، نجدُ أنَّ الخُسرانَ نقيضُ الفلاحِ من وجوهٍ عدة:

1. إِنَّ الْخَاسِرِينَ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ وَلِيًّا لَهُمْ فَأَضَلَّهُمْ عَنْ هُدَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (١١٩) ⁽⁵¹⁾ أما المفلحون فإنَّ وليهم هو الله وحده لا يُشركون به شيئاً.

2. إِنَّ الْخَاسِرِينَ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَأَنْكَرُوا الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ،

وَبَاغُوا إِيمَانَهُمْ بِالْكَفْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ (٣١) ⁽⁵²⁾ أما المفلحون فإنهم يؤمنون بالله، وبكلِّ ما جاء من عنده سبحانه وتعالى وبالرسل وبالغيب وبالكتب التي أنزلها... إلخ.

3. إِنَّ الْخَاسِرِينَ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، وَعَدَّلُوا بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ الَّذِينَ زَيْنُوا لَهُمْ

قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ وَحَرَّمُوا مَا أُحِلَّ لَهُمْ، وَشَرَعُوا غَيْرَ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لَهُمْ قَالَ تَعَالَى:

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ

أَفْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٤٠) ⁽⁵³⁾ أما المفلحون فإنهم يعبدون الله وحده ويحلُّون ما أحلَّ الله ويحرمون ما حرَّمه سبحانه.

4. إِنَّ الْجَزَاءَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْخَاسِرِينَ هُوَ عَذَابُ النَّارِ وَبئسَ المصيرُ، أما جزاءُ

المفلحين فهوَ رضوانُ الله عليهم ونيلُ الخيراتِ ودخولُ الجنة قال تعالى: ﴿فَمَنْ

ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٠٣) ⁽⁵⁴⁾.

⁵¹ - [النساء: ١١٩]

⁵² - [الأنعام: ٣١]

⁵³ - [الأنعام: ١٤٠]

⁵⁴ - [المؤمنون: 102-103]

المبحث الثالث

العلاقة بين الفلاح ومكارم الأخلاق

وفيه مطلبان

تمهيد:

لَيْسَ هُنَاكَ أَجْمَلُ وَلَا أَكْرَمُ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَهُوَ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَالتَّبَسُّمُ وَلَيْنُ اللِّسَانِ وَعِفَّتُهُ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَقْبَحُ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ سُوءِ الْخُلُقِ، وَشِرَاسَةِ الطَّبَعِ، وَهُوَ الْعُبُوسُ وَفُحْشُ اللِّسَانِ، وَتَكْلُفُ الْكَلَامِ، وَقَدْ كَانَتْ مَهْمَةً النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْسِينُ الْأَخْلَاقِ وَتَهْذِيبُ الطَّبَاعِ، بَعْدَ إِصْلَاحِ الْعَقِيدَةِ وَغَرْسِ بَذْرِ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، (55) حَيْثُ إِنَّ تَحْسِينَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْحِيحَ الْعَقِيدَةِ مِنْ أَوْلَوِيَّاتِ مَهَامِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَكُونُ النَّجَاحُ الْبَاهِرُ فِي تَحْقِيقِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، لَذَا اسْتَحَقَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدْحَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (56)

وقد جاء الإسلام وعمّقَ هذا العُنْصَرَ أَيْمًا تَعْمِيقٍ، وَوَسَّعَهُ أَبْلَغَ تَوْسِيعَةٍ، وَرَبَطَ الْأَخْلَاقَ بِأَهْدَافٍ أَرْحَبَ وَأَرْقَى، وَحَوَافِزَ أُنْبَلَ وَأَزْكَى، وَوَصَلَهَا بِفِكْرَةِ الْإِلْزَامِ وَالْجَزَاءِ، جَزَاءِ الدُّنْيَا وَجَزَاءِ الْآخِرَةِ، وَحَرَّرَهَا مِنْ غُلُوِّ الْجَاهِلِيَّةِ وَغُلُوتِهَا، وَرَفَعَ الْأَخْلَاقَ مَكَانًا عَلِيًّا، حِينَ جَعَلَهَا غَايَةَ الرِّسَالَةِ (57). فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ " (58) وَلَأَتَمِّمَ يَعْنِي أَنْ مَكَارِمَ

⁵⁵ - الزحيلي: وهبه، أخلاق المسلم وعلاقته بالخالق، ص215، ط1424هـ، دار الفكر، دمشق- سوريا. دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان.

⁵⁶ - [القلم: ٤]

⁵⁷ - القرضاوي: يوسف عبد الله، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص23، ط1، 1421هـ، دار الشروق، القاهرة- مصر.

⁵⁸ - صحيح، رواه البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، ج10، ص323، حديث رقم (20783). ط1420، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج1، ص112، حديث رقم (45)، ط1415هـ، مكتبة دار المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية.

الأخلاق مما جاءت به الرِّسالاتُ السَّابِقَةُ و جاءت رسالةُ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكمَّلةً لها.

والخلقُ عبارةٌ عن هَيَاةٍ في النَّفْسِ راسخةٌ، عنها تَصْدُرُ الأفعالُ بسهولةٍ ويُسرٍ من غيرِ حاجةٍ إلى فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ، فإن كانت الهَيَاةُ بحيثُ تَصْدُرُ عنها الأفعالُ الجميلةُ المحمودةُ عقلاً وشرعاً، سُمِّيَتْ تلكَ الهَيَاةُ خُلُقاً حَسَناً، وإن كَانَ الصادرُ عنها الأفعالُ القبيحةُ، سُمِّيَتْ الهَيَاةُ التي هي المَصْدَرُ خُلُقاً سَيِّئاً. ⁽⁵⁹⁾ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ" ⁽⁶⁰⁾

وفي هذا المَبْحَثُ سَأَتناولُ خُلُقِي الصِّدْقِ وَالكَرَمِ، لِنُبَيِّنَ ما لَهُما مِنْ أثرٍ في حَيَاةِ المُسلمِ الذي يَنْشُدُ الفَلاحَ وَيَرْجُوهُ.

المطلبُ الأوَّلُ: الصِّدْقُ

الصِّدْقُ: نَقِيضُ الكَذِبِ، وَصَدَقَهُ: قَبَلَ قَوْلُهُ، وَصَدَقَهُ الحَدِيثَ: أَنبَأَهُ الصِّدْقَ. ⁽⁶¹⁾
وَسُمِّيَ لِقُوَّتِهِ في نَفْسِهِ، وَلأنَّ الكَذِبَ لا قُوَّةَ لَهُ، فَهُوَ باطلٌ. وَأصلُ هذا مِنْ قولِهِمْ: شَيْءٌ صَدَقَ: أَيُّ: صَلَبٌ. ⁽⁶²⁾

وهو مُطابَقةُ الحُكْمِ للوَّاقِعِ، ⁽⁶³⁾. وَقِيلَ: اسْتَوَاءُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، بأن لا تُكذَّبُ أحوالُ العَبْدِ أَعْمَالُهُ، ولا أَعْمَالُهُ أحوالُهُ. ⁽⁶⁴⁾

قال الراغبُ: الصِّدْقُ: مُطابَقةُ القَوْلِ الضَّمِيرِ والمُخْبِرِ عَنْهُ مَعاً، ومَتى انخَرَمَ شَيْءٌ مِنْ ذلكَ لم يَكُنْ صِدْقاً تاماً. والصِّدِّيقُ مَنْ كَثُرَ مِنْهُ الصِّدْقُ، وَقِيلَ: يَقَالُ لِمَنْ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ،

⁵⁹ - الغزالي: محمد محمد، أدب الصحبة والمعايشة مع أصناف الخلق، ص43، دبط، مطبعة العاني بغداد.

⁶⁰ - رواه أبو داود، سنن أبو داود، مرجع سابق، ص901، كتاب الآداب، باب حسن الخلق، حديث رقم (4799).

⁶¹ - ابن منظور: لسان اللسان تهذيب لسان العرب، مرجع سابق، ج2، ص13.

⁶² - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج2، ص36.

⁶³ - الجرجاني: علي بن محمد بن الحسين الحنفي، التعريفات، ص135، ط1، 1421هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

⁶⁴ - مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد و عبد الرحمن بن محمد بن مَلُوح، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج6، ص2474، ط1، 1418هـ، دار الوسيلة، جدة، المملكة العربية السعودية.

وقيل: لمن لا يأتي منه الكذب لتعوده الصدق، وقيل: لمن صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله. (65)

فالصدق قول الحق في المكروه والمنشط على السواء دون خوف أو مواراة لأحد ويكون في الفعل كما في القول فإن من تكذب أفعاله أقواله ليس بصادق بل منافق.

قال ابن القيم رحمه الله (66): الصدق مَرَلَةُ الْقَوْمِ الْأَعْظَمِ، وَالطَّرِيقُ الْأَقْوَامِ، الَّذِي لَمْ يَسِرْ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنَ الْمُتَقَطِّعِينَ الْهَالِكِينَ، وَبِهِ تَمَيَّزَ أَهْلُ النِّفَاقِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَسُكَّانُ الْجَنَانِ مِنْ أَهْلِ النِّيرَانِ، وَهُوَ سَيْفُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، الَّذِي مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ، وَلَا وَاجَهَ بَاطِلًا إِلَّا أَرَادَهُ وَصَرَعَهُ، فَهُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ، وَالْبَابُ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ الْوَاصِلُونَ إِلَى حَضْرَةِ ذِي الْجَلَالِ، وَهُوَ أَسَاسُ بِنَاءِ الدِّينِ، وَعَمُودُ فُسْطَاطِ الْيَقِينِ، وَدَرَجَتُهُ تَالِيَةٌ لِدَرَجَةِ النَّبَوَةِ الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْعَالَمِينَ.

ولفظُ الصِّدْقِ قَدْ تَسَمَّى بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ﴾ (67)

وَالصِّدْقُ صِفَةٌ مَلَاذِمَةٌ لِلْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ فَطَرِيَّةٌ فِيهِمْ، فَلَا يُمْكِنُ لِأَيِّ نَبِيٍّ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ مَا يُخِلُّ بِالْأَخْلَاقِ وَالْمُرُوءَةِ، كَالْكَذِبِ وَالْحَيَانَةِ، فَهَذِهِ صِفَاتٌ لَا تَلِيقُ بِإِنْسَانٍ عَادِيٍّ، فَكَيْفَ بِالْأَنْبِيَاءِ. (68)

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (69)

⁶⁵ - الأصفهاني: المفردات، مرجع سابق، ص478.

⁶⁶ - ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2، ص257، ط1، 1416هـ، دار الحديث، القاهرة- مصر.

⁶⁷ - [الحجر: 64، الأنعام: 146]

⁶⁸ - عارف: مذكر محمد، الصدق في القرآن الكريم، ص45، ط1، 1419هـ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

⁶⁹ - [التوبة: 119]

وبالصدق ينجو العبد من عذاب الله يوم القيامة، قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ (70)

أما دواعي الصدق فلخصها الماوردي رحمه الله في الأمور الآتية (71):

1. العقل: من حيث كونه موجباً لقبح الكذب.
 2. الدين: حيث ورد الوجوب بإتباع الصدق وخطر الكذب، والله سبحانه لم يشرع إلا كل خير.
 3. المروءة: لأنها مانعة من الكذب، باعثة على الصدق.
 4. حبُّ الاشتهار بالصدق.
- أما مراتب الصدق ودرجائته فهي (72):
- صدق اللسان والقول، وهو أشهر أنواع الصدق.
 - صدق النية والإرادة، ويرجع إلى الإخلاص لله في كل الحركات.
 - صدق العزم وذلك على الخير.
 - صدق في الوفاء بالعزم، عند القدرة على الوفاء بالمعزوم به.
 - صدق في العمل، وهو أن لا تكذب أعماله أحواله.
 - صدق في تحقيق مقامات الدين، وهو أعلاها وأعزها ومن أمثلته: الصدق في التوكل والزهد والرجاء وما شابه.

⁷⁰ - [المائدة: ١١٩]

⁷¹ - الماوردي: علي بن محمد بن حبيب البصري، أدب الدنيا والدين، ط 1424هـ، دار الكتب العالمية، بيروت-لبنان.

⁷² - جمعه: أحمد خليل، الصدق والصادقون في القرآن العظيم والسنة النبوية، ط 1، 1415هـ، دار الكلم، دمشق، سوريا.

فالصَّدَق طريقُ الأبرارِ إلى الجنَّةِ وهو طريقُ الفلاح. والصَّادِقُونَ هُم أَحِبَابُ اللَّهِ الْمُقَرَّبُونَ وكذلك المفلحون. وهم مُحْشُورُونَ مع النَّبِيِّينَ والشُّهَدَاءِ وكذلك المفلحون.

والصَّدَقُ في الحديثِ يُوَثِّرُ في القُلُوبِ، وإذا تأثرت القلوبُ ولانت إلى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، طَبَّقَتْهُ في حياتِهَا الْعَمَلِيَّةُ، ومن طَبَّقَ كَلَامَ اللَّهِ في حَيَاتِهِ فقد أَفْلَحَ. والصَّدَقُ منجاةٌ من عذابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ وعقابه يومَ الْقِيَامَةِ، وهو الْفَلَاحُ.⁽⁷³⁾

وما أحوَجُ الأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْيَوْمَ إلى الصَّدَقِ مع اللَّهِ عزَّ وجلَّ والصَّدَقِ في تَطْبِيقِ شَرْعِهِ، بَدَلًا منَ الْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ الَّتِي أدَّتْ بِالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إلى مَزِيدٍ منَ التَّخَلُّفِ والتَّدهُورِ والتَّراجُعِ، فلو صَدَقَتِ الأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مع اللَّهِ لأَخْرَجَهَا مِمَّا هِيَ فِيهِ. وما أحوَجُنَا إلى أَنْ يَسُوِّدَ الصَّدَقُ بَيْنَنَا أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ حَتَّى يُعَزِّزَنَا اللَّهُ وَيَرْفَعُ شَأْنَنَا وَيُبدِلَنَا هَزِيمَتَنَا نَصْرًا. نحنُ بِحَاجَةٍ إلى الصَّدَقِ معَ اللَّهِ، ومعَ الْغَيْرِ، ومعَ النَّفْسِ، ففي هَذَا الْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ.

المطلب الثاني: الْكَرَمُ

الكرمُ: الصَّفْحُ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْكَرِيمُ، أَي: الصَّفْوَحُ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.⁽⁷⁴⁾

قال ابن مَنْظُور⁽⁷⁵⁾: الْكَرَمُ منَ صِفَاتِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وهو الْكَثِيرُ الْخَيْرِ الْجَوَادُ الْمُعْطِي الَّذِي لَا يَنْفَدُ عَطَاؤُهُ، وهو الْكَرِيمُ الْمُطْلَقُ، وَالْكَرِيمُ الْجَامِعُ لِأَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَالشَّرَفِ وَالْفَضَائِلِ، وَالْكَرِيمُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحْمَدُ.

قيل: هو التَّبَرُّعُ بِالْمَعْرُوفِ قَبْلَ السُّؤَالِ، وَالْإِطْعَامُ فِي الْمَحَلِّ وَالرَّافَةُ بِالسَّائِلِ معَ بَذْلِ النَّائِلِ.⁽⁷⁶⁾

قال ابن مسكويه⁽⁷⁷⁾: هو إِنْفَاقُ الْمَالِ الْكَثِيرِ بِسَهُولَةٍ مِنَ النَّفْسِ، فِي الْأُمُورِ الْجَلِيلَةِ الْقَدْرِ الْكَثِيرَةِ النَّفْعِ.

⁷³ - نَضْرَةُ النِّعَمِ فِي مَكَارِمِ أَخْلَاقِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ، مَرْجِعُ سَابِقٍ، ج 6، 2516. بِتَصَرُّفٍ

⁷⁴ - انْظُرْ: ابْنُ فَارَسٍ: مَعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ، مَرْجِعُ سَابِقٍ، ج 2، ص 440..

⁷⁵ - ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ اللِّسَانِ تَهْذِيبُ لِسَانِ الْعَرَبِ، مَرْجِعُ سَابِقٍ، ج 2، ص 455.

⁷⁶ - انْظُرْ: نَضْرَةُ النِّعَمِ فِي مَكَارِمِ أَخْلَاقِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ، مَرْجِعُ سَابِقٍ، ج 8، 3214.

⁷⁷ - ابْنُ مَسْكُويَةٍ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ يَعْقُوبَ، تَهْذِيبُ الْأَخْلَاقِ وَتَطْهِيرُ الْأَعْرَاقِ، ص 28، مَكْتَبَةُ الثَّقَافَةِ الدِّينِيَّةِ.

فالكرم هو جود اليد عن طيب نفس ويكون في القليل والكثير في العسر واليسر.

والإسلام دينٌ يقومُ على البذلِ والعطاءِ والإنفاقِ، ويذمُّ الشُّحَّ والإمساكَ، ولذلك حَبَّبَ إلى أنبيائه أن تَكُونَ نُفُوسُهُمْ سَخِيَّةً، وَأَكْفُهُمْ نَدِيَّةً، وَوَصَّاهُمْ بالمسارعةِ إلى دواعي الإحسانِ، ووجوه البرِّ، وأن يجعلوا تَقْدِيمَ الخيرِ إلى النَّاسِ شُغْلَهُمْ الدائم لا يَنْفَكُونَ عَنْهُ في صباحٍ ولا مساءً، ودعوة الإسلامِ إلى الجُودِ والكَرمِ دعوةٌ مستفيضةٌ مطَّردةٌ. (78)

والحقُّ أنَّ الكرمَ طريقُ السَّعةِ، وأنَّ السَّخاءَ سَبَبُ النَّماءِ، وأنَّ الذي يَجْعَلُ يَدِيَهُ مَمْرًا لعطاءِ الله؛ يَظَلُّ مَبْسُوطَ اليَدِ بالنعمةِ، مَكْفُولَ اليومِ والعَدِ بالعَدِّ الدائمِ من رَحمةِ الله وكرَمِهِ، وفي الحديث " ما نَقَصَ مالُ عبدٍ من صَدَقَةٍ " (79)

وصاحبُ الكرمِ لا بدَّ أن يكونَ شَدِيدَ التَّوَكُّلِ على الله، عَظِيمَ الزُّهْدِ، قَوِيَّ اليَقِينِ، ولذلك فإنَّ الكرمَ مرتبطٌ بالإيمانِ، ظاهِرُهُ كَرَمُ اليَدِ، ودافِعُهُ كَرَمُ النَّفْسِ، وأعظمُ صُورِ الكرمِ ما يكونُ مَعَ الفقرِ والحاجةِ وقَلَّةِ ذاتِ اليَدِ، وهذه كَانَتْ من أخلاقِ العَرَبِ في الجاهليَّةِ، وأهلُ الإيمانِ بها أُولَى. (80) فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قال: " يا رسولَ الله أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قال: جَهْدُ الْمُقِلِّ " (81)

والكرمُ من صفاتِ الله تبارك وتعالى قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٢) (82) وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنْ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ " (83)

⁷⁸ - الغزالي: محمد بن محمد، خلق المسلم، ص17، ط8، دار الكتب الحديثة، القاهرة- مصر.

⁷⁹ - رواه الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، حديث رقم (2325) ج3، ص295، ط1، 1421هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

⁸⁰ - الخزندار: محمود محمد، هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، ص503، ط5، 1420هـ، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

⁸¹ - رواه أبو داود، سنن أبو داود، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك، ص314، حديث رقم (1677).

⁸² - [العلق: ٣]

⁸³ - رواه ابن ماجه: القزويني: محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، ج3، ص263، كتاب الدعاء، باب رفع اليدين بالدعاء، حديث رقم (3131) ط1، 1417هـ، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

وهو مما يُعِينُ على اكتسابِ صفةِ الكرمِ، وتأصيلِها في النَّفسِ، باستحضارِ صفتِهِ سبحانه، والكرمُ إذا وُصِفَ بِهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فهو اسمٌ لإحسانِهِ وإنعامِهِ سبحانه، وإذا وُصِفَ بِهِ الإنسانُ فهو اسمٌ للأخلاقِ والأفعالِ الحمودةِ التي تظهرُ مِنْهُ.⁽⁸⁴⁾

والكرمُ صفةُ الأنبياءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وكان نَبِيُّنا عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَكْرَمَهُمْ وَأَجْوَدَهُمْ، فقد كَانَ المثلَ الأعلى في الكرمِ والجودِ، وفي سيرتِهِ عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الجوابُ الكافي والشَّافي. رُوِيَ عن عائشةَ - رضي اللهُ عنها وأرضاها - أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شاةً، فقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ما بَقِيَ مِنْها؟ قالت ما بَقِيَ مِنْها إلا كَتِفَها. قال: بَقِيَ كُلُّها إلا كَتِفَها.⁽⁸⁵⁾ وما سُئِلَ النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن شيءٍ قَطٌّ فقال لا.⁽⁸⁶⁾

وكانَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِذلكَ قُدُوةً لأَصْحَابِهِ رِضْوَانِ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَقَدْ سارُوا على سُنَّتِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فها هُوَ أبو بكر الصِّدِّيقُ يُنْفِقُ جَمِيعَ مالِهِ في سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ما ادَّخَرَ مِنْها شَيْئاً، وعمرُ الفاروقُ يُنْفِقُ نَصْفَ مالِهِ، وعثمانُ يَجْهِّزُ جيشَ العُسرةِ في تبوك، والأمثالُ في ذلكَ أَكْثَرُ من أن تُحْصَرَ في بحثٍ.

قالَ الإمامُ ابنُ الجوزي رحمه اللهُ: الكرمُ شجرةٌ في الجنَّةِ، أغصانُها مُدَلَّاةٌ على الدنيا، فمن تَعَلَّقَ بغصنٍ مِنْها جَذَبَهُ إلى النَّعِيمِ، والكرمُ من أخلاقِ المَلِكِ الكريمِ، فمن تَعَلَّقَ بِهِ فقد أَسْخَطَ الشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ، ودليلُ ذلكَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لم يبعثْ نَبِيًّا قَطٌّ إلا وهو كريمٌ، فالكرمُ من أخلاقِ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ وهوَ من أخلاقِ رَبِّ العالمين.⁽⁸⁷⁾

⁸⁴ - الفيروز ابادي: مجد الدين محمد يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج4، ص343، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

⁸⁵ - صحيح، رواه الترمذي: سنن الترمذي، مرجع سابق، ج3، ص368، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث رقم (2470).

⁸⁶ - فقد روى البخاري في الصحيح عن أبي المكندر قال: سمعت جابراً رضي الله عنه يقول: ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا. العسقلاني: أحمد بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج10، ص559، كتب الآداب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، حديث رقم (6034) ط4، 1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

⁸⁷ - ابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي، بستان الواعظين ورياض السامعين، ص15، ط1، 1422هـ، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان.

• والكرمُ إن كانَ بمالٍ فهوَ جُودٌ، وإن كانَ بِكَفٍ ضَرٍ معَ القُدرةِ فهوَ عَفوٌ، وإن كانَ بِبَذلِ النَّفْسِ فهوَ شجاعةٌ. (88)

• والكرمُ دليلٌ على كمالِ الإيمانِ وحسنِ الإسلامِ.

• وهو دليلٌ على حسنِ الظَّنِّ بالله، فإنَّ عدمَ الجودِ والإنفاقِ هوَ عدمُ ثقةٍ بالله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ اللهَ سبحانه هوَ الرازق.

• وهو باعثٌ على التَّكافلِ الاجتماعيِّ والتَّوادِّ بينَ النَّاسِ.

• وهو دليلٌ على صِفَةِ كمالِ الإنسانِ وزُهدِهِ.

• والكرمُ يزيدُ البركةَ في الرزقِ.

• وهو طريقٌ مُعبَدٌ للفلاحِ والنَّجاةِ والفوزِ برضوانِ الله عزَّ وجلَّ. (89)

وكما أنَّ الإسلامَ قد حَثَّ على الكرمِ والبذلِ فإنه قد حَذَّرَ من الشُّحِّ والبُخلِ،

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٦) (90)

والشُّحُّ والبُخلُ ضِدُّ الكَرَمِ وَلَكِنَّ الشُّحَّ أَشَدُّ مِنَ البُخْلِ.

قالَ الإمامُ ابنُ القيمِ رحمه الله: الفرقُ بينَ الشُّحِّ والبُخْلِ؛ أنَّ الشُّحَّ هوَ شِدَّةُ الحِرْصِ على الشَّيْءِ والاحْفَاءُ في طَلْبِهِ، والاستِقْصاءُ في تحصيلِهِ، وجشعُ النَّفْسِ عَلَيْهِ، والبُخْلُ مَنْعُ إنْفاقِهِ بَعْدَ حُصُولِهِ، وَحُبُّهُ وإِمْساكُهُ، فهوَ شَحِيحٌ قَبْلَ حُصُولِهِ، بِخِلٍّ بَعْدَ حُصُولِهِ، فَالبُخْلُ ثَمَرَةُ الشُّحِّ، والشُّحُّ يَدْعُو إلى البُخْلِ، والشُّحُّ كَامِنٌ في النَّفْسِ، فَمَنْ بَخِلَ فَقَدْ أَطَاعَ شُحَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَبْخُلْ فَقَدْ عَصَى شُحَّهُ، وَوَقَّى شَرَّهُ وَذَلِكَ هُوَ الْمُفْلِحُ. (91)

⁸⁸ - الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، ص53، ط2، 1413هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

⁸⁹ - انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مرجع سابق، ج8، ص3235.

⁹⁰ - [التغابن: ١٦، الحشر: 9].

⁹¹ - ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص82، ط1، 1418هـ، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان.

يقول سيّد قطب رحمه الله⁽⁹²⁾: فهذا شُحُّ النَّفْسِ المَعْوِقُ عن كُلِّ خيرٍ، لأنَّ الخيرَ بَذْلٌ في صورةٍ من الصُّورِ، بَذْلٌ في المالِ، بَذْلٌ في العاطفةِ، وبَذْلٌ في الحياةِ عند الاقتضاء. وما يمكنُ أن يصنعَ الخيرَ شحيحٌ، يَهْمُ دائماً أن يأخذَ، ولا يَهْمُ مرةً أن يُعطيَ، ومن يُوقُ شُحَّ نفسه، فقد وقى هذا المَعْوِقَ من الخيرِ، فانتطلقَ إليه باذلاً مُعطيّاً كريماً، وهذا هو الفلاحُ في حقيقةِ معناه.

والبُخلُ والشُّحُّ طريقٌ إلى الهلاكِ والدمارِ قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ".⁽⁹³⁾

واعلم أن البُخلَ شجرةٌ في النَّارِ أغصانها مُدَلّاةٌ على الدُّنيا، وهي شجرةُ الشَّيْطَانِ، فمن تَعَلَّقَ بِعُصْنٍ مِنْهَا قَادَتْهُ إِلَى النَّارِ، ومن هو شَحِيحٌ بِخَيْلٍ فَلَيْسَ بِوَاقٍ نَفْسُهُ وَلَا مُفْلِحٌ.⁽⁹⁴⁾

⁹² - قطب: سيد، في ظلال القرآن، ج6، ص3527، ط10، 1402هـ، دار الشروق، بيروت، لبنان.
⁹³ - رواه أبو داود، سنن أبو داود، مرجع سابق، ص277، كتاب الزكاة، باب في الشح، حديث رقم (1698).
⁹⁴ - ابن الجوزي: بستان الواعظين ورياض السامعين، مرجع سابق، ص15.

المبحث الرابع

دلالات ألفاظ الفلاح في القرآن الكريم

وردت مادةُ الفلاح في القرآن الكريم على خمسة وجوه هي:

1. الفلاح بمعنى: النجاة،⁽⁹⁵⁾ ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ^(١٤)

﴿(96) وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ^(٩٦) أي: قد نجح من عذاب الله عز وجل من زكى نفسه فطهرها من الكفر والمعاصي وخلصها من الأخلاق الدنيئة، وأصلحها بالصالحات من الأعمال.

2. أفْلَح: بمعنى: سَعِدَ،⁽⁹⁸⁾ ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ

الْمُؤْمِنُونَ﴾ ^(٩٩) أي: قد سَعِدَ المؤمنون بما نالهم من ثواب عظيم عند ربهم. والسعادة كما ذكر الراغب⁽¹⁰⁰⁾: هي مُعَاوَنَةُ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ عَلَى نَيْلِ الْخَيْرِ، وَيُضَادُّهُ الشَّقَاوَةُ، وَأَعْظَمُ السَّعَادَاتِ نَيْلُ الْجَنَّةِ، فَكَانَ سَعْدُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ جَنَّاتٍ.

3. الفلاح بمعنى: الأمان،⁽¹⁰¹⁾ ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ

﴿(٧٧) وقوله تعالى: ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ^(١٠٢) أي أنهم ليسوا بأمان من عذاب الله عز وجل وعقابه، وأصل الأمان طمأنينة النفس.⁽¹⁰⁴⁾

⁹⁵ - النيسابوري، وجوه القرآن الكريم، مرجع سابق، ص32.

⁹⁶ - [الأعلى: ١٤].

⁹⁷ - [الشمس: ٩].

⁹⁸ - البلخي: مقاتل بن سليمان، الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، ص317، ط2، 1395هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب. النيسابوري، وجوه القرآن الكريم، مرجع سابق، ص32.

⁹⁹ - [المؤمنون: ١].

¹⁰⁰ - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص410.

¹⁰¹ - النيسابوري، وجوه القرآن الكريم، مرجع سابق، ص32.

¹⁰² - [يونس: 77].

¹⁰³ - [الفصص: ٨٢].

¹⁰⁴ - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص90.

4. الفلاحُ بمعنى: البقاء،⁽¹⁰⁵⁾ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽¹⁰⁶⁾
أي: أولئك هم الباقون في الجنة، والخالدون فيها على حال التأييد.

5. الفلاح بمعنى: الفوز،⁽¹⁰⁷⁾ وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾⁽¹⁰⁸⁾
وفي قوله تعالى: ﴿وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾⁽¹⁰⁹⁾ أي لا يفوزون، والفوز:
الظفر بالخير مع حصول السلامة فيكون المعنى: أن الظالمين لا يمكن أن يظفروا
بالخير؛ والخير هنا هو الخير الأخروي، وهو دخول الجنة.

¹⁰⁵ - النيسابوري، وجوه القرآن الكريم، مرجع سابق، ص32.

¹⁰⁶ - [البقرة: ٥].

¹⁰⁷ - الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، مرجع سابق، ص647.

¹⁰⁸ - [يوسف: ٢٣، الأنعام: 21، 135، القصص: 37].

¹⁰⁹ - [القصص: 82].

المبحث الخامس

الأحاديث الواردة في الفلاح

أحاديث تحت على المحافظة على الصلاة:

1- عَنْ حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ إِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُيسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ. (110)

2- عَنْ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: الْجَفَاءُ كُلُّ الْجَفَاءِ وَالْكَفْرُ وَالنِّفَاقُ مَنْ سَمِعَ مُنَادِيَّ اللَّهَ يُنَادِي بِالصَّلَاةِ يَدْعُو إِلَى الْفَلَاحِ وَلَا يُجِيبُهُ. (111)

3- ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: لَيْلَةَ أُسْرِي بَنِيَّ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَسَمِعَ مِنْ جَانِبِهَا وَحْسًا قَالَ: يَا جَبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا بِلَالُ الْمُؤَدَّنُ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَاءَ إِلَى النَّاسِ: قَدْ أَفْلَحَ بِلَالٌ. (112)

¹¹⁰ - رواه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج1، ص308، كتاب الصلاة، باب ما جاء في أن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، حديث رقم (305). صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

¹¹¹ - رواه أحمد، المسند، مرجع سابق، ج5، ص374، مسند المكين، حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه، حديث رقم (15712).

¹¹² - رواه أحمد، المسند، مرجع سابق، ج1، ص675، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس، حديث رقم (2324) صححه ابن كثير وتبعه السيوطي في الخصائص.

أحاديث تحت على اتباع السنة:

1-عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ فَمَنْ كَانَتْ شِرَّتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ وَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ. (113)

2-عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ فَمَنْ وَرَدَ أَفْلَحَ، وَيُؤْتَى بِأَقْوَامٍ فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ أَيُّ رَبِّ فَيَقَالُ: مَا زَالُوا بَعْدَكَ يَرْتَدُّونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ. (114)

3-عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ الْكَيِّ قَالَ: فَابْتَلَيْنَا فَاسْتَوَيْنَا فَمَا أَفْلَحْنَا وَلَا أُنْجَحْنَا. (115)

4-قَالَ حُمَيْدٌ وَثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ: شَجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ فَانْزَلَتْ { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } . (116)

أحاديث تحت على الإنفاق:

1-عَنْ أَبِي السَّلِيلِ قَالَ: وَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ فِي مَجْلِسِنَا بِالْبَقِيعِ فَقَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَوْ عَمِّي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَيْلٌ لِأَصْحَابِ الْمِئِينَ مِنَ الْإِبِلِ ثَلَاثًا، قَالُوا: إِلَّا مِنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَجَمَعَ

¹¹³ - رواه أحمد، المسند، ج2، ص587، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم (6477)

¹¹⁴ - رواه أحمد، المسند، مرجع سابق، ج1، ص677، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس حديث رقم (2327)

¹¹⁵ - صحيح، رواه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج3، ص138، كتاب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في كراهية التداوي بالكى، حديث رقم (2049)

¹¹⁶ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج7، ص464، كتاب المغازي، باب ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليك، حديث رقم (4070).

بَيْنَ كَفَيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُزْهِدُ الْمُجْهَدُ ثَلَاثًا،
الْمُزْهِدُ فِي الْعَيْشِ الْمُجْهَدُ فِي الْعِبَادَةِ. (117)

أحاديث تحت على الإيمان بالله:

1- قَالَ أَبُو ذَرٍّ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ
لِلْإِيمَانِ وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا وَلِسَانَهُ صَادِقًا وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً
وَجَعَلَ أُذُنَهُ مُسْتَمِعَةً وَعَيْنَهُ نَازِرَةً فَأَمَّا الْأُذُنُ فَقَمِيعٌ وَالْعَيْنُ بِمُقَرَّةٍ لِمَا يُوعَى
الْقَلْبُ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ جَعَلَ قَلْبَهُ وَاعِيًا. (118)

2- عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدِّيلِيِّ وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ تَفْلَحُوا وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ
شَيْئًا وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا، إِلَّا أَنْ وَرَأَاهُ
رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ إِنَّهُ صَابِيٌّ كَاذِبٌ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا
قَالُوا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا:
عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ. (119)

أحاديث تحت على الجهاد في سبيل الله:

1- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا
الْخَيْرُ مَعْقُودٌ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رَبَطَهَا عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا
احْتِسَابًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ شَبَعَهَا وَجُوعَهَا وَرِييَهَا وَظَمَاءَهَا وَأَرْوَأَتْهَا وَأَبْوَالَهَا

¹¹⁷ - رواه أحمد، المسند، مرجع سابق، ج6، ص811، مسند البصريين، حديث رجل رأى النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (20630)

¹¹⁸ - رواه أحمد، المسند، ج7، ص152، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، حديث رقم (21635)

¹¹⁹ - رواه أحمد، المسند، مرجع سابق، ج5، ص499، مسند المكيين، حديث ربعة بن عباد الدليمي، حديث رقم (16119)

فَلَاخٌ فِي مَوَازِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ رَبَطَهَا رِيَاءً وَسُمْعَةً وَفَرَحًا وَمَرَحًا فَإِنَّ شِبَعَهَا
وَجُوعَهَا وَرِيَّهَا وَظَمَاءَهَا وَأَرْوَاثَهَا وَأَبْوَالَهَا خُسْرَانٌ فِي مَوَازِينِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ. (120)

¹²⁰ - رواه أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج 8، ص 906، مسند النساء، حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنهما،
حديث رقم (28126).

الفصل الثاني

الألفاظ المشابهة للفلاح في القرآن الكريم

ويحتوي على ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الفوز

المبحث الثاني: النجاة

المبحث الرابع: النصر

تمهيد:

عمدت في هذا الفصل إلى دراسة الألفاظ المشابهة للفلاح في القرآن الكريم لغاية توضيح هذا المفهوم القرآني بكل أبعاده في كتاب الله عز وجل.

وقد قمت في هذا الفصل بخطوات توضح عملي فيه كما يأتي:

1. الرجوع إلى كتب الأشباه والنظائر من أجل الحصول على كلمات مشابهة للفلاح في القرآن الكريم.
2. إعادة كل كلمة من الكلمات التي عثرنا عليها إلى جذرها الثلاثي.
3. البحث عن المعنى اللغوي الاشتقاقي لهذه الجذور الثلاثية في أمهات كتب اللغة.
4. الرجوع إلى كتب الأشباه والنظائر آنفة الذكر واستخراج معاني هذه الألفاظ التي وردت عليها في القرآن الكريم.
5. الرجوع إلى القرآن الكريم والمعجم المفهرس لألفاظه لحصر الآيات التي وردت فيها هذه الألفاظ والقيام بعملية إحصائية بسيطة لها.
6. الرجوع إلى كتب التفاسير لتوضيح اللفظة المرادة من نصها القرآني في السياقات المختلفة.

المبحث الأول

الفوز

قال ابن فارس: الفاء والواو والزاء كلمتان متضادتان: فالأولى النجاة، والأخرى الهلكة. (121)

والفوز: النجاة والظفر بالأمنية والخير، مع حصول السلامة (122)، والنجاة من الشر، (123)

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝ ﴾ (124)، وقال سبحانه: ﴿ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ ﴾ (125)، أي: فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله (126)، يُقال: فاز بالخير، وفاز من العذاب. وأفازهُ الله بكذا ففاز به، أي: ذهب به. (127) وخلص، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَنْ زُحِجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۚ ﴾ (128)، أي: فقد نجا وظفر بحاجته (129) وتباعد عن المكروه، ولقي ما يحب، يُقال لمن نجا من هلكة، ولمن لقي ما يُغلب به: قد فاز. (130) والفوز هنا دخول الجنة والنجاة من عذاب الله عز وجل، وعقابه يوم القيامة. فإنه كل ما يرجوه المؤمن يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها وقرأ:

121- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج1، ص132.

122- الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص648. المناوي: محمد عبد الرؤوف المناوي، متوفى سنة 1013هـ، التوقيف على مهمات التعاريف، ص566، إعادة الطبعة الأولى 1423هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سوريا.

123- الفراهيدي، العين، مرجع سابق، ج3، ص345.

124- [البروج: ١١]

125- [الأحزاب: ٧١]

126- الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج10، ص338.

127- ابن منظور: جمال الدين بن مكرم، متوفى سنة 711هـ، لسان العرب، ج10، ص347، ط3، دار إحياء التراث العربي. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان.

128- [آل عمران: ١٨٥]

129- الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج3، ص540.

130- ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ج1، ص412.

﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْغُرُورِ﴾

﴿١٨٥﴾ (131) « (132) واعلم أنه لا مقصود للإنسان وراء هذين الأمرين؛ الخلاص عن العذاب، والوصول إلى الثواب. فبين تعالى أن من وصل إلى هذين المطلوبين فقد فاز بالمقصد الأقصى والغاية التي لا مطلوب بعدها. (133) فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْحَزَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ" (134)

والمفازة: النجاة، وفي التتريل: ﴿فَلَا تَحْسَبْتُمْ مِمْفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (135) ﴿١٨٨﴾ وقيل: يبعد من العذاب، وأصل المفازة: المهلكة، سُميت تَفَاؤُلًا للفوز والسلامة (136)، وسُميت بذلك إذا وصل بها إلى الفوز، فإن القفز كما يكون سبباً للهلاك فقد يكون سبباً للفوز، فيسمى بكل واحدٍ منهما حسباً يتصور منه ويعرض فيه. وقال بعضهم: سُميت مَفَازَةً من قولهم: فوز الرجل: إذا هلك، فإن يكن فوزاً بمعنى هلك صحيحاً، فذلك راجع إلى الفوز تصوراً لمن مات بآئه نجا من حباله الدنيا، (137) فالموت - وإن كان من وجهه هلكاً - فمن وجهه فوز، ولذلك قال بعض السلف: ما من أحدٍ إلا والموت خيرٌ له من الحياة؛ لأنه إن كان مُحسناً فالله تعالى يقول: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (138) ﴿٣٦﴾

وإن كان مُسيئاً فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا نُمَلِّهِمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا﴾ (139) ﴿١٧٨﴾

¹³¹ - [آل عمران: 185]

¹³² - رواه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج، ص، كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، حديث رقم (١) وقال حديث حسن صحيح، وأصله في البخاري.

¹³³ - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 9، ص 103.

¹³⁴ - جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببينة الخلفاء الأول فالأول.

¹³⁵ - [آل عمران: ١٨٨]

¹³⁶ - المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، مرجع سابق، ص 566. ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 10، ص 347. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج 2، ص 334.

¹³⁷ - انظر: الفيروزآبادي، البصائر، مرجع سابق، ج 4، ص 219، الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 648. الكفوي، الكليات، مرجع سابق، ص 657، ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 10، ص 347.

¹³⁸ - [الشورى: ٣٦]

¹³⁹ - [آل عمران: 178]

هذا إذا عُدَّ بِحَالِ الدُّنْيَا، أمَّا إذا عُدَّ بِحَالِ الآخِرَةِ فِيمَا يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ فَهُوَ
 الْفَوْزُ الْكَبِيرُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۖ﴾ (١٨٥) (140)
 ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ۖ﴾ (١٨٨) (141) ، فَهِيَ مَصْدَرُ فَازَ ،
 وَالاسْمُ الْفَوْزُ، أَي: لَا تَحْسَبَنَّهُمْ يَفُوزُونَ وَيَتَخَلَّصُونَ مِنَ الْعَذَابِ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
 مَفَازًا ۖ﴾ (٣١) (142) ، أَي: فَوْزًا: أَي مَكَانَ فَوْزٍ ثُمَّ فُسِّرَ فَقَالَ: ﴿حَدَّائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ﴾ (٣٢) وَكَوَاعِبَ
 أَزْرَابًا ۖ﴾ (٣٣) وَكُلًّا دِهَاقًا ۖ﴾ (٣٤) (143) ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَيْنَ أَصْبِكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ
 لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا
 ۖ﴾ (٧٣) (144) ، أَي: أَنَّهُمْ يَحْرَصُونَ عَلَى أَغْرَاضِ الدُّنْيَا، وَيَعْدُونَ مَا يَنَالُونَهُ مِنَ الْغَنِيمَةِ فَوْزًا
 عَظِيمًا. (145)

وقد وَرَدَتْ كَلِمَةُ الْفَوْزِ وَمُسْتَقَاتُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي (29) مَوْضِعًا، مِنْهَا (12) مَوْضِعًا
 فِي آيَاتٍ مَكِّيَّةٍ، وَ(17) مَوْضِعًا فِي آيَاتٍ مَدَنِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَتْ عَلَى مَعْنَيْنِ (146):

1. النَّجَاةُ: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ﴾ (١٠٠) (147) وَهُوَ النَّجَاةُ مِنَ عَذَابِ
 جَهَنَّمَ وَمِنْ غَضَبِهِ جَلَّ وَعَلَا.

2. الْأَمَانَةُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۖ﴾ (٧٣) (148)

¹⁴⁰ - [آل عمران: ١٨٥]

¹⁴¹ - [آل عمران: ١٨٨]

¹⁴² - [النبا: ٣١]

¹⁴³ - [النبا: ٣٢ - ٣٤]

¹⁴⁴ - [النساء: ٧٣]

¹⁴⁵ - الزين: سميح عاطف، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص 694، ط 4، 1422 هـ، الدار الإفريقية العربية،
 دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان. الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 648.

¹⁴⁶ - النيسابوري، وجوه القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 256.

¹⁴⁷ - [التوبة: ١٠٠، النساء: 13، المائدة: 119، التوبة: 98، الصف: 12، التغابن: 9]

¹⁴⁸ - [النساء: ٧٣]

تعقيب على مفهوم الفوز

عبر دراستنا لمفهوم الفوز في القرآن يتبين لنا:

- أن الفلاح غير الفوز وإن كان هناك تشابه كبير بين المصطلحين من حيث المعنى.
- الفلاح أوسع مدلولاً من كلمة الفوز فالفلاح كلمة جامعة لكثير من الصفات لا توجد في معاني كلمة الفوز.
- الفوز هو النجاة والظفر بالخير مع حصول السلامة وهو تعريف يشترك مع الفلاح، إذ إن الفلاح والفوز هو ما يسعى إليه المؤمن في دنياه وأهم منها في أخره.
- قد يأتي الفوز بمعنى يناقض معنى الفلاح وهو الهلاك وهو بذلك يختلف مع الفلاح.
- جاء الفوز في القرآن الكريم على معنيين اثنين وهما النجاة والأمانة.

المبحث الثاني

النجاة

أصل النجاة: الانفصالُ عَنِ الشَّيْءِ⁽¹⁴⁹⁾، والخلاصُ مِنْهُ⁽¹⁵⁰⁾، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: نَجَا فُلَانٌ مِنْ فُلَانٍ وَأَنْجَيْتُهُ وَنَجَّيْتُهُ، إِذَا خَلَّصْتُهُ مِنْ شَرٍّ مَا وَقَعَ فِيهِ⁽¹⁵¹⁾. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾⁽¹⁵²⁾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا مُنْجُواكَ وَأَهْلَكَ﴾⁽¹⁵³⁾، أَي: نُخَلِّصُكَ وَأَهْلَكَ مِنَ الْعَذَابِ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا أَنْجَيْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾⁽¹⁵⁴⁾.

وَالنَّجْوَةُ وَالنَّجَاةُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ الْمُنْفَصِلُ بَارْتِفَاعِهِ عَمَّا حَوْلَهُ، وَقِيلَ: سُمِّيَ لِكَوْنِهِ نَاجِيًّا مِنَ السَّيْلِ⁽¹⁵⁵⁾.

وَنَاجَيْتُهُ أَي: سَارَرْتُهُ، وَأَصْلُهُ أَنْ تَخْلُوَ بِهِ فِي نَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ. وَقِيلَ: أَصْلُهُ مِنَ النَّجَاةِ، وَهُوَ أَنْ تُعَاوَنَهُ عَلَى مَا فِيهِ خَلَاصُهُ، أَوْ أَنْ تَنْجُوَ بِسِرِّكَ مِنْ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْكَ، وَتَنَاجَى الْقَوْمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾⁽¹⁵⁶⁾، وَقَدْ يُوصَفُ بِالنَّجْوَى، فَيُقَالُ: هُوَ نَجْوَى، وَهُمْ نَجْوَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾⁽¹⁵⁷⁾، وَالتَّجْيُ: الْمُتَاجِي، وَيُقَالُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ⁽¹⁵⁸⁾.

¹⁴⁹ - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 792.

¹⁵⁰ - ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 14، ص 62.

¹⁵¹ - ابن الجوزي، نزهة الأعين، مرجع سابق، ص 282. ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 14، ص 62.

¹⁵² - [النمل: ٥٣]

¹⁵³ - [العنكبوت: ٣٣]

¹⁵⁴ - [يونس: ٢٣]

¹⁵⁵ - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 792. ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 14، ص 62.

¹⁵⁶ - [المجادلة: ٩]

¹⁵⁷ - [الإسراء: ٤٧]

¹⁵⁸ - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 792.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٢﴾⁽¹⁵⁹⁾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ٨٠﴾⁽¹⁶⁰⁾، "وَانْتَجَيْتُ فُلَانٌ اسْتَخْلَصْتُهُ لِسِرِّي".⁽¹⁶¹⁾

وَالنَّجَاةُ وَمُشْتَقَاتُهَا وَرَدَّتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي (69) مَوْضِعًا، مِنْهَا (58) مَوْضِعًا فِي آيَاتٍ مَكِّيَّةٍ، وَ(11) مَوْضِعًا فِي آيَاتٍ مَدَنِيَّةٍ. وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى أَرْبَعَةِ مَعَانٍ:

1. الْخَلَاصُ مِنَ الضَّرِّ وَالْعُقُوبَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ أُمَمٍ

فِرْعَوْنَ ٤٩﴾⁽¹⁶²⁾، وَمِثْلُ ذَلِكَ فِي [الأعراف: 141] وَفِي [إبراهيم: 6]

2. السَّلَامَةُ مِنَ الْهَلَاكِ: وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ١٠٣﴾⁽¹⁶³⁾، وَمِثْلُ ذَلِكَ فِي [الشعراء: 65] وَفِي [مريم: 72] وَنَحْوُهُ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

3. الارتفاعُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ٩٢﴾⁽¹⁶⁴⁾، أَي: نَرْفَعُكَ فِي أَعْلَى الْبَحْرِ، وَقِيلَ: نُلْقِيكَ فِي النَّجْوَةِ وَهِيَ الارتفاعُ.

4. التَّوْحِيدُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُومِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ٤١﴾⁽¹⁶⁵⁾، أَي: أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ.⁽¹⁶⁶⁾

¹⁵⁹ - [مريم: ٥٢]

¹⁶⁰ - [يوسف: ٨٠]

¹⁶¹ - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 792. ابن الجوزي، نزهة الأعين، مرجع سابق، ص 282.

¹⁶² - [البقرة: ٤٩]

¹⁶³ - [يونس: ١٠٣]

¹⁶⁴ - [يونس: ٩٢]

¹⁶⁵ - [غافر: ٤١]

¹⁶⁶ - ابن الجوزي، نزهة الأعين، مرجع سابق، ص 282. الدامغاني، الوجوه والنظائر، مرجع سابق، ص 745.

تعقيب على مفهوم النجاة

عبر دراسة مفهوم النجاة يتبين لنا أن:

- النجاة تعني الخلاص من الشر وحصول الخير وهي في هذا الجانب مشتركة مع معنى الفلاح.
- النجاة تختلف عن الفلاح من حيث المدلول والشمول، إذ الملاحظ إن الفلاح مصطلح أشمل من مصطلح النجاة.
- جاءت النجاة على أربعة معان في القرآن الكريم، وهي الخلاص من العقوبة والسلامة من الهلاك والارتفاع والتوحيد، وهي معان موجودة في معاني الفلاح.

المبحث الرابع

النصر

النونُ والصَّادُ والراءُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على إتيانٍ خَيْرٍ. ونَصَرَ اللهُ المُسْلِمِينَ: آتَاهُمُ الظَّفَرَ على عَدُوِّهِمْ. (167)

النَّصْرُ والنُّصْرَةُ: العَوْنُ. (168) قَالَ تَعَالَى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ (١٣) ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (١) (170)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (١٦٠) (171). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَانْتَصَرَ فُلَانٌ: انتَقَمَ. وَالتَّصَرُّ: المَطَرُ. وَالتَّصَرُّ: الْإِتْيَانُ. يُقَالُ: نَصَرْتُ أَرْضَ بَنِي فُلَانٍ: أَتَيْتُهَا، وَأَنْشَدُوا:

إِذَا وَدَّعَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ فَوَدَّعِي
بِلَادَ تَمِيمٍ وَأَنْصُرِي أَرْضَ عَامِرٍ (172)

وُنُصْرَةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ ظَاهِرَةٌ، وَنُصْرَةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ هُوَ نُصْرَتُهُ لِعِبَادِهِ، وَالْقِيَامُ بِحِفْظِ حُدُودِهِ، وَرِعَايَةُ عُهُودِهِ، وَاعْتِنَاقُ أَحْكَامِهِ، وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ (173)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ (٢٥) (174)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ (٧) (175). وَقَوْلُهُ: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ

¹⁶⁷ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج2، ص563.

¹⁶⁸ - ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج14، ص160. الزين، معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم،

مرجع سابق، ص883. الفيروز ابادي، البصائر، مرجع سابق، ج5، ص69.

¹⁶⁹ - [الصف:13]

¹⁷⁰ - [النصر:1]

¹⁷¹ - [آل عمران:160]

¹⁷² - ابن الجوزي، نزهة الأعين، مرجع سابق، ص284.

¹⁷³ - الزين، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص883.

¹⁷⁴ - [الحديد:25]

¹⁷⁵ - [محمد:7]

اللَّهُ ١٤ ﴿١٤﴾ . والانتصار والاستينصار: طلبُ النصرة، قَالَ عَزَّ مَنْ قَاتِل: ﴿١٤﴾ وَإِنْ
 اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴿٧٢﴾ (177).

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿١٠﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿١٠﴾ (178). وإنما قَالَ انتصِر، وَلَمْ يَقُلْ:
 انصِر، تَنْبِيهاً أَنَّ مَا يُلْحِقُنِي يُلْحِقُكَ مِنْ حَيْثُ إِنِّي جِئْتُهُمْ بِأَمْرِكَ، فَإِذَا نَصَرْتَنِي فَقَدْ انْتَصَرْتَ
 لِنَفْسِكَ، وَالتَّنَاصُرُ: التَّعَاوُنُ (179). قَالَ تَعَالَى: ﴿٢٥﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ (180)، وَالتُّصَرَّةُ:
 حُسْنُ الْمَعُونَةِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿١٥﴾ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يُغِیْظُ ﴿١٥﴾ (181).
 أَي: مَنْ كَانَ يَظُنُّ مِنَ الْكُفَّارِ أَنَّ اللَّهَ لَا يُظْهِرُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ
 خَالَفَهُ، فَلْيَخْتَنِقْ غِیْظًا حَتَّى يَمُوتَ كَمَدًا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُظْهِرُهُ، وَلَا يَنْفَعُهُ غِیْظُهُ وَمَوْتُهُ
 خَنْقًا (182). قَالَ الرَّازِي رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا بِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِإِعْلَاءِ دَرَجَتِهِ وَالْإِنْتِقَامِ مِنْ
 كَذِبِهِ، مَنْ كَانَ يَظُنُّ ذَلِكَ، ثُمَّ يُغِیْظُهُ أَنَّهُ لَا يَظْفَرُ بِمَطْلُوبِهِ فَلْيَسْتَقْصِ وَسْعَهُ فِي إِزَالَةِ مَا
 يُغِیْظُهُ بِأَنْ يَفْعَلَ مَا يَفْعَلُ مَنْ بَلَغَ مِنْهُ الْغِیْظُ كُلَّ مَبْلَغٍ حَتَّى مَدَّ حَبْلًا إِلَى سَمَاءِ بَيْتِهِ فَاخْتَنَقَ ،
 فَلْيَنْظُرْ أَنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ هَلْ يُذْهِبُ نَصَرَ اللَّهِ الَّذِي يُغِیْظُهُ. (183)

176 - [الصف: 14]

177 - [الأنفال: 72]

178 - [القمر: 10]

179 - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 808

180 - [الصف: 25]

181 - [الحج: 15]

182 - الفراهيدي، العين، مرجع سابق، ج 4، ص 228. ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 14، ص 160.

183 - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 23، ص 15.

وكَلِمَةُ النَّصْرِ وَمُشْتَقَاتُهَا وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي (143) مَوْضِعًا، مِنْهَا (60) مَوْضِعًا فِي آيَاتٍ مَكِّيَّةٍ، وَ (83) مَوْضِعًا فِي آيَاتٍ مَدَنِيَّةٍ. وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى مَعَانٍ عِدَّة:

1. الْمَنْعُ، ⁽¹⁸⁴⁾ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ^(٨٦)

⁽¹⁸⁵⁾ . فَإِنْ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ نَعِيمٍ فِي الدُّنْيَا، وَمُلْكٍ، وَجَاهٍ، وَغَيْرِهِ لَنْ يَمْنَعَهُمْ مِنْ دُخُولِ جَهَنَّمَ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- وَلَنْ يَمْنَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصَرُونَ﴾ ^(٩٣) ⁽¹⁸⁶⁾ . أَي: يَمْنَعُونَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. فَإِنَّ الْآلِهَةَ الَّتِي عَبَدْتُمُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَالْأَصْنَامَ وَالْأَنْدَادِ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ الْيَوْمَ شَيْئًا، وَلَنْ تَمْنَعَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَنْ تَمْنَعَ نَفْسَهَا؛ فَإِنَّكُمْ وَإِيَّاهَا الْيَوْمَ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ. ⁽¹⁸⁷⁾

2. الْعَوْنُ، ⁽¹⁸⁸⁾ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ ^(٤٠) ⁽¹⁸⁹⁾ ،

أَي: وَلَيُعِينَنَّ اللَّهُ مَنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِهِ، لِتَكُونَ كَلِمَتُهُ الْعُلْيَا عَلَى عَدُوِّهِ؛ فَنَصْرُ اللَّهِ عَبْدَهُ: مَعُونَتُهُ إِيَّاهُ، وَنَصْرُ الْعَبْدِ رَبَّهُ: جِهَادُهُ فِي سَبِيلِهِ، لِتَكُونَ كَلِمَتُهُ الْعُلْيَا. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ قُوَّتُمْ لِنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ ^(١١) ⁽¹⁹⁰⁾ ، أَي: لَنُعَاوَنَنَّكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ.

3. الظَّفَرُ ⁽¹⁹¹⁾ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ^(٢٥٠)

⁽¹⁹²⁾ ، أَي: اجْعَلْ لَنَا الظَّفَرَ وَحُسْنَ الْعَاقِبَةِ. وَمِثْلُهُ فِي [آل عمران: 147]

¹⁸⁴ - ابن موسى، الوجوه والنظائر، مرجع سابق، ص 159. الدامغاني، الوجوه والنظائر، مرجع سابق، ص 775.

ابن الجوزي، نزهة الأعين، مرجع سابق، ص 284.

¹⁸⁵ - [البقرة: ٨٦]

¹⁸⁶ - [الشعراء: ٩٣]

¹⁸⁷ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج 3، ص 413.

¹⁸⁸ - ابن موسى، الوجوه والنظائر، مرجع سابق، ص 159. الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز،

مرجع سابق، ص 775. ابن الجوزي، نزهة الأعين، مرجع سابق، ص 284.

¹⁸⁹ - [الحج: ٤٠]

¹⁹⁰ - [الحشر: ١١]

¹⁹¹ - ابن موسى، الوجوه والنظائر، مرجع سابق، ص 159. الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز،

مرجع سابق، ص 775. ابن الجوزي، نزهة الأعين، مرجع سابق، ص 284.

¹⁹² - [البقرة: ٢٥٠]

4. الانتقام⁽¹⁹³⁾، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ أُنْصِرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾⁽¹⁹⁴⁾، أي: مَنْ أَخَذَ حَقَّهُ وَانْتَقَمَ مِنَ الَّذِي ظَلَمَهُ دُونَ تَعَدٍّ وَلَمْ يَظْلِم. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾⁽¹⁹⁵⁾. يَعْنِي: فَانْتَقِمَ لِي مِنْهُمْ بِعَذَابٍ تَبْعُهُ عَلَيْهِمْ⁽¹⁹⁶⁾

تعقيب على مفهوم النصر

عبر دراسة مصطلح النصر يتبين لنا أن:

- النصر إتيان الخير والظفر والعون والفوز في الدنيا.
- النصر منة من الله عز وجل لعباده المؤمنين على أعدائهم.
- قد يكون النصر من العبد للعبد بقدرته الله عز وجل وفضله.
- إذا ورد النصر في الحياة الدنيا يكون للمؤمنين على أعدائهم أما إذا ورد في القرآن فيكون منفيًا ويحيى مضافًا إلى الكافرين مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾⁽¹⁹⁷⁾ إلا في موضعين في القرآن الكريم إحداها في سورة الحشر: 12 في حديث القرآن الكريم عن أهل الكتاب والمنافقين. والآخر في: سورة القصص: 81 في الحديث عن قارون.
- النصر فلاح للمؤمنين في الدنيا، إذ هو نتيجة طبيعية للجهاد في سبيل الله الذي هو صفة من صفات المفلحين.⁽¹⁹⁸⁾

¹⁹³ - ابن موسى، الوجوه والنظائر، مرجع سابق، ص 159. الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز، مرجع سابق، ص 775. ابن الجوزي، نزهة الأعين، مرجع سابق، ص 284.

¹⁹⁴ - [الشورى: ٤١]

¹⁹⁵ - [القمر: ١٠]

¹⁹⁶ - النسفي، مدارك التنزيل، ج 2، ص 622، ط 1، 1416 هـ، دار النفائس، بيروت - لبنان .

¹⁹⁷ - [الأنبياء: ٣٩]

¹⁹⁸ - سيرد في الفصل الثالث إن شاء الله صفات المفلحين يذكر الباحث من ضمنها الجهاد في سبيل الله. فيما أن الجهاد صفة للمفلحين فالنصر إن شاء الله نتيجة لاتصاف المفلحين بهذه الصفة.

الفصل الثالث: صفات المفلحين

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول: الإيمان بالله عز وجل.

المبحث الثاني: محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه وطاعته.

المبحث الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الرابع: الجهاد في سبيل الله.

المبحث الخامس: الصبر.

المبحث السادس: ذكر الله عز وجل.

المبحث الأول

الإيمان بالله عز وجل

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) (199)

أي: قد أدرك الذين صدّقوا الله ورَسُولُهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَقْرَؤا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِمَّا سُمِّيَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْخُلُودَ فِي جَنَّاتِ رَبِّهِمْ وَفَازُوا بِطَلَبِهِمْ لَدَيْهِ. قَالَ كَعْبٌ: لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ بِيَدَيْهِ إِلَّا ثَلَاثًا: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ جَنَّةَ عَدْنَ بِيَدِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهَا تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) (200) لِمَا عَلِمْتَ فِيهَا مِنَ الْكَرَامَةِ (201).

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ سَمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيَّ النَّحْلِ فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَمَكَّنَا سَاعَةً فَسَرَّيْ عَنْهُ فَاسْتَقْبَلَ الْقَبِيلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا وَأَعْظِمْنَا وَلَا تَحْرِمْنَا وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا وَارْضْنَا وَارْضَ عَنَّا ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) (202) حَتَّى خَتَمَ الْعَشْرَةَ. (203)

و"قد" في الآية تُثَبِّتُ الْمُتَوَقَّعَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا مُتَوَقِّعِينَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْبَشَارَةِ وَهِيَ الْإِخْبَارُ بِثَبَاتِ الْفَلَاحِ لَهُمْ، فَخُوطِبُوا بِمَا دَلَّ عَلَى ثَبَاتِ مَا تَوَقَّعُوا. (204)

199 - [المؤمنون: 1].

200 - [المؤمنون: 1].

201 - الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج، ص، السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، ج7، ص183.

202 - [المؤمنون: 1].

203 - الواحدي: علي بن أحمد بن محمد بن علي، أسباب نزول القرآن، ص507، ط1، 1426هـ، دار الميمان، الرياض، المملكة العربية السعودية. الشربيني: محمد بن أحمد الخطيب، متوفى سنة 977هـ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، ج2، ص630، ط1، 1425هـ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان. الطبري: جامع البيان، ج9، ص196. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص3458. مرجعان سابقان.

204 - الزمخشري: الكشاف، مرجع سابق، ج3، ص177.

قَالَ الشُّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "قَدْ هُنَا يَجُوزُ أَنْ تُكُونَ تَأْكِيداً لِفَلَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَجُوزُ أَنْ تُكُونَ تَقْرِيباً لِلْمَاضِي مِنَ الْحَالِ، لِأَنَّ "قَدْ" تُقَرِّبُ الْمَاضِي مِنَ الْحَالِ حَتَّى تُلْحِقَهُ بِحُكْمِهِ، أَلَا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ قَبْلَ حَالِ قِيَامِهَا. فَيَكُونُ الْمَعْنَى فِي الْآيَةِ: أَنَّ الْفَلَاحَ قَدْ حَصَلَ لَهُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ." (205)

المطلب الثاني: معنى الإيمان

الإيمان لغة: التصديق، وفي الترتيل: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ (١٧) (206) أي: بمُصدق. (207) فَيُدْعَى الْمُصَدِّقُ بِالشَّيْءِ قَوْلًا مُؤْمِنًا بِهِ، وَيُدْعَى الْمُصَدِّقُ قَوْلُهُ فِعْلُهُ مُؤْمِنًا. (208) وَيَكُونُ بِمَعْنَى الْأَمَانِ، فَالْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ نَفْسَهُ بِإِيمَانِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُؤْمِنٌ لِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْعَذَابِ. وَيَكُونُ بِمَعْنَى الطَّمَأْنِينَةِ، فَالْمُصَدِّقُ بِالْخَيْرِ مُطْمَئِنٌّ إِلَيْهِ. وَيُطْلَقُ الْإِيمَانُ أَيْضًا عَلَى اجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ، وَعَلَى كُلِّ خِصْلَةٍ مِنَ الْفَرَائِضِ وَعَلَى كُلِّ طَاعَةٍ. (209)

الإيمان في الشرع: اختلف في معنى الإيمان شرعاً على أقوال كثيرة ليس هذا مجال سردها، إنما سأكتفي بما ذهب إليه أهل السنة في تعريف الإيمان:

الإيمان: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، (210) فمن أحل بالتصديق فهو منافق، ومن أحل بالإقرار فهو كافر، ومن أحل بالعمل فهو فاسق. فالإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل. (211)

205- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج2، ص1004، ط1، 1422هـ، عالم الكتب، بيروت- لبنان.

206- [يوسف: ١٧]

207- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج1، ص114. العز بن عبد السلام: عز الدين بن عبد العزيز، تفسير القرآن، ج1، ص99، ط1، 1416هـ، دار ابن حزم، المملكة العربية السعودية. ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص68، ط1، 1425هـ، دار عالم الكتب، بيروت- لبنان.

208- الطبري: جامع البيان، مرجع سابق، ج1، ص184.

209- ابن عبد السلام، تفسير القرآن، مرجع سابق، ج1، ص99.

210- ابن مندة: محمد بن اسحق بن يحيى، الإيمان، ج1، ص347، ط4، 1421هـ، دار ابن حزم، بيروت- دار الفضلية، الرياض. اللالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ج1، ص471، ط1، 1423هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

211- ابن تيمية: شيخ الإسلام أحمد عبد الحلیم، مجموعة الفتاوى، ج2، ص100، ط3، 1419هـ، دار الوفا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَأَنَّهُ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ. (212)

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْإِيمَانُ الشَّرْعِيُّ الْمَطْلُوبُ لَا يَكُونُ إِلَّا اعْتِقَادًا وَقَوْلًا وَعَمَلًا. وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَئِمَّةِ، بَلْ قَدْ حَكَاهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَأَبُو عُبَيْدٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ إِجْمَاعًا، أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ. (213)

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْإِيمَانُ شَرْعًا: تَصَدِيقُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ. وَقَالَ هَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (214)

قَالَ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْإِيمَانُ: الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَالتَّصَدِيقُ بِالْجَنَانِ. (215)

مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ السَّابِقَةِ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَهُوَ شَبَهُ إِجْمَاعٍ بَيْنَهُمْ كَمَا حَكَاهُ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ مِنْ أئِمَّةِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ وَمَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهٍ، أَمَّا تَعْرِيفُ الطَّحَاوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِلْإِيمَانِ، وَاقْتِصَارُهُ عَلَى الْإِقْرَارِ وَالتَّصَدِيقِ، فَهُوَ قَوْلٌ مُخَالِفٌ لِقَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُوَ تَعْرِيفٌ قَاصِرٌ وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَعْرِيفُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَصَوَّبٌ وَأَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ، وَهُوَ الْمُطَابِقُ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَلَا يُعْتَدُ بِخِلَافِ الطَّحَاوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَفِي الْقَوْلِ بَأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَاعْتِقَادٌ وَعَمَلٌ دَلِيلٌ وَاضِحٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ:

أَمَّا أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، فَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ (١٤) (216) وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا

212- الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مرجع سابق، ج1، ص184.

213- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج1، ص68.

214- ابن حجر: فتح الباري، مرجع سابق، ج1، ص67.

215- الطحاوي: أصول العقيدة الإسلامية للطحاوي، شرح علي بن أبي العز الأذري، ص112، ط1، 1407، مؤسسة

الرسالة - بيروت.

216- [الحجرات: ١٤]

بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴿٤١﴾ وَمَا رُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ قَوْلُهُ: "أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" (218)

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ اعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ

﴿١٤﴾ (219) وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴿٢٢﴾

﴿(220) وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلْسَانَهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ قَلْبَهُ" (221)

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ عَمَلٌ، قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

حُفَاءً وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ (222) وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿

فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ (223) وَمِنْ السُّنَّةِ

النَّبَوِيَّةِ حَدِيثُ الْأَعْرَابِيِّ - لَمَّا عَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَعْمَالَ، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتَ. فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَجْمُوعَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ إِذَا أَتَى بِهَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ. (224)

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا

رَزَقْتَهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

كَرِيمٌ ﴿٤﴾ (225) إِخْبَارٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا هَذِهِ الْأَعْمَالَ الَّتِي

بَعْضُهَا يَقَعُ فِي الْقَلْبِ، وَبَعْضُهَا بِاللِّسَانِ، وَبَعْضُهَا بِهِمَا وَسَائِرِ الْبَدَنِ. (226)

217- [المائدة: ٤١]

218- أخرجه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج1، ص102. كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، حديث رقم(17).

219- [الحجرات: ١٤]

220- [المجادلة: ٢٢]

221- رواه أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، ص765، كتاب الآداب، باب الغيبة، حديث رقم(4880). والترمذي بمعناه في سننه، ج3، ص127، كتاب البر والصلة والآداب، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، حديث رقم(2032).

222- [البينة: ٥]

223- [الكهف: ١١٠]

224- اللالكائي، شرح أصول أهل السنة والجماعة، مرجع سابق، ج1، ص471. بتصرف.

225- [الأنفال: ٢ - ٤]

226- البيهقي: أحمد بن الحسين ابن علي بن موسى، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، ص212، ط1، 1420هـ، دار ابن حزم - بيروت، دار الفضيلة- الرياض.

فَبَعْدَ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ، مِنْ نَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، لَا
اعْتِبَارَ مُخَالَفٍ فِي ذَلِكَ وَلَا لِقَوْلِهِ، وَمَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجُمَاعَةِ فِي ذَلِكَ هُوَ مِنْ صَرِيحِ
الْقُرْآنِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَهُوَ الصَّوَابُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وَالْمُؤْمِنُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ مِنْ نَفْسِهِ فِي أَمْنٍ وَالْخَلْقُ مِنْهُ فِي أَمْنٍ، وَيَأْلَفُهُ كُلُّ مَنْ يَرَاهُ
وَيَفْرَحُ بِرُؤْيَيْهِ كُلُّ مَحْزُونٍ، وَيَأْنَسُ بِهِ كُلُّ مُسْتَوْحَشٍ، وَيَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ هَائِمٍ، وَيَكُونُ
لِقَاؤُهُ سَلَوًى لِلْمُؤْمِنِينَ، وَمُجَالَسَتُهُ رَحْمَةً لِلْمُرِيدِينَ، وَكَلَامُهُ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. (227)

وعلى هذا فالمؤمن يجب أن يؤمن بالله عز وجل قولاً وفِعلاً واعتقاداً، وأن يؤمن
بأركان الإيمان كاملة دون أي شك في أي منها.

المطلب الثالث: أركان الإيمان (228)

وهي ستة أركان نذكرها باختصار شديد:

1. الإيمان بالله تعالى: وهو أن تُصدّق بوجود الله تعالى ووحدانيته، وأنه هو الإله
المعبود وحده، وتُخلص جميع أنواع العبادَةِ كُلِّهَا لَهُ، وتُنفيها عن كُلِّ مَعْبُودٍ
سِوَاهُ، وأن تُؤْمِنَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي أَخْبَرَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهَا، وأن تُؤْمِنَ
بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، كَمَا تُؤْمِنُ بِتَوْحِيدِ الْحَاكِمِيَّةِ، وَأَنْ تُثَبِّتَ أَفْعَالَ اللَّهِ
وآيَاتِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَأَنْ تُثَبِّتَ إِرَادَتَهُ وَقُدْرَتَهُ وَمَشِيعَتَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ. (229)

2. الإيمان بالملائكة: وهو أن تأخذ ما جاءت به النصوص القرآنية وما جاءت به
النصوص الحديثية الصحيحة عن عالمهم بتصديقٍ وِثْقَانٍ وَاطْمِئْنَانٍ، وَأَنْ لَا تُضَيِّفَ
عَلَى هَذِهِ النُّصُوصِ شَيْئاً مِنْ عِنْدِكَ؛ لِأَنَّهَا هِيَ وَحْدَهَا الْمَصْدَرُ الْيَقِينِيُّ عَنْ عَالَمِ
الْغَيْبِ وَمَا فِيهِ، وَأَنْهُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، كُلُّ لَهُ عَمَلُهُ لَا يَتَعَدَّاهُ، وَهُوَ عَلَى قَدَرٍ مَا
أُمِرَ بِهِ وَلَا يُقَصِّرُ عَنْهُ. (230)

227- السلمي: محمد بن الحسين بن موسى، حقائق التفسير، ج2، ص30، ط1، 1421هـ، دار الكتب العلمية، بيروت -
لبنان.

228- انظر: العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي، العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

229- انظر: مجموعة التوحيد لمجموعة من العلماء منهم شيخ الإسلام ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب وغيرهم، ج1،
ص14، ط1413هـ، دار البيان - دمشق.

230- انظر: الطحاوي، أصول العقيدة الإسلامية، ص121.

3. الإيمان بالكتب السماوية: وَهُوَ أَنْ تُصَدِّقَ بِوُجُودِهَا، وَإِنْزَالِهَا عَلَى السَّابِقِينَ، مَا سَمَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا فِي كُتُبِهِ، مِنَ التَّوْرَةِ، وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَكُتُبًا أَنْزَلَهَا لَمْ يُسَمِّهَا، وَأَنْ تَعْتَبِرَهَا مِنْ مَظَاهِرِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّاسِ، وَأَنَّهَا مُنَزَّلَةٌ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّهَا حَقٌّ وَهُدًى وَنُورٌ وَبَيَانٌ وَشِفَاءٌ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ خَاتَمُ هَذِهِ الْكُتُبِ، وَأَنْ اللَّهَ تَعَالَى تَعَهَّدَ بِحِفْظِهِ، وَأَنَّهُ سَيَقِي كِتَابَ الْبَشَرِيَّةِ الْخَالِدِ، وَنُورَهَا الْهَادِي، وَدُسْتُورَهَا الْعَادِلَ، وَقَائِدَهَا الرَّائِدَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. (231)

4. الإيمان بالرسول: أَنْ تُؤْمِنَ بِمَنْ قَصَّهُمْ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَخْبَرَنَا بِأَسْمَائِهِمْ وَأَنْ لَا تُخْرِجَ وَاحِدًا مِنْهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّ اللَّهَ رُسُلًا آخَرِينَ لَمْ يُخْبِرْنَا عَنْهُمْ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَنَّهُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَالَمِينَ، وَأَنْ رِسَالَتُهُ لِلنَّاسِ كَافَّةٌ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَأَنْ تُثَبِّتَ لَهُمُ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةَ، وَأَنْ تُنْزِعَهُمْ عَنِ الرَّذَائِلِ وَالْقَبَائِحِ وَالْمَعَاصِي. (232)

5. الإيمان باليوم الآخر: هُوَ أَنْ تُصَدِّقَ بِمَا وَرَدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَةِ النَّبَوِيَّةِ مِنْ عَوَالِمِ هَذَا الْيَوْمِ، وَأَحْدَاثِهِ، وَتَفْصِيْلَاتِهِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ، وَالْإِيمَانَ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَنَفَخَاتِ الصُّورِ، وَالْإِيمَانَ بِالْبَعْثِ، وَالْحَشْرِ، وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ، وَالْمِيزَانِ، وَالشَّفَاعَةِ، وَالْإِيمَانَ بِالْجَنَّةِ وَدَرَجَاتِهَا، وَالنَّارِ وَأَدْرَاكِهَا. (233)

6. الإيمان بالقدر: وَهُوَ أَنْ تُثَبِّتَ لِلَّهِ وَحْدَهُ الْفَاعِلِيَّةَ، وَالتَّأْثِيرَ، وَالْإِرَادَةَ النَّافِذَةَ الطَّلِيقَةَ فِي هَذَا الْوُجُودِ، وَأَنْ تَجْعَلَ النَّفْعَ وَالضَّرَرَ بِيَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ، وَكَذَلِكَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. (234)

هذه هي أركان الإيمان التي أمر الشارع الحكيم بالإيمان بها حتى يكون الفرد مؤمناً حقاً
فإن أنكر إحداها لم يصح إيمانه،

231- انظر: الخالدي: صلاح عبد الفتاح، في ظلال الإيمان، ج2، ص80-84، ط3، 1415هـ، دار القلم، دمشق - سوريا.

232- المرجع السابق نفسه.

233- انظر: الخالدي: صلاح عبد الفتاح، في ظلال الإيمان، مرجع سابق، ج2، ص82.

234- انظر: المرجع السابق.

المطلب الرابع: معاني الإيمان في القرآن الكريم

وَالْإِيمَانُ فِي الْقُرْآنِ جَاءَ عَلَى مَعَانٍ عِدَّةٍ، مِنْهَا:

1. التَّصْدِيقُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ (١٧) (235) أي بِمُصَدِّقٍ. (236)

2. التَّوْحِيدُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ (٥) (237) أي: يَكْفُرُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ. (238)

3. الصَّلَاةُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (١٤٣) (239) أي: صَلَاتُكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. (240)

4. الإِيمَانُ الشَّرْعِي: وَهُوَ مَا جَمَعَ الْأَرْكَانَ الثَّلَاثَةَ الْمَذْكُورَةَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا﴾ (٢٥) (241) وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. (242)

5. الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ تَصْدِيقٍ بِالْقَلْبِ: (243) وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ (٦٢) (244) أي آمَنُوا بِالسَّيِّئَةِ. (245)

235- [يوسف: ١٧]

236- ابن الجوزي، نزهة الأعين، ص45. موسى هارون، الوجوه والنظائر في القرآن، ص84. الدامغاني، الوجوه والنظائر، ص128. الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج2، ص150. النيسابوري، وجوه القرآن الكريم، ص29، مراجع سابقة. يحيى بن سلام، التصارييف تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، ص108، ط1997، الشركة التونسية للتوزيع.

237- [المائدة: ٥]

238- ابن الجوزي، نزهة الأعين، ص45. موسى هارون، الوجوه والنظائر في القرآن، ص84. الدامغاني، الوجوه والنظائر، ص128. الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج2، ص150. النيسابوري، وجوه القرآن الكريم، ص29. يحيى بن سلام، التصارييف، ص109. مراجع سابقة.

239- [البقرة: ١٤٣]

240- الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج1، ص150. ابن الجوزي، نزهة الأعين، ص46. النيسابوري، وجوه القرآن الكريم، ص29. مراجع سابقة.

241- [البقرة: ٢٥]

242- ابن الجوزي، نزهة الأعين، ص45. النيسابوري، وجوه القرآن الكريم، ص29. مرجعان سابقان.

243- في هذه الآية اختلف العلماء في تفسيرها على وجوه كثيرة، أحد الوجوه هو القول الذي ذكر، انظر: ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير في تفسير الآية 62 من سورة البقرة، ط4، 1407هـ، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان.. ومفاتيح الغيب، في تفسير هذه الآية. القرطبي، والجامع لأحكام القرآن. وغيرها من التفاسير.

6. الدُّعَاءُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّو

لَمَّا ءَامَنُوا ﴿٩٨﴾ (246) أَي: دَعَوْا. (247)

وَعَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْإِيْمَانِ أَنَّ الْإِيْمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَيَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالْمُؤْمِنُ مُطَالِبٌ بِزِيَادَةِ إِيْمَانِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ (248)(249)

قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَقِيتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْصَارِ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَخْتَلِفُ فِي أَنَّ الْإِيْمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ. (250) وَكَفَاكَ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ. وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِيْمَانُ لَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، ظَاهِرُهُ قَوْلُ اللِّسَانِ وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ، وَبَاطِنُهُ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ، وَانْقِيَادُهُ وَمَحَبَّتُهُ، فَلَا يَنْفَعُ ظَاهِرٌ لَا بَاطِنَ لَهُ، وَإِنْ حُقِنَ بِهِ الدِّمَاءُ وَعَصِمَ بِهِ الْمَالُ وَالذَّرِيَّةُ، وَلَا يُجْزِئُ بَاطِنٌ لَا ظَاهِرَ لَهُ، إِلَّا إِذَا تَعَذَّرَ بِعَجْزٍ أَوْ إِكْرَاهٍ وَخَوْفٍ هَلَاكَ، فَتَخَلَّفَ الْعَمَلُ ظَاهِرًا مَعَ عَدَمِ الْمَانِعِ دَلِيلٌ عَلَى فُسَادِ الْبَاطِنِ وَخُلُوهِ مِنَ الْإِيْمَانِ، وَنَقْصِهِ دَلِيلٌ نَقْصِهِ، وَقُوَّتُهُ دَلِيلُ قُوَّتِهِ، فَالْإِيْمَانُ قَلْبُ الْإِسْلَامِ وَلُبُّهُ، وَالْيَقِينُ قَلْبُ الْإِيْمَانِ وَلُبُّهُ، وَكُلُّ عِلْمٍ وَعَمَلٍ لَا يَزِيدُ الْإِيْمَانَ وَالْيَقِينَ قُوَّةً، فَمَدْخُولٌ، وَكُلُّ إِيْمَانٍ لَا يَبْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ فَمَدْخُولٌ. (251)

244- [البقرة: ٦٢]

245- الدامغانى، الوجوه والنظائر، ص127. سلام، التصارييف، ص108. النيسابوري، وجوه القرآن الكريم، ص29. مراجع سابقة.

246- [يونس: ٩٨]

247- ابن الجوزي، نزهة الأعين، مرجع سابق، ص45.

248- [الأنفال: ٢]

249- انظر: الطحاوي، العقيدة الطحاوية، ص20. ابن تيمية، العقيدة الواسطية، ص135. مرجعان سابقان.

250- ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج1، ص60، كتاب الإيمان.

251- ابن القيم: محمد بن أبي بكر الحنبلي، الفوائد، ص131، ط1، 1423 هـ، دار ابن حزم.

المطلب الخامس: صفات المؤمنين المفلحين

ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ أَنْ بَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَلَاحِهِمْ وَنَجَاتِهِمْ وَنِيلَ رِضْوَانِهِ عَزَّ وَجَلَّ الصِّفَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ وَيَحْرَصُوا عَلَيْهَا لِكَيْ يُفْلِحُوا وَهِيَ:

الصفة الأولى: الخشوع في الصلاة

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (252)

أي: يُؤَدُّونَ صَلَاتَهُمْ فِي خُشُوعٍ وَخَشْيَةٍ وَوَلَاءٍ، إِنَّمَا صَلَاةٌ تَفِيضُ مِنْ خَاشِعٍ لَجَلَالِ اللَّهِ، رَاهِبٍ لِعَظَمَتِهِ، فَكَيَانُ الْمُؤْمِنِ كُلِّهِ وَوُجْدَانُهُ جَمِيعُهُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِ الصَّلَاةِ، مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِ هَذَا الْجَلَالُ مُسْتَوَلِيَّةٌ عَلَيْهِ تِلْكَ الرَّهْبَةُ. (253)

وَالْخُشُوعُ لُغَةً: رَمَى الْبَصَرَ نَحْوَ الْأَرْضِ وَغَضَّهُ وَخَفَضَ الصَّوْتَ، وَالْإِخْبَاتُ وَالتَّذَلُّلُ (254) وَطَاطَأَةُ الرَّأْسِ. (255) وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْخُضُوعِ إِلَّا أَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْبَدَنِ، وَالْخُشُوعَ فِي الْبَدَنِ وَالْبَصَرَ وَالصَّوْتَ. (256)

وشرعا للعلماء رحمهم الله فيه أقوال كثيرة منها:

قال عمرو بن دينار: هو السكوت وحسن الهيئة، وقال مجاهد: غض البصر وخفض الجناح. (257) وقال مسلم بن يسار وقتادة: تنكيس الرأس، وقال الحسن البصري: الخوف. (258) وروى عنه أنه قال: الذين لا يرفعون أيديهم في الصلاة إلا في التكبيرة الأولى. (259) وروى عن علي رضي الله عنه قال: أن لا تلتفت في صلاتك يمينا ولا شمالا. (260)

252- [المؤمنون: ٢].

253- الخطيب: عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، ج5، ص1111، دبط، دار الفكر العربي.

254- ابن منظور، لسان اللسان، مرجع سابق، ج1، ص340.

255- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج1، ص359.

256- ابن منظور، لسان اللسان، مرجع سابق، ج1، ص340، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج1، ص359.

257- ابن حبان، البحر المحيط، مرجع سابق، ج2، ص408.

258- ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ج5، ص459. والمرجع السابق نفسه.

259- السمرقندي، بحر العلوم، مرجع سابق، ج2، ص408.

260- ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ج5، ص459.

وعن أبي الدرداء: إعظام المقام، وإخلاص المقال، واليقين التام وجمع الاهتمام.
(261)

ومن الخشوع أيضاً الأدب في الصلاة، فيتوقى العبث بجسده وثيابه، والالتفات والتشاؤب،
والتغميض والفرقة، والتشبيك. (262)

والخشوع في الصلاة إنما يحصل بمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها
على غيرها، وحينئذ تكون له راحة وقرة عين، (263) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:
"وجعلت قرة عيني في الصلاة" (264) وقال صلى الله عليه وسلم: "يا بلال أرحنا
بالصلاة" (265)

قال ابن رجب رحمه الله: أصل الخشوع هو لين القلب ورقته، وسكونه وخضوعه
وانكساره، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الأعضاء والجوارح، لأنها تابعة له كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْعَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا
فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" (266) فإذا خشع القلب خشع السمع، والبصر،
والرأس، والوجه، وسائر الأعضاء، وما ينشأ منها حتى الكلام. ورأى بعض السلف رجلاً
يعبث بيده في الصلاة، فقال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه. (267) وأصل الخشوع
الحاصل في القلب إنما هو من معرفة الله عز وجل، وعرفة عظمتة وجلاله وكماله، فمن
كان بالله أعرف فهو له أخشع، ويتفاوت الخشوع في القلوب بحسب تفاوت معرفتها لمن
خشعت. (268)

261- ابن حبان، البحر المحيط، مرجع سابق، ج6، ص365.

262- بسبولي: عبد الفتاح فيود، من هدي القرآن، ص10، ط1، 1409هـ، مطبعة السعادة، مصر.

263- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج3، ص292.

264- الصنعاني: عبد الرزاق بن همام، المصنف، ج4، ص321، باب المرأة تصلي وليس في رقبته قلادة
وتطيط الرجال، حديث رقم (7939) ط2، 1403هـ، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان.

265- الشيباني: الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج16، ص519، مسند باقي الأنصار، أحاديث رجال من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (22982) ط1416، 1هـ، دار الحديث، القاهرة.

266- رواه البخاري، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج1، ص155، كتاب الإيمان، باب فضل
من استبرأ لدينه، حديث رقم (52).

267- ابن رجب: عبد الرحمن بن أحمد، الخشوع في الصلاة، ص3، مكتبة المصطفى.

268- المرجع السابق نفسه، ص5.

قال ابن القيم رحمه الله: إن للعبد بين يدي الله موقفين، موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هُوَن عليه الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يُوفِّه حقه، شُدَّ عليه ذلك الموقف. (269)

وبالخشوع يستشعر القلب رهبة الموقف في الصلاة بين يدي الله، فتسكن وتخضع ويسري الخشوع منها إلى الجوارح والملاحم والحركات، ويغشى أرواحهم جلال الله في حضرته، فتختفي من أذهانهم جميع الشواغل ولا تشتغل بسواه، فلا يشهدون إلا هو ولا يخشون إلا إياه، ولا يتذوقون إلا معناه، ويتطهر وجدانهم من كل دنس، وينفضون عنهم كل شائبة. (270)

فالخشوع كما وصفه العلامة الهلالي (271):

التزام عملي ببطاعة الله جل جلاله وترك معصيته، وهو هيئة في النفس المطمئنة يظهر منها على الجوارح سكون ووقار، وبه يتأثر القلب بجلال الله واستحضار عظمته وهيئته سبحانه، وهو قيام للقلب بين يد الله عز وجل بالخضوع والذل، وهو إشراق لأنوار التعظيم في القلب، وخمود لنار الشهوات والشبهات، وهو قبول وانقياد للحق إذا خالف الهوى والمراد.

وقد حثَّ الرسول صلى الله عليه وسلم على الخشوع في الصلاة وبين أجره وحببه إلى أصحابه رضوان الله عليهم، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيَحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كِبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ. (272) وقد عاتب الله عز وجل المؤمنين الذين لم يخشعوا ولم يصلوا إلى المرتبة التي يريدونها فقال عز وجل معاتباً: ﴿لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ

269- ابن القيم: ، الفوائد، مرجع سابق، ص131.

270- البازوي: محمد علي، الغيب والشهادة من خلال القرآن، ج5، ص15، ط1، 1407هـ، دار الفاروق، بيروت- لبنان.

271- الهلالي: سليم عبد الله، الخشوع وأثره في بناء الأمة، ص12، ط1، 1410هـ، دار ابن الجوزي، السعودية.

272- رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج3، ص96، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، حديث رقم (228).

اللَّهُ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴿١٦﴾ (273) قال ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين. (274)

وللخشوع درجات، كما ذكرها الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (275):

أولها: التذلل للأمر فيتلقاه الإنسان بالقبول وينقاد له ويتمثل. والاستسلام للحكم: فلا يعارضه برأي، أو شهوة، وعدم تلقيه بالسخط والكراهة. والاتضاع لنظر الحق: فهو اتضاع القلب والجوارح وانكسارها لربها.

ثانيها: ترقب آفات النفس والعمل: وهو انتظار ظهور نقائص النفس، وعيوبها، فانه يجعل القلب خاشعا. ورؤية فضل كل ذي فضل عليك: فيراعي حقوق الناس ويؤديها، ويعترف بفضل ذي الفضل منهم.

ثالثها: حفظ الحرمة عند المكاشفة: فهو ضبط النفس بالذل والانكسار، فان الانكسار يوجب بسطا. وتجريد رؤية الفضل: فلا يرى الفضل والإحسان إلا من الله، فهو المان به بلا سبب ولا شفيع.

الصفة الثانية: الإعراض عن اللغو

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (٢) (276)

أي: عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه، (277) وهو يشمل الشرك والمعاصي وما لا فائدة منه من الأقوال والأفعال، (278) وقد شاع في الكلام الذي يورد لا عن روية وفكر فيجري مجرى اللغاء، وقد يسمى كل كلام قبيح لغو. (279) ولا تعارض في هذه الأقوال فهو يشملها جميعها وقد لخص الإمام النسفي رحمه الله ذلك فقال: هو كل كلام

²⁷³ - [الحديد: ١٦]

²⁷⁴ - رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج 18، ص 126، كتاب التفسير، باب في قوله

تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [١٦] [الحديد: ١٦]، حديث رقم (3027)

²⁷⁵ - انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج 1، ص 576. بتصرف.

²⁷⁶ - [المؤمنون: ٣]

²⁷⁷ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج 9، ص 198.

²⁷⁸ - الألوسي، روح المعاني، ج 9، ص 208. الشنقيطي: أضواء البيان، ج 5، ص 306. مرجعان سابقان

²⁷⁹ - الألوسي: روح المعاني، مرجع سابق، ج 9، ص 208.

ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل، يعني: أن لهم من الجدد ما شغلهم عن الهزل، ولما وصفهم بالخشوع اتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو، ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف. (280)

ويرى الرازي أن في اللغو أربعة أقوال: أحدها: أنه يدخل فيه كل ما كان حراماً أو مكروهاً أو كان مباحاً، ولكن لا يكون بالمرء إليه ضرورة وحاجة. وثانيها: أنه عبارة عن كل ما كان حراماً فقط، وهذا التفسير أخص من الأول. وثالثها: أنه عبارة عن المعصية في القول والكلام خاصة، وهذا أخص من الثاني. ورابعها: أنه المباح الذي لا حاجة إليه. (281)

وروي عن ابن عباس أنه الباطل، وعن الحسن أنه المعاصي، (282) وعن النقاش أنه الشتم، لأن كفار مكة كانوا يشتمون المسلمين فهو عبارة عن الإجابة. (283)

فهم معرضون عن كل لغو، لغو القول، ولغو الفعل، ولغو الشعور، إن للقلب المؤمن ما يشغله عن الله والهذر، له ما يشغله من ذكر الله، وتصور جلاله، وتدبر آياته في الأنفس والآفاق....، له ما يشغله من تكاليف العقيدة، من تطهير القلب، وتركبة النفس وتنقية الضمير، تكاليفها في السلوك والثبات على الإيمان، تكاليف كثيرة لا يغفل عنها المؤمن، ولا يُعفي نفسه منها، وهي مفروضة عليه فرض عين أو فرض كفاية. (284)

فالمؤمن المعرض عن اللغو يترفع عن محقرات الأمور، ويخشى من خسارة رأس ماله، دون تحقيق الربح بالعمل الصالح، فهو عالي الهمة يترفع عن الصغائر وينشد المعالي والكمال، فهو مكرم لنفسه بعدم تضييعها ووقته في مثل ذلك، بل يحافظ على رأس ماله الذي هو وقته بعبادة الله سبحانه وعدم تضييعه في اللغو. (285) فهم يدركون قيمة الوقت

280- النسفي: عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي، ج2، ص128، ط1، 1416هـ، دار النفائس، بيروت- لبنان.

281- الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج23، ص70.

282- الماوردي: علي بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون، ج4، ص26، د. ط، دار الكتب العلمية، دار الكتب الثقافية، بيروت- لبنان. البغوي: الحسين بن مسعود الفراء، معالم التنزيل، ج4، ص373، ط1، 1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

283- الرازي: مفاتيح الغيب، ج23، ص70. الشنقيطي، أضواء البيان، ج5، ص306. مرجعان سابقان.

284- انظر: قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2454. البازوري: محمد علي، الغيب والشهادة من خلال القرآن، ج5، ص15. مرجعان سابقان.

285- الميداني: عبد الرحمن حسن، تدبر سورة الفرقان، ص322، ط1، 1412هـ، دار القلم، دمشق- سوريا، بتصرف.

ويعلمون أن الزمن الذي يمر عليهم هو أعلى ما يملكونه في حياتهم مع ما منحهم الله من طاقات فكرية وجسمية ونفسية، فإذا أذنوا لأوقاتهم أن تضيع في اللغو الذي لا فائدة منه في دنياهم أو أخراهم، فقد أعطوا رؤوس أموالهم بقدر الزمن الذي أنفقوه في اللغو، وهم يعلمون أن الخسارة التي يخسرونها بذلك يصعب تعويضها. (286)

الصفة الثالثة: أداء الزكاة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٤) (287)

الزكاة: هي النماء والزيادة، وسميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال وهو زيادته ونماؤه، وقيل الطهارة، قال تعالى: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (١٣) (288) والأصل في ذلك راجع إلى هذين المعنيين وهما النماء والطهارة. (289)

وقيل الزكاة بمعنى الصلاح، وزكى نفسه مدحها، وزكاة المال تطهيره، وتركى: تصدَّق. (290)

والزكاة في الشرع: اسم صريح لأخذ شيء مخصوص، (291) من مال مخصوص، (292) على أوصاف مخصوصة، (293) لطائفة مخصوصة. (294)

قال ابن قدامة رحمه الله (295): هي حق يجب في المال. وقال ابن مفلح رحمه الله (296): هي حق يجب في مال خاص. وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله (297): اسم لما يخرج من مال وبدون على وجه معين. وأضاف ابن الملقن رحمه الله (298): طهرة له (299).

286 - محمود: محمد حمودة، صفات عباد الرحمن في آيات من الفرقان، ص141، ط1، 2004م، مؤسسة الوارق للنشر والطباعة، عمان- الأردن.

287 - [المؤمنون: ٤] .

288 - [التوبة: ١٠٣]

289 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج1، 529.

290 - ابن منظور، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، مرجع سابق، ج2، ص35.

291 - نسبة ومقدار معين.

292 - النصاب

293 - ضمن شروط.

294 - الماوردي: علي بن محمد بن حبيب، الحاوي الكبير، ج4، ص3، ط1414هـ، دار الفكر، بيروت- لبنان. انظر: القليوبي: شهاب الدين احمد بن أحمد بن سلامة، وعميرة: شهاب الدين أحمد البرلسي، حاشيتنا القليوبي وعميرة، ج2، ص3، ط2، 1424هـ، دار الكتب العلمية- لبنان.

والطائفة المستحقة للزكاة ثمانية أصناف، حددها الله عز وجل في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٠) (300)

والزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأموال الدنيوية والأخروية، والزكاة لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيه من رجاء البركة، أو لتزكية النفس أي تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعاً فان الخيرين موجودان فيها. (301)

أما معنى الزكاة في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ (٤) (302) فقد اختلف العلماء رحمهم الله فيها على قولين:

إحداها: أن فعل الزكاة يقع على كل فعل محمود مرضي، ومن جملة ما يخرج من حق المال، وإنما سمي بذلك لأنها تطهر من الذنوب، لقوله تعالى: ﴿ تَطَهَّرُهُمْ وَتَزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (١٠٣) (303)

والثاني: وهو قول الأكثرين، أنه الحق الواجب في الأموال خاصة، وهذا هو الأقرب، لأن هذه اللفظة قد اختصت بالشرع بهذا المعنى. (304)

295- ابن قدامة: عبد الله بن حمد بن محمد المقدسي، المغني، ج2، ص572، 1425هـ، دار الحديث، القاهرة - مصر.

296- ابن مفلح: محمد بن مفلح المقدسي، الفروع، ج1، ص247، ط1، 1218هـ، دار الكتب العلمية- لبنان.

297- الهيثمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر، تحفة المحتاج بشرح المنهاج، ج1، ص439، ط1، 1421هـ، دار الكتب العلمية، لبنان.

298- ابن الملقن: عمر بن علي بن أحمد، عجلة المحتاج إلى توجيه المنهاج، ط2001م، دار الكتاب - الأردن.

299- أي للمال.

300- [التوبة: ٦٠].

301- الأصفهاني: المفردات، مرجع سابق، ص381.

302- [المؤمنون: ٤].

303- [التوبة: ١٠٣].

304- الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج23، ص70.

فإن قيل: لم قيل فعل الزكاة وليس أداؤها؟ يُرد: نسب الفعل للزكاة وليس للأداء، لما في الفعل من حث على العمل والسعي والكسب، فالمؤمن يسعى ويكد ليس فقط لكي ينفق على نفسه وعياله، بل من أجل الزكاة ومن أجل أن يصير غنياً ولديه المال الذي تجب فيه الزكاة.⁽³⁰⁵⁾ ولأن لفظ "فاعلون" يدل على المداومة والاستمرار،⁽³⁰⁶⁾ ولفظ الفعل يدل على أنه قد أصبح طبعاً وسجية فيهم.

أما الزمخشري فيرى أن الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى، فالعين القدر الذي يخرج المزكي من النصاب إلى الفقير، والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية، وهو الذي أَرادَهُ اللهُ تعالى، فجعل المزكين فاعلين له، ولا يسوغ فيه غيره لأنه ما من مصدر إلا يُعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل، فيقال للقاتل فاعل القتل، وللمزكي فاعل الزكاة.⁽³⁰⁷⁾

أما سيد قطب رحمه الله فقد كانت نظرتَه أشمل ونظر إليها من منظور آخر، ولم يقتصر على المعنى الحرفي لها، فقال رحمه الله: والزكاة طهارة للقلب والمال: طهارة للقلب: من الشح، واستعلاء على حب الذات، وانتصار على وسوسة الشيطان بالفقر، وثقة بما عند الله من العوض والجزاء. وطهارة للمال: تجعل ما بقي منه بعدها طيباً حلالاً، لا يتعلق به حق إلا في حالات الضرورة ولا تحول حوله شبهة. وهي صيانة للجماعة من الخلل الذي ينشئه العوز في جانب والترف في جانب، فهي تأمين اجتماعي للأفراد جميعاً، وهي ضمان اجتماعي للعاجزين، وهي وقاية للجماعة كلها من التفكيك والانحلال.⁽³⁰⁸⁾

والزكاة تعد ركناً من أركان الإسلام الخمسة، وهي كما ذكرنا في معناها اللغوي النماء والتطهير، فكأن الأموال تحتاج كما النفوس التي تطهر بالصلاة والحج وسواها من العبادات والشعائر إلى التطهير من خلال هذه الصدقة أو الفريضة السنوية، والنصوص القرآنية التي غالباً ما تَقْرَنُ الزكاة بالصلاة تعطي الانطباع بأن الزكاة على المستوى نفسه من الأهمية لدى المسلم المؤمن، فالصلاة فرض على المؤمن وهي فريضة روحية يؤدي من

³⁰⁵ - بسبب: من هدي القرآن الكريم، مرجع سابق، ص14.

³⁰⁶ - ظهمن، من موضوعات سور القرآن الكريم، مرجع سابق، ص12.

³⁰⁷ - الزمخشري: الكشاف، مرجع سابق، ج3، ص26.

³⁰⁸ - قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج4، ص2455.

خلالها حق الله تعالى والزكاة فريضة مادية تتعلق بحق الله وبحق العباد فهو يؤدي من خلالها حق إخوته البشر.

ولفظ الزكاة ينسب تارة إلى العبد لاكتسابه ذلك، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) ﴿٣٠٩﴾ وتارة إلى الله تعالى لكونه فاعلاً لذلك في الحقيقة، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ (٤٩) ﴿٣١٠﴾ وتارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (١٠٣) ﴿٣١١﴾ وتارة إلى العباد التي هي آلة في ذلك، قال تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً﴾ (١٣) ﴿٣١٢﴾ أي زكى الخلقة عن طريق الاجتهاد، وهو أن يجعل سبحانه بعض عباده عالماً وطاهر الخلق، لا بالتعلم والممارسة، بل بقوة إلهية كما يكون لكل الأنبياء والرسل، ويجوز أن يكون تسميته بالزكي لما يكون عليه في الاستقبال وفي الحال والمعنى سيتزكى. (٣١٣)

فضل الزكاة

الزكاة: برهان على صدق الإيمان ووقاية للنفس من الشح، وتطهر النفس من حقوق الغير. وتعمل على تقوية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وتساعد على حل معضلة الفقر التي أعجزت العالم العاصر، وهي سبب في ثناء المال وبركته، وبها يؤدي العبد شكر نعمة المال الذي هو مال الله عز وجل، والعبد وكيل عليه. ثم إن الفلاح مضمون لمن زكى نفسه وطهرها بالتقوى والعبادة. (٣١٤)

آثار الزكاة على الفرد والمال والمجتمع

أما في المال: فإنها تطهره وتزيد بركته، وتحفظه من الآفات ويمنع الله عنه أسباب التلف والضياع بسببها.

³⁰⁹ - [الشمس: ٩]

³¹⁰ - [النساء: 49] وفي النور: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾ [النور: ٢١]

³¹¹ - [التوبة: ١٠٣]

³¹² - [مريم: 13]

³¹³ - الأصفهاني: المفردات، مرجع سابق، ص 381.

³¹⁴ - انظر: نضرة النعيم، مرجع سابق، ج 6، ص 2216.

أما بالنسبة للفرد: فإن الله عز وجل يغفر ذنبه، ويرفع درجاته، ويكثر حسناته ويشفيه من أمراض البخل والشح والطمع والأنانية والاستئثار.⁽³¹⁵⁾

أما بالنسبة للمجتمع: فإن الزكاة تعالج جانباً خطيراً منه خصوصاً إذا عرفنا مصارف الزكاة، وأدركنا بأن الله تعالى سد بهذه الزكاة جوانب عديدة في المجتمع الإسلامي، فالفقير والمدين وغيرهم ممن تجب لهم الزكاة، الذين لا يجدون ما ينفقون، ينظرون إلى أموال الأغنياء بنفوس حاقدة، وقلوب منكرة، ورغبات مدمرة، إذا لم يعطهم الأغنياء حقهم الذي فرضه الله تعالى لهم.⁽³¹⁶⁾ وفي إعطاء الزكاة للفرد يقوي فإن ذلك يقوي أواصر المجتمع المسلم ويشد بعضه بعضاً، إذ إن المجتمع ليس إلا مجموعة أفراد، فكل ما يقوي شخصية الفرد وينمي مواهبه وطاقاته المادية والمعنوية، هو من غير شك تقوية للمجتمع، وترقية له.⁽³¹⁷⁾

الحكمة من إيجاب الزكاة

وهي كثيرة منها:

أولها: أن المال محبوب بالطبع، والسبب فيه أن القدرة صفة من صفات الكمال محبوبة لذاتها، والمال سبب لحصول تلك القدرة، ولكمالها في حق البشر فكان أقوى أسباب القدرة في حق البشر هو المال، والذي يتوقف عليه المحبوب فهو محبوب، فكان المال محبوباً، إلا أن الاستغراق في حبه يذهل النفس عن حُب الله وعن التأهب للآخرة فاقتضت حكمة الشرع تكليف مالك المال بإخراج طائفة منه من يده، ليصير ذلك الإخراج كسراً من شدة الميل إلى المال، ومنعاً من انصراف النفس بالكلية إليها وتنبهها لها على أن سعادة الإنسان لا تحصل عند الاشتغال بطلب المال وإنما تحصل بإنفاق المال في طلب مرضاة الله تعالى فإيجاب الزكاة علاج صالح متعين لإزالة مرض حب الدنيا عن القلب،⁽³¹⁸⁾ فهي تطهر النفس من داء الشح والبخل، وتعود المؤمن على البذل والعطاء.⁽³¹⁹⁾ فالله سبحانه

³¹⁵ - القرضاوي، فقه الزكاة، مرجع سابق، ج2، ص856. يتصرف

³¹⁶ - أيوب: حسن، فقه العبادات، ص346، ط2، 1423هـ، دار السلام.

³¹⁷ - القرضاوي، فقه الزكاة، مرجع سابق، ج2، ص100. يتصرف.

³¹⁸ - انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج16، ص80-82.

³¹⁹ - انظر: الزحيلي: وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج3، ص1791، ط4، 1418هـ، دار الفكر، دمشق - سوريا.

أوجب الزكاة لهذه الحكمة. وهو المراد من قوله: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٣) (320)

ثانيها: تصون المال وتحصنه من تطلع الأعين وامتداد أيدي الآثمين والمجرمين إليه (321) قال صلى الله عليه وسلم: " حصنوا أموالكم بالزكاة " (322)

ثالثها: تكفر الذنوب وتجلب الرحمة (323).

رابعها: أن العلماء قالوا: شكر النعمة عبارة عن صرفها إلى طلب مرضاة المنعم، والزكاة شكر النعمة، فوجب القول بوجودها لما ثبت أن شكر المنعم واجب. (324)

الصفة الرابعة: حفظ الفرج

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (٦) (325)

أي قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يقعون في ما نهاهم الله عنه من زنى أو لواط، ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم، وما ملكت أيماهم من السراري. (326)

فإن قيل: لم قال تعالى: " إلا على أزواجهم " وحفظ الفرج إنما يُعَدَى بِـ "عن" لا بِـ "على" فيقال: فلان يحفظ فرجه عن الحرام، ولا يُقال على الحرام؟ قلنا: "على" بمعنى "عن" كما في قول الشاعر:

إِذَا رَضِيتَ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

الثاني: أنه متعلق بمحذوف، تقديره فلا يرسلونها إلا على أزواجهم. (327)

320 - [التوبة: ١٠٣]
321 - الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، ج 3، ص 1790.
322 - الطبراني، المعجم الكبير، مرجع سابق، ج 3، ص، حديث رقم (10044).
323 - محيي محمد مسعد، نظام الزكاة، ص 81، ط 1418 هـ، مكتبة الإشعاع، مصر.
324 - انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 16، ص 80.
325 - [المؤمنون: 5-6]
326 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج 3، ص 293.
327 - شرف الدين: جعفر، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ج 6، ص 63، ط 1، 1420 هـ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت- لبنان.

والفرج : اسم يجمع سوءة الرجل والمرأة ، وحفظه التعفف عن الحرام. (328)

فهم كما حفظوا ألسنتهم عن اللغو وكفوا جوارحهم عن الشر والأذى، حفظوا فروجهم من الدنس ولزموا جانب العفة والطهارة. (329)

فهم أعفاء ممسكون لشهواتهم لا يستعملونها إلا مع زوجاتهم التي أحلها الله تعالى لهم أو مع ما ملكت أيماهم من الإماء والسراري، وذلك لأن من شأن الأمة المؤمنة إيماناً حقاً أن تصان فيها الأعراض، وإن يحافظ فيها على الأنساب وأن توضع فيها الشهوات في موضعها التي شرعها الله تعالى. (330)

ففي حفظ الفرج طهارة للروح والبيت والجماعة ووقاية للنفس وللأسرة وللجمتمع، بحفظ الفرج من دنس المباشرة غير الحلال، وحفظ القلوب من التطلع إلى غير الحلال، وحفظ للجماعة من انطلاق الشهوات فيها بغير حساب، ومن فساد البيوت فيها والأنساب. (331)

لقد أجمعت الشرائع القديمة والحديثة على حرمت الزنا، وما زالت المجتمعات البشرية منذ أقدم العصور إلى تاريخ يومنا الحاضر، مجمعة على أن هذا الفعل رذيلة من ناحية الأخلاق، وإثم من ناحية الدين، وعيب وعار من ناحية المجتمع، ولم يخالفها حتى اليوم إلا شريحة قليلة من الذين جعلوا عقولهم تابعة لأهوائهم وشهواتهم البهيمية. (332)

والزنا يوجب الفقر ويقصر العمر، ويكسو صاحبه سواد الوجه ويورث المقت بين الناس، وهو يُشَتِّتُ القلب ويُمرِّضه إن لم يُمتَه، ويَجلب الهم والحزن والخوف، ويُباعِد صاحبه عن المَلَك ويُقرِّبه من الشيطان، فليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدته، ولهذا شرع فيه القتل على أشنع الوجوه وأفحشها وأصعبها، ولو بلغ العبد أن امرأته أو حرمة قتلت كان أسهل عليه من أن يبلغه أنها زنت. وظهوره وشيوعه من إمارات خراب العالم،

328 - البغوي: معالم التنزيل، مرجع سابق، ج4، ص373.

329 - الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، مرجع سابق، ج5، ص1112.

330 - طنطاوي: محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج10، ص3000، دار نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة- مصر.

331 - قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج4، ص2455.

332 - الصاغري: أسعد محمد سعيد، غض البصر وحفظ الفرج، ص48، ط 1417 هـ، مطبعة الشام.

وهو من أشراط الساعة، وقد جرت سنة الله سبحانه في خلقه أنه عند ظهور الزنا يغضب سبحانه ويشتد غضبه فلا بد أن يؤثر غضبه في الأرض عقوبة. (333)

ولحفظ الفرج والابتعاد عن الزنا آثار عظيمة نذكر منها:

1. حفظ الفرج سبيل إلى الجنة، قال عز وجل: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (334) وقال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ" (335)

2. الفلاح والفوز برضوان الله عز وجل في الدنيا والآخرة، كما أن في حفظ الفرج حفظ للنسل وطهارة للإنجاب، ويحفظ المجتمع المسلم من أن يسري به داء الزنا، كما أنه يزيد في الحسنات ويرفع الدرجات، والنية الصالحة فيع تحوله من عادة إلى عبادة. (336)

3. وفي حفظ الفرج كما قال الإمام الغزالي رحمه الله (337) تفرغ للعلم والعمل، وترويح النفس وإيناسها، ومجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية للأهل والولاية عليهم.

4. حفظ الفرج والابتعاد عن الزنى سلامة في النفس والمجتمع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (338) فالابتعاد عنه سبيل إلى السلامة من الآفات النفسية، من قلق وخوف وتبديد للعمر في ما لا ينفع بل يضر، وهو سبيل السلامة من الآفات الاجتماعية، من تردي العلاقات وكثر

³³³ - ابن القيم: محمد بن أبي بكر، الداء والدواء، ص252، ط3، 1419هـ، دار ابن الجوزي، الرياض- المملكة العربية السعودية.

³³⁴ - [الأحزاب: ٣٥].

³³⁵ - رواه البخاري: فتح الباري، مرجع سابق، ج11، ص373، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث رقم (6474)

³³⁶ - موسوعة نضرة النعيم، مرجع سابق، ج5، ص1664.

³³⁷ - الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج2، ص3، ط3، 1423هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

³³⁸ - [الإسراء: ٣٢]

الخصومات وكثرة الطلاق، وهو سبيل السلامة من الآفات الصحية، من الأمراض الجنسية الفتاكة التي لم تكن من قبل، وهو ما نشاهد في المجتمعات التي يكثر فيها الزنى وما تعاني من تفشي هذه الفاحشة وما له من أثر سلبى على اقتصادها. (339)

الصفة الخامسة: حفظ الأمانة والعهد

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (340)

أي: قائمون بحفظها وإصلاحها، وأصل الرعي حفظ الحيوان إما بغذائه الحافظ لحياته أو بذب العدو عنه، ثم استعمل في الحفظ مطلقاً. والأمانات جمع أمانة وهي في الأصل مصدر لكن أريد بها هنا ما أُؤْتِمِنَ عليه، إذ الحفظ للعين لا للمعنى وأما جمعها فلا يعين ذلك لأن المصادر قد تجمع، وكذا العهد مصدر أريد به ما عوهد عليه لذلك، والآية عند أكثر المفسرين عامة في كل ما أُؤْتِمِنُوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الناس، كالتكاليف الشرعية، والأموال المودعة، والإيمان والنذور والعقود ونحوها.

وجُمِعت الأمانة في الآية دون العهد لأنها متنوعة جداً بالنسبة إلى كل مكلف من جهته تعالى ولا يكاد يخلو مكلف من ذلك ولا كذلك العهد. (341)

والأمانات كثيرة في عنق الفرد وفي عنق الجماعة؛ وفي أولها أمانة الفطرة؛ وقد فطرها الله مستقيمة متناسقة مع ناموس الوجود الذي هي منه وإليه، شاهدة بوجود الخالق ووحدانيته، بحكم إحساسها الداخلي بوحدة الناموس الذي يحكمها ويحكم الوجود، ووحدة الإرادة المختارة لهذا الناموس المدبرة لهذا الوجود. (342)

فهم إذا أُؤْتِمِنُوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، (343) لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آية

339 - موسوعة نضرة النعيم، ج5، ص1664. يتصرف

340 - [المؤمنون: ٨]

341 - انظر: الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج9، ص214.

342 - قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج4، ص2456.

343 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج3، ص322.

المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُوْتِمَنَ خان".⁽³⁴⁴⁾ فالمؤمنون يحفظون ما أُوْتِمَنُوا عليه، والعقود التي عاقدوا الناس عليها، يقومون بالوفاء بها، جميعها.⁽³⁴⁵⁾

روى الإمام أحمد رحمه الله عن أنس رضي الله عنه قال: ما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"⁽³⁴⁶⁾ واعلم أن الأمانة تتناول كل ما تركه يكون داخلاً في الخيانة.⁽³⁴⁷⁾

فالأمانة تكون غالباً من النفائس التي يخشى صاحبها عليها التلف، فيجعلها عند من يظن فيه حفظها، وفي الغالب يكون ذلك على انفراد بين المؤمن والأمين، فهي لنفسها قد تغري الأمين عليها بأن لا يردها وبأن يجحدها ربحاً، ولكون دفعها في الغالب عَرِيّاً عن الإشهاد تبعث محبتها الأمين على التمسك بها وعدم ردها، فلذلك جعل الله ردها من شعب الإيمان.⁽³⁴⁸⁾ والمرء يسعى لأداء الأمانة في الدنيا من أجل الفلاح في الآخرة التي هي السعادة الأبدية بما فيها من ميزات، إذ إنها تطلب لذاتها ولا تطلب في وقت من الأوقات لينال بها غيرها وسائر الأشياء الأخرى، إنما تُطلب لتنال هذه، فإذا نيلت كف الطلب، وهذه ليست تكون في هذه الحياة، بل في الحياة الآخرة التي بعد هذه، وهي تسمى السعادة القصوى. ومن هنا ندرك عظيم الأثر الأخروي لحفظ الأمانة في السعادة الأخروية التي يرتقي بها المرء الدرجات في جنات النعيم، حيث كانت رعاية الأمانة من صفات المؤمنين المفلحين.⁽³⁴⁹⁾

والأمانة خلق إيجابي، لا يستحق أن يوصف بها إلا من سنحت له فرصة الخيانة من غير ضرر يلحق به، فإظهار المناعة وقوة الإرادة المبنية على السمو في النفس والروح.

³⁴⁴ - رواه مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج2، ص41، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث رقم(59).

³⁴⁵ - البغوي: معالم التنزيل، مرجع سابق، ج4، ص374.

³⁴⁶ - الشيباني: أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك، رضي الله عنه، ج4، ص349، حديث رقم (12410).

³⁴⁷ - الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج23، ص71.

³⁴⁸ - ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج18، ص14، ط1، 1420هـ، مؤسسة التاريخ، لبنان.

³⁴⁹ - الحسين: عبد اللطيف بن إبراهيم، الأمانة في الإسلام وأثرها على المجتمع، ص263، ط1، 1416هـ، دار ابن الجوزي، الرياض- المملكة العربية السعودية.

والأمانة من الأخلاق التامة التي لا تصح التجزئة، فكما لا يجوز أن يكون المرء نصف صادق، ولا نصف عفيف، لا يجوز أن يكون نصف أمين. (350)

والعهد : التزام بين اثنين أو أكثر على شيء يعامل كل واحد من الجانبين الآخر به. وسمي عهداً لأنهما يتحالفان بعهد الله، أي بأن يكون الله رقيباً عليهما في ذلك. (351)

والمراد بالعهد ما عاهدهم الله تعالى عليه مما أمرهم به سبحانه بكتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، والمراد برعيه حفظه عن الإخلال به وذلك بفعله على أكمل وجه فحفظ الأمانات كالتخلية وحفظ العهد كالتحلية. وكأنه جل وعلا بعد أن ذكر حفظهم لفروجهم ذكر حفظهم لما يشملها وغيرها. (352)

ويدخل في العهد: العقود والأيمان والنذور ، فبين سبحانه أن مراعاة هذه الأمور والقيام بها معتبر في حصول الفلاح. (353)

والعهد الأول هو العهد الذي قطعه الله على فطرة البشر بالإيمان بوجوده وبتوحيده. وعلى هذا العهد الأول تقوم جميع العهود والمواثيق. فكل عهد يقطعه المؤمن يجعل الله شهيداً عليه فيه، ويرجع في الوفاء به إلى تقوى الله وخشيته. (354)

والوفاء بالعهد من أعظم الخلق الكريم، لدلالته على شرف النفس وقوة العزيمة، فإن المرأين قد يلتزم كل منهما للآخر عملاً عظيماً، فيصادف أن يتوجه الوفاء بذلك الالتزام على أحدهما فيصعب عليه أن يتجشم عملاً لنفع غيره بدون مقابل ينتفع به هو، فتسول له نفسه الخثر بالعهد شحاً أو خوراً في العزيمة، فلذلك كان الوفاء بالعهد علامة على عظم

النفس. (355) قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (356)

350- المحاميد: أحمد نصيب، الأمانة والأمناء، ص29، ط1، 1399هـ.

351- ابن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج18، ص14

352- انظر: الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج9، ص214.

353- الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج23، ص71.

354- قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج4، ص2456.

355- ابن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج18، ص14.

356- [الإسراء: ٣٤]

قال سيد رحمه الله⁽³⁵⁷⁾: والجماعة المسلمة مسئولة عن أماناتها العامة ، مسئولة عن عهدها مع الله تعالى، وما يترتب على هذا العهد من تبعات. والنص يحمل التعبير ويدعه يشمل كل أمانة وكل عهد. ويصف المؤمنين بأنهم لأماناتهم وعهدهم راعون. فهي صفة دائمة لهم في كل حين، وما تستقيم حياة الجماعة إلا أن تؤدي فيها الأمانات؛ وترعى فيها العهود؛ ويطمئن كل من فيها إلى هذه القاعدة الأساسية للحياة المشتركة ، والضرورية لتوفير الثقة والأمن والاطمئنان.

وأول العهود وفاءً هو العهد مع الله عز وجل بالإقرار بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية. ثم الالتزام العملي والنظري بالشريعة الإسلامية. ثم الوفاء بالالتزامات العقدية التي يجريها الإنسان في معاملاته اليومية، في زواجه وبيعه وشرائه وشركته ومزرعته ما دامت عقوداً جائزة شرعاً. ثم الوفاء ببيعة الأمير الحق أي الخليفة الراشد إذا كانت بعته معتبرة شرعاً.

الصفة السادسة: المحافظة على الصلاة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾⁽³⁵⁸⁾

والصلاة في اللغة: الدعاء والتبريك والتمجيد، يقال: صليت عليه أي: دعوت له وزكيت.⁽³⁵⁹⁾

وفي الشرع: أقوال وأفعال مخصوصة،⁽³⁶⁰⁾ مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم،⁽³⁶¹⁾ بشرائط مخصوصة.⁽³⁶²⁾

والصلاة من الله للمؤمنين هو تزكيته إياهم، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، كما هي من الناس، وهي من العبادات التي لم تنفك شريعة منها، وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع.⁽³⁶³⁾

³⁵⁷ - قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 4، ص 2456.

³⁵⁸ - [المؤمنون: ٩].

³⁵⁹ - الأصفهاني: المفردات ، مرجع سابق، ص 491.

³⁶⁰ - ابن مفلح، الفروع، ج 1، ص 247. ابن قدامة، المغني، ج 1، ص 369. مرجعان سابقان.

³⁶¹ - ابن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج، مرجع سابق، ج 1، ص 146.

³⁶² - ابن الملتن، عجالة المحتاج، مرجع سابق، ج 1، ص 160.

والمحافظة على الصلاة إقامتها والمحافظة عليها في أوقاتها وإتمام ركوعها وسجودها وقراءتها والمشروع من أذكارها. ⁽³⁶⁴⁾ أي: المواظبة على فعلها على أكمل وجه. ⁽³⁶⁵⁾

وإنما أعاد تعالى ذكرها لأن الخشوع والمحافظة متغايران غير متلازمين ، فإن الخشوع صفة للمصلي في حال الأداء لصلاته والمحافظة إنما تصح حال ما لم يؤديها بكمالها. بل المراد بالمحافظة التعهد لشروطها من وقت وطهارة وغيرها والقيام على أركانها وإتمامها حتى يكون ذلك دأبه في كل وقت. ⁽³⁶⁶⁾

وفي تصدير الأوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها ، وتقديم الخشوع للاهتمام به فإن الصلاة بدونه كلا صلاة بالإجماع وقد قالوا : صلاة بلا خشوع جسد بلا روح. وجيء بالفعل دون الاسم كما في سائر رؤوس الآي السابقة لما في الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعت في قراءة السبعة ما عدا الأخوين. ⁽³⁶⁷⁾

قال صاحب الكشف ⁽³⁶⁸⁾: هما ذكران مختلفان فليس بتكرير. وصنفوا أولاً بالخشوع في صلاتهم، وآخرًا بالمحافظة عليها. وذلك أن لا يسهوا عنها، ويؤدّوها في أوقاتها، وقيموا أركانها، ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها. وأيضاً فقد وحدت أولاً ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت، وجمعت آخرًا لتفاد المحافظة على أعدادها: وهي الصلوات الخمس، والوتر، والسنن المرتبة مع كل صلاة، وصلاة الجمعة، والعيدين، والجنائز، والاستسقاء، والكسوف والخسوف، وصلاة الضحى، والتهجد وصلاة التسبيح، وصلاة الحاجة. وغيرها من النوافل.

فالمؤمنون لا يفوتونها كسلاً، ولا يضيعونها إهمالاً؛ ولا يقصرون في إقامتها كما ينبغي أن تقام؛ إنما يؤدّونها في أوقاتها كاملة الفرائض والسنن، مستوفية الأركان والآداب، حية يستغرق فيها القلب، وينفعل بها الوجدان. والصلاة صلة ما بين القلب والرب، فالذي لا يحافظ عليها لا ينتظر أن يحافظ على صلة ما بينه وبين الناس محافظة حقيقية مبعثها

³⁶³ - الأصفهاني: المفردات، مرجع سابق، ص492.

³⁶⁴ - الشوكاني: فتح القدير، مرجع سابق، ج2، ص1005.

³⁶⁵ - الألوسي: روح المعاني، مرجع سابق، ج9، ص215.

³⁶⁶ - الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج23، ص72.

³⁶⁷ - الألوسي: روح المعاني، مرجع سابق، ج9، ص215.

³⁶⁸ - الزمخشري: الكشف، مرجع سابق، ج3، ص29.

صدق الضمير . . ولقد بدأت صفات المؤمنين بالصلاة وختمت بالصلاة للدلالة على عظيم مكانتها في بناء الإيمان، بوصفها أكمل صورة من صور العبادة والتوجه إلى الله. (369)

فالصلاة شأنها عظيم في هذا الدين، فهي عموده الذي قام عليه، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة. ولأهميتها في الإسلام نرى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في سكرات الموت يوصي بها وبالحفاظة عليها، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ" (370) ولما طعن الفاروق عمر رضي الله عنه قال: الله في الصلاة، لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة. (371)

فمن تركها فقد هدم الدين، وهي أهم الأمور فمن حافظ عليها كان لما سواها أحفظ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع. وللصلاة في الإسلام منزلة لا تعدلها منزلة أي عبادة أخرى، فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، قال صلى الله عليه وسلم: "رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ". (372) وهي ما أوجبه الله تعالى من العبادات، وهي آخر ما يفقد من الدين فان ضاعت ضاع الدين كله. (373)

والصلاة عليها كانت شعائر الإسلام، وهي الركن الأهم الذي إذا تمّ تمّ الله للعبد أموره، وإذا نقص خذل الله العبد. ومن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها وأخل بها ضيع دينه. وتاركها لا يؤاكل، ولا يُشارك، ولا يُرافق، ولا يُصاحب، ولا يؤتمن، ولا يصدق، ولا تُقبل شهادته. وتارك الصلاة مغضوب عليه في السماء، مغضوب عليه في الأرض. تارك الصلاة حبله مقطوع من ذمة الله سبحانه وتعالى، فانظر إلى عظم شأنها وأمرها على الله عز وجل. (374)

369- قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج4، ص2456-2457.

370- أبو داود: سنن أبو داود، مرجع سابق، ص804، حديث رقم (5156).

371- القرني: عائض بن عبد الله، بيت أسس على التقوى، ص129، ط1، 1421هـ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان.

372- الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ج3، ص444 حديث رقم (2616).

373- كرار، أركان الإسلام، مرجع سابق، ص167.

374- القرني: عائض بن عبد الله، مجتمع المثل، ص7، ط1، 1420هـ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان.

والحقيقة أن المحافظة على الصلوات يستقيم بها أمر الإنسان كله، ولا يتم هذا إلا بصلاة الجماعة في المسجد، فمن صلى الصلوات الخمس في المسجد استقامت صلاته، واستقامت عبادته، وانتظمت مجاهدته في الذكر والتلاوة والإقبال على الله. (375)

ولذلك نرى أن القرآن الكريم والسنة النبوية أكثر من الحث على المحافظة عليها وأدائها على أتم وجوها في السفر والحضر، في الصحة والمرض، في الأمن والخوف، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (376) ووعدهم الله عز وجل بالأجر والثواب العظيم يوم القيامة وقال عز وجل: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (377) وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يَنْتَقِصْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَهْدًا أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ قَدْ انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذْبُهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ." (378) وبالصلاة يمحو الله عز وجل الخطايا، والصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، والصلاة نور في الدنيا والآخرة، وهي أفضل الأعمال عند الله عز وجل، وهي سبب لقبول سائر الأعمال وتكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفع الدرجات، والمحافظ عليها من الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وبالمحافظة عليها سلامة من الاتصاف بصفات المنافقين، وهو ما حذر الله عز وجل منه وتوعد المتهاونين بها والمتكاسلين وجعل ذلك من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ (379)

وكل موضع مدح الله تعالى بفعل الصلاة أو حث عليه ذكر بلفظ الإقامة، أو المقيمين، أو أقيموا، ولم يقل المصلين إلا في المنافقين، فهم لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، وإنما خص لفظ الإقامة تنبيهاً أن المقصود من فعلها توفية حقوقها وشرائطها، لا

375- حوى: سعيد، جند الله ثقافة وأخلاقاً، ص314، ط3، 1424هـ، دار السلام، القاهرة - مصر.

376- [البقرة: 238]

377- [الأعراف: 170]

378- ابن ماجه: سنن ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها، ج2، ص183، حديث رقم (1401).

379- [النساء: 142]

الإتيان بميئتها فقط، ولهذا روي أن المصلين كثير وأن المقيمين قليل، قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (٣١) (380) تنبها أنه لم يكن ممن يصلي، أن يأتي بميئتها فضلا عما يقيمها، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ (٣٥) (381) فتسمية صلاتهم مكاءً وتصديه تنبيه على إبطال صلاتهم، وأن فعلهم ذلك لا اعتداد به، بل هم في ذلك كطيور تمكو وتصدي. (382)

والمحافظة على الصلاة يكون بأدائها في المسجد وليس في البيت وإن أداها في وقتها، فانه لا يعتبر من المحافظين عليها لأن الصلاة في المسجد واجبة لمن لا عذر له - عند أكثر العلماء - وفضل الصلاة في المسجد عظيم.

380 - [القيامة: ٣١]

381 - [الأنفال: ٣٥]

382 - الأصفهاني: المفردات، مرجع سابق، ص 492.

المبحث الثاني

محبة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه

وفيه ثلاثة مطالب

تمهيد

إذا علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو صفوة المصطفين، وخاتم المرسلين....

﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ٤٠ ﴾ (383)

وأنه كان قبل البعثة الصادق الأمين، وكان بعدها الرحمة المهداة للعالمين... ﴿ وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ١٠٧ ﴾ (384)

وأنه صلى الله عليه وسلم دعوة إبراهيم، وبشارات موسى وعيسى، وإمام

النبيين... ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ٦ ﴾ (385)

وأنه صلى الله عليه وسلم خير من آمن بالرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة،

وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين...

وأنه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنه النبي الذي اخذ الله له

العهد من أنبيائه أجمعين... ﴿ أَلَتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَفْسِهِمْ ٦ ﴾ (386)

وأنه صلى الله عليه وسلم كان بشراً يوحى إليه، وأنه الأسوة الحسنة لمن كان

يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً... ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ٢١ ﴾ (388)

383- [الأحزاب: ٤٠]

384- [الأنبياء: ١٠٧]

385- [الصف: ٦]

386- [الأحزاب: ٦]

387- يمانى: محمد عبده، علموا أولادكم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص11، ط4، 1409هـ، دار القبة

للتقافة الإسلامية، جدة، المملكة العربية السعودية. مؤسسة علوم القرآن دمشق - سوريا.

388- [الأحزاب: ٢١]

وأنه صلى الله عليه وسلم مبعوثٌ إلى الناس أجمعين لا إلى بعض الناس دون بعض
وأن في اتباعه الهدى والرشاد المبين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (١٥٨) (389)

وأن الله عز وجل أمر بحبه واتباعه واخذ ما جاء به برضى وأن نأتمر بأمره وننتهي
بنهيه، قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ (١٥٧) إلى قوله تعالى:
﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٧) (390) وغيرها كثير في القرآن الكريم من وجوب طاعة
النبي صلى الله عليه وسلم. وأنه عز وجل حذر من عصيانه ومخالفة أمره، وتوعد من يخالفه
ويعصيه بالعذاب الشديد، قال جل وعلا: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٢) (391)

إذا علمنا كل هذا وغيره كثير، عرفنا لماذا نحب النبي صلى الله عليه وسلم، ولماذا
أوجب الله علينا حبه، ولماذا هو خير الخلق أجمعين، ولماذا حبه واجب على جميع المؤمنين،
ولماذا كان حبه مقدم على حب المال، والأبناء والآباء وحتى النفس، ولماذا كان حبه
واجباً.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: حُبَّ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. (392)

389 - [الأعراف: ١٥٨]

390 - [الأعراف: ١٥٧]

391 - [آل عمران: ٣٢]

392 - رواه مسلم، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من
أحب، ج 16، ص 152، حديث رقم (2639).

المطلب الأول: معنى محبة النبي صلى الله عليه وسلم:

إن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم هي ميل قلب المؤمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ميلٌ يتجلى فيه إثثار حبه على كل من سواه من البشر. فهو أحب إليه من الأب والأم والزوجة والأبناء، وطاعته مقدمة على طاعتهم، وهو إلى تنفيذ أوامره عليه السلام، أحب إليه من تنفيذ أوامرهم. (393)

ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الإيمان، يتوقف على وجوده وجود الإيمان، فلا يدخل المسلم في عداد المؤمنين الناجين، حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه بل ومن الناس أجمعين. (394)

فعن عبد الله بن هشام قال: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ." (395)

المطلب الثاني: دوافع محبة النبي صلى الله عليه وسلم

إن دوافع حب النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة منها:

1. أن حب المسلم للرسول صلى الله عليه وسلم تابع لحبه لله عز وجل، وذلك لأن محبة الله تعالى هي أساس المحبة الشرعية، لأن الله هو المحبوب لذاته، وكل ما سواه مما يجب شرعاً، فمحبه تابعة لمحبة الله عز وجل. وذلك كمحبة أنبيائه ورسله وملائكته وعباده الصالحين، وأن الله تعالى أحبه واختاره من خلقه، فحب ما يحبه الله من لوازم محبته،

³⁹³ - انظر: عثمان: عبد الرؤوف محمد، محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع، ج1، ص37، ط1، 1414هـ، وكالة الطباعة والترجمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

³⁹⁴ - المرجع السابق نفسه ص64.

³⁹⁵ - رواه البخاري، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج1، ص641، كتاب الإيمان والنور، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم؟ حديث رقم (6632).

ذلك أن الله اصطفاه على الناس برسالته، وجعله خاتم النبيين، وأفضل الخلق أجمعين وحبيب رب العالمين. (396)

2. في محبته واتباعه نيل كرامة الدنيا والآخرة، فهو الرحمة المهداة إلى العالمين، والمؤمنين الذين اتبعوه وأحبوه، قبلوا هذه الرحمة، فانتفعوا بها دنيا وآخره. (397)

3. ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق، وكرائم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه صلى الله عليه وسلم، علم أنها خير الأخلاق، فهو أعظم الخلق أمانة، وأصدقهم حديثاً، وأجودهم، وأسخاهم، وأعظمهم نفعا لهم في دنياهم وآخرهم. (398)

4. أن تعلم أن مقام العبودية لا يتم إلا بمحبة هذا النبي صلى الله عليه وسلم، فالذي لا يتم حب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يتم الاقتداء به، فما تم له مقام العبودية.

5. معرفة المنية بإرساله إلينا، فقد كنا في جاهلية لا يعلمها إلا الله سبحانه، وكان الإنسان العربي قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم أذل وأقل وأضعف عند الناس جميعاً، من "الجعلان الذي يدحرج العذرة"، فلما بعث الله هذا النبي الكريم، رفع الله به راية الإسلام وأعلى الله قيمة هذا الإنسان، فحينما تتذكر أنك حسنة من حسنات الرسول صلى الله عليه وسلم تحبه الحب العظيم. (399)

ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم لا تكون إلا في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، فكما أن حبه واجب على المؤمنين، فكذلك الاتباع أمر واجب وفرض عين على الأمة كلها، في عسرها ويسرها ومنشطها ومكرهاها. ولا يصير المسلم مسلماً، حتى يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع أقواله وأفعاله حسب علمه واستطاعته، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم مثل محبته، من حيث كونه مقترباً بشواهد تؤكده ومظاهر عملية تحدد، وبدونها يصير الاتباع دعوى مجردة عن الدليل.

396- عبد الرؤوف عثمان: محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع، مرجع سابق، ج1، ص64.

397- ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام، ص64، عالم الكتب، بيروت - لبنان

398- المرجع السابق نفسه.

399- القرني: عائض بن عبد الله، إلى الذين أسرفوا على أنفسهم، ص42، ط1، 1421هـ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان.

واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم يكون في فعله وفي تركه، أما التأسي به في الفعل، فهو أن تفعل صورة ما فعل على الوجه الذي فعل لأجل أنه فعل. والتأسي به في الترك، هو أن تترك مثل ما ترك على الوجه الذي ترك لأجل أنه ترك.

واتباعه صلى الله عليه وسلم قد يكون في القول وقد يكون في الفعل وقد يكون في الترك. فلاتباع في القول، هو المصير إلى مقتضاه من وجوب، أو ندب أو حظر لأجله. والاتباع في الفعل أو في الترك، هو إيقاع مثله في صورته على وجهه لأجل أنه أوقعه.⁽⁴⁰⁰⁾

المطلب الثالث: مظاهر اتباع النبي صلى الله عليه وسلم:

1. الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والتأسي⁽⁴⁰¹⁾ به قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي

رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾⁽⁴⁰²⁾

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجعوا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ۖ﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟⁽⁴⁰³⁾

2. تحكيم السنة والتحاكم إليها: إن مما يؤكد صدق الاتباع لرسول الله صلى الله عليه

وسلم؛ تحكيم سنته والتحاكم إليها وجعلها الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال

والأحكام، فما وافقها قبل وما خالفها ردّ وإن قاله من قاله، قال تعالى: ﴿فَلَا

وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۖ﴾⁽⁴⁰⁴⁾ فأمر سبحانه المؤمنين

⁴⁰⁰ - البصري: أبو الحسين، المعتمد، ج1، ص372، ط1384هـ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق سوريا.

⁴⁰¹ - عثمان، محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع، مرجع سابق، ج1، ص64.

⁴⁰² - [الأحزاب: ٢١]

⁴⁰³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج3، ص406

⁴⁰⁴ - [النساء: ٦٥]

برد قضاياهم وما تنازعوا فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه، وأعلمهم أن ذلك خير لهم في الدنيا وأحسن عاقبة في الآخرة. (405) ولنا في صحابته رضوان الله عليهم وسلف هذه الأمة الصالح، أعظم الأسوة في التمسك بالسنة وتحكيمها في كافة أمورنا، والتسابق في طاعته وتنفيذ أمره.

وتحكيم السنة والتحاكم إليها هو الفارق بين المؤمن الحريص على اتباع السنة، وبين من يتبع هواه بغير هدى من الله. فمن تحاكم إلى غير الوحي، فقد تحاكم إلى الطاغوت. سواء كان هذا الطاغوت حاكماً ظالماً يحكم بغير ما أنزل الله، أو كان طاغوتاً مبنياً على أدلة عقلية مبنية على الفلسفة القديمة، أو علم الكلام وغيرها. فقد أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد، حتى يحكموا رسول الله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عند قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً وينقادوا انقياداً. (406)

3. الوقوف عند حدود الشريعة: وهذا ثمرة للرضا فمن رضي بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وشرعه وقف عند حدود شريعته، ولم يتجاوزها إلى غيرها ولا يكون ذلك إلا إذا أيقن المؤمن أن الدين قد كمل، فليس بحاجة إلى زيادة أو إلى نقصان، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ المبين، فلم يترك من أمر الدين شيئاً إلا وبلغه، فإذا علم المسلم ذلك وأيقن به، وقف عند حد الشريعة ولم يتعدها. (407)

قال الإمام الشافعي رحمه الله: ما سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ما ليس لله فيه حكم، فبحكم الله سنه، وكذلك أخبرنا الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ ٥٣﴾ (408)

405 - عثمان: محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع، مرجع سابق، ج1، ص64.

406 - ابن القيم، أعلام الموقعين، مرجع سابق، ج3، ص241.

407 - عبد الرؤوف عثمان، محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع، مرجع سابق، ج1، ص165 وما بعدها، بتصرف.

408 - [الشورى: ٥٢ - ٥٣]

وقد سَنَّ رسول الله صلى الله عليه ومع كتاب الله، وسَنَّ في ما ليس فيه بعينه نص كتاب، وكل ما سَنَّ قد ألزمنا الله اتباعه، وجعل في اتباعه طاعة، وفي العنود عن اتباعه معصية التي لم يعذر بها خلقاً، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخرجاً. (409)

قال ابن القيم رحمه الله: في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ينال العبد حب الله عز وجل، ويكون ذلك بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أعماله، وأقواله وأخلاقه، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة، وثباتها وقوتها. وبحسب نقصانه يكون نقصانها. إن هذا الاتباع يوجب المحبة والمحبة معاً، ولا يتم الأمر إلا بهما، فليس الشأن في أن تحب الله، بل الشأن أن يحبك الله، ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه، ظاهراً وباطناً، وصدقته خيراً وأطعته أمراً، وأجبتة دعوة وآثرته طوعاً. وفنيت عن حكم غيره بحكمه، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته، وعن طاعة غيره بطاعته، وإن لم يكن ذلك فلا تتعن، وارجع من حيث شئت، فالتمس نوراً فلست على شيء. وتأمل قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (٥٤) (410) أي الشأن في أن الله يحبكم، لا في أنكم تحبونه، وهذا لا تنالونه إلا باتباع الحبيب صلى الله عليه وسلم. (411)

والعجب كل العجب ممن يطل علينا يشكك في السنة النبوية وفي حجيتها، والقول بأن أكثر السنة النبوية ظنية الثبوت، ويذهب إلى عدم الأخذ بها والاكتفاء بالقرآن الكريم دون السنة النبوية، وهم من يطلق عليهم القرآنيين، والقرآن منهم براء، فالقرآن يأمر كما مر معنا باتباع السنة والالتزام بها، فكيف يدعون أنهم يحتجون بالقرآن وأهم يتبعونه وهو يأمرهم باتباع السنة النبوية. والحق أنهم ليسوا إلا امتداداً للخوارج عليهم غضب الله، الذين لم يأخذوا من السنة النبوية إلا ما وافق هواهم. وعندما عجزوا عن الطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه المعصوم عليه الصلاة والسلام، ذهبوا إلى التشكيك بالرواة، والطعن بالصحابة رضوان الله عليهم، واتهامهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

409 - الإمام الشافعي: محمد بن إدريس، الرسالة، ص88، ط1، 1985م، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة- مصر.

410 - [المائدة: ٥٤]

411 - ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج3، ص38.

عليه وسلم، أمثال الزنديق سلمان رشدي - لا سلمه الله ولا أرشده- الذي بدل سنة
نبينا وطعن بها، لينال رضا أسياده الانجليز، الذين أوسموه وسام عارٍ وذلٍ يأتي به يوم
القيامة وهو يجره إلى جهنم وبئس المصير. والمتزندق وإحسان قدوس الذي له أكثر من
ثلاثين نشرة يكتب فيها، يستهزئ بالرسول عليه الصلاة والسلام وبالسنة النبوية.

المبحث الثالث

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفيه ستة مطالب

تمهيد:

الناظر إلى حال الأمة الإسلامية اليوم يجد أنها قد تخلت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتخلفت عن أمر ربها في ذلك، وهو من أسباب التخلف والتفكك الذي تعيشه الأمة اليوم، وهي لم تعتبر بمصير الأمم السابقة التي أمرها الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتخلت عنه فأهلكها الله عز وجل، يقول القرطبي رحمه الله: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجباً في الأمم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة⁽⁴¹²⁾ فلما تركوه أهلكهم الله عز وجل، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾⁽⁴¹³⁾ فيجب على الأمة الإسلامية أن تعود إلى رشدائها وإلى ربها وإلى شرعه الذي أنزله، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وإلا فلتنتظر عذاب ربها وسخطه.

المطلب الأول: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما بذل إليه الشرع ونهى عنه، من المحسنات والمقبحات⁽⁴¹⁴⁾ فالمعروف كل ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به.⁽⁴¹⁵⁾

⁴¹² - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص38.

⁴¹³ - [المائدة: ٧٨ - ٧٩]

⁴¹⁴ - ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، ص189، ط1، 1422هـ، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

⁴¹⁵ - ابن تيمية: شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص19، ط1، 1422هـ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان. انظر: ابن مفلح: محمد بن مفلح، الآداب الشرعية، ج1، ص179، ط1، 1416هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

قال الطبري: الأمر بالمعروف هو أن يأمرؤا الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم، ودينه الذي جاء به من عند ربه. قال ابن عباس رضي الله عنه: تأمرؤن بالمعروف أي حتى يشهدؤا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله وهو أعظم المعروف. وأصل العرف هو ما كان معروفاً فعله، جميلاً مستحسناً، غير مستقبح في أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله معروفاً، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله. (416)

والمنكر: خلاف المعروف، وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه. (417) فهو يعم كل ما كرهه الله ونهى عنه، فهو المبغض. (418)

فهو التكذيب، وهو أنكر المنكر، وأصل المنكر ما أنكره الله وقبح فعله، ولذلك سميت معصية الله منكراً، لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها، ويستعظمون ركوها. (419)

المطلب الثاني: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب أوجهه الله تعالى، وأمر به عباده من فوق سبع سماوات بصيغة لا تحتل تأويلاً أو تفسيراً غير الوجوب. (420)

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) (421) وروى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" (422)

416- الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج3، ص385.

417- ابن منظور، لسان اللسان، مرجع سابق، ج2، ص161، مادة(نكر).

418- ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مرجع سابق، ص19.

419- الطبري، جامع البيان، ج3، ص392.

420- بدرية بنت سعود بن محمد البشر، فقه إنكار المنكر، ص39، ط1، 1421هـ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان.

421- [آل عمران: ١٠٤]

422- أخرجه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج1، ص212، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (175). ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج4، ص405، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث (4013).

قال ابن حزم رحمه الله⁽⁴²³⁾: اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منها.

وهو ما حكاه النووي رحمه الله فقال⁽⁴²⁴⁾: وقوله صلى الله عليه وسلم: "فليغيره" أمر إيجاب بإجماع الأمة وقد تطابق على إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة وهو أيضا من النصيحة في الدين، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة ولا يعد بخلافهم. كما قال أبو المعالي إمام الحرمين: لا يكثرث بخلاف منهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء، ووجوبه بالشرع لا بالعقل.

والمنكر واجب تغييره - فيما ذكره ابن عبد البر - على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى، فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه، ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك. والأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقيدة بالاستطاعة.⁽⁴²⁵⁾

قال العلماء في تعليقهم على حديث أبي سعيد: الأمر بالمعروف باليد على الأمراء، وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضعفاء، يعني عوام الناس. فالمنكر إذا أمكن إزالته باللسان للناهي فليفعل، وإن لم يكن إلا بالعقوبة فليفعل فإن زال بدون العقوبة لم تجز العقوبة.⁽⁴²⁶⁾

وبعد أن اتفقوا على وجوبه اختلفوا فيه هل هو من فروض الكفايات أم من الأعيان، على قولين:

من قال بالتعيين ودليله: أن "من" في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾⁽⁴²⁷⁾ للتبيين وليست للتبعض لدليلين: الأول: أن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في الآية السابقة. الثاني: هو أنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر

⁴²³ - ابن حزم: علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج5، ص19، 1405هـ، دار الجبل، بيروت-لبنان.

⁴²⁴ - النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج4، ص29.

⁴²⁵ - انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص29.

⁴²⁶ - انظر: المرجع سابق نفسه، ج4، ص40.

⁴²⁷ - [آل عمران: ١٠٤].

بالمعروف والنهي عن المنكر، إما بيده أو بلسانه أو بقلبه، فيكون معنى الآية: كونوا دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر. ومثله قوله تعالى ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ (٣٠) (428)

من قال بالتكليف ودليله: أن "من" هنا للتبعية وفائدة كلمة "من" هي أن في القوم من لا يقدر على الدعوة ولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل: النساء والمرضى والعاجزين. الثاني: أن هذا الأمر يختص بالعلماء وذلك أن الآية مشتملة على الأمر بثلاثة أشياء: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومعلوم أن هذه مشروطة بالعلم فإن الجاهل ربما دعا إلى باطل، ومعلوم أن العلماء بعض الأمة. ونظيره قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ (١٢٢) (429)(430)

المطلب الثالث: من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

ليس من شرط الناهي أن يكون عدلاً عند أهل السنة، خلافاً للمبتدعة، حيث تقول لا يغيره إلا عدل، وهذا ساقط، فإن العدالة محصورة في القليل من الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام في جميع الناس. (431) قال العلماء: لا يشترط في الأمر الناهي أن يكون كامل الحال، متمثلاً ما يأمر به محتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاها، فإن أحل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر؟ (432)

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الفاسق ليس له أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) (433) فهذه الآية تدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المفلحين، والفاسق ليس من المفلحين. ويجاب

428 - [الحج: 30]

429 - [التوبة: ١٢٢]

430 - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 8، ص 145.

431 - انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 4، ص 38.

432 - انظر: النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج 1، ص 213.

433 - [آل عمران: ١٠٤]

عليه بأن هذا ورد على سبيل الغالب، فأن الظاهر أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر لم يشرع فيه إلا بعد صلاح أحوال نفسه، وأكدوا ذلك بقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) (434). وعن السلف: مُرُوا بِالْخَيْرِ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا. وعن الحسن أنه سمع مطرف بن عبد الله يقول: لا أقول ما لا أفعل، فقال: وأينا يفعل ما يقول؟ ودَّ الشيطان لو ظفر بهذه الكلمة منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن المنكر. (435)

المطلب الرابع: فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أرقى درجات الكمال الإنساني وبيان ذلك أن الناس في هذه الحياة الدنيا أصناف: 1. صنف ضال لا خير فيه وهو شر على غيره. 2. وصنف لا خير فيه ولا شر منه. 3. وصنف صالح في ذاته لكن لا خير فيه لغيره. 4. وصنف صالح في ذات نفسه لكن فيه خير وإصلاح لغيره. ولا شك أن أكمل الناس نفساً وارفعتهم درجة الذي صلح في ذات نفسه ثم امتد بالخير والإصلاح إلى غيره، وهم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وصدق تعالى إذ قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٢) (436) أي لا أحد أحسن ممن عرف الحق وعمل به ودعا الناس إليه. (437)

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من علامات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٧١) (438) وتركه من علامات النفاق، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ (١٧) (439) فجعل عز وجل الأمر بالمعروف والنهي

⁴³⁴ - [الصف: ٣]

⁴³⁵ - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 8، ص 147.

⁴³⁶ - [فصلت: ٣٣].

⁴³⁷ - الحقي: سليمان بن عبد الرحمن، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، ج 1،

ص 37، ط 1، 1417 هـ.

⁴³⁸ - [التوبة: ٧١]

⁴³⁹ - [التوبة: 67]

عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين فدل على أن أحص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (440)

وهو ما يريده منافقو هذا العصر فهم يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ويريدون أن يترك الحجاب، ويريدون سفور المرأة وتبرجها، ويريدون منها أن تتحلل من قيمها ومن عفافها وطهرها، وتصبح سلعة تباع عرضها، يريدون انتشار الأغاني الهابطة والمجلات الخليعة، التي تؤدي بالشباب إلى الهاوية، وأن يصبح المثل الأعلى لهؤلاء الشباب "فلان وفلانة" من المغنين، يريدونهم أن يتبعوا الغرب وأن يأخذوا تقاليدهم وعاداتهم عنه، كما نرى في كتابات بعض الكتاب. فهؤلاء يأمرون بالمنكر ولا يريدون المعروف ولا يريدون الخير للأمة فالله حسيبهم.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في صلاح العباد، وذلك أن صلاح العباد في طاعة الله عز وجل، وطاعته لا تتم إلا بالاجتهاد بالقيام بهذا الواجب. (441)

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سر أفضلية هذه الأمة، وهو مدح لها ما أقاموا ذلك به، (442) قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (١١٠) (443)

وهو سبب النجاة والفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (١٦٥) (444)

وهو سبب النصر والتمكين في الأرض، (445) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٤١) (446)

440 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص38.

441 - انظر: ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مرجع سابق، ص53.

442 - انظر: خالد عثمان السبتي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه، ص51، ط1،

1415 هـ، المنتدى الإسلامي، لندن.

443 - [آل عمران: ١١٠]

444 - [الأعراف: ١٦٥]

وهو باعث على الإحساس بمعنى الأخوة، والتكافل، والتعاون على البر والتقوى، واهتمام المسلمين بعضهم بعضاً، وبه يكون الرأي المسلم الواعي الذي يحرس آداب الأمة وفضائلها، وأخلاقها، وحقوقها، ويجعل لها شخصية وسلطاناً أقوى وأنفذ من الأنظمة والقوانين. وذلك مما يوطد الأمن ويبعث الطمأنينة على الحقوق والحرمان، وذلك مما يؤكد الثقة والمحبة والاعتزاز بالجماعة في قلوب المؤمنين. وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُحفظ الإسلام من البدع والشرك والضلالات وتزال عوامل الفساد والشر من حياة الأمة الإسلامية ويقضى عليها.⁽⁴⁴⁷⁾

المطلب الخامس: شروط وأركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أركان وشروط، أوجزها باختصار:

فأول هذه الأركان: **الآمر**: وهو الذي يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشترط له أن يكون مكلفاً، مسلماً، مأذوناً، قادراً على ذلك، واشترط قوم العدالة.

وثانيها: **المأمور بالمعروف والمنهي عن المنكر** ويشترط له: أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع في حقه منكراً، ولعله يكفي في ذلك أن يكون إنساناً، ولا يشترط التكليف فلو شرب الصبي الخمر نهي.

وثالثها: **المنكر**: وهو كل منكر موجود في الحال، ظاهر للآمر بالمعروف والنهي عن المنكر، معلوم كونه منكراً من غير اجتهاد ولا تجسس.

والرابع: **نفس الأمر والنهي** وله درجات: أولها التعرف، ثم التعريف، ثم النهي بالوعظ والإرشاد، ثم السب والتعنيف بالقول الغليظ، ثم التغيير باليد، ثم

⁴⁴⁵ - ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص54. سليمان الحقي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، ج1، ص39. مرجعان سابقان.

⁴⁴⁶ - [الحج: ٤١]

⁴⁴⁷ - انظر: نضرة النعيم، مرجع سابق، ج3، ص539.

التهديد والتخويف، ثم مباشرة الضرب باليد، ثم الاستعانة بأهل الخير إن لم يقدر بنفسه. (448)

هناك فروق بين تغيير المنكر والنهي عن المنكر تتلخص بما يأتي:

1. أن تغيير المنكر في الحقيقة إزالة عينة، كفض مجلس شراب، أو إراقة خمر، أو أدوات ميسر، أما النهي فوعظ أو تحذير أو تهديد.
2. أن التغيير يكون حال قيام المنكر ووقوعه فحسب، أما النهي فيكون قبله وأثناءه وبعده.
3. أن التغيير يحتاج إلى قدرة واستطاعة خاصة للإزالة الفعلية، أما النهي فيقدر عليه كل إنسان بالحكمة والموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن.
4. أن تغيير المنكر فرض كفاية على الأمة - عند جمهور الفقهاء - أما النهي عن المنكر فهو على كل مسلم في كل حالة قدر استطاعته. (449)

ويحكم على تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه عاصٍ وذلك لوجوه:

إحداها: أن يكون زاهداً في ثواب ذلك إما لجهله أو لعدم إيمانه. وثانيها: أن يدعو إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثالثها: أن يرى منكراً وهو قادر على تغييره فلا يغيره. ورابعها: أن يرى قوماً قد أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وهم محتاجون إلى معرفته وهو قادر فلا يعينهم. (450) فلهذه الوجوه حكم عليه بالعصيان وهو حكم سليم نرى أثره على واقعنا المعاصر وما آلت إليه الأمة الإسلامية من هوان وتبعية.

قال الإمام النووي رحمه الله (451): اعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو

448- انظر كل من: الغزالي: إحياء علوم الدين، ج2، ص279 وما بعدها. ابن مفلح، الآداب الشرعية، ج1، ص179. ابن تيمية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص26. مراجع سابقة. أحمد بن ناصر العمار، حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص56، ط1، 1417هـ، دار اشبيليا.

449- انظر: سليمان الحقي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق، ج1، ص77.

450- ابن تيمية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مرجع سابق، ص23.

451- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج1، ص214.

باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم، أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب. فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، فينبغي لطالب الآخرة والساعي لتحصيل رضى الله عز وجل، أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، لاسيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته ولا يهاب من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁽⁴⁵²⁾ واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتاركة أيضا لصداقته ومودته، ومداهنته وطلب الوجهة عنده، ودوام المترلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضاره، وصديق الإنسان ومُجِبِّه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدواً لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أولياء للمؤمنين، لسعيهم في مصالح آخرتهم، وهدايتهم إليها.

المطلب السادس: مخاطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

1. نزول العقاب بالأمّة: إن الأمّة التي تترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛

تعرض نفسها للعقاب من الله سبحانه وتعالى، فقد ورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه قوله: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك الله أن يعمهم الله بعقاب منه"⁽⁴⁵³⁾.

2. عموم البلاء في الأمّة وعدم استجابة الدعاء: فإن الأمّة التي تتخلى عن فريضة الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر يعمها الله تعالى بأنواع البلاء المختلفة، والحن، والمصائب، نسأل الله العافية، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول

⁴⁵² - [الحج: ٤٠]

⁴⁵³ - صحيح، رواه أحمد في المسند، مرجع سابق، مسند الكوفيين، من حديث جرير بن عبد الله، ج6، ص508، حديث رقم(19406).

الله صلى الله عليه وسلم: "مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ" (454)

3. الهلاك: إن الأمة التي تترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعرض نفسها للعذاب والهلاك، فقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث النعمان بن بشر رضي الله عنهما، قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا" (455)(456) وفي هذا الحديث دليل على مخاطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن قوله: "فإن يتركوهم وما أرادوا" دليل على وجوب نهيهم عن ذلك المنكر الذي إن فعلوه هلكوا جميعاً.

ولسنا بحاجة إلى التكلف وعصر الذهن حتى نرى أنه لا تقوم قائمة للأمة الإسلامية حتى تدعوا إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهذا هو التوجيه الرباني الحكيم. ولنا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة. وليست "درة" الفاروق عنا ببعيد. إذ لا بد من جماعة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولا بد من سلطة تأمر وتنهى، وهذا هو مدلول النص القرآني الحكيم وهذا هو تصور الإسلام للمسألة حتى تفلح الأمة وتعود إلى عزها وشرفها ومكانتها بين الأمم وقيادتها إلى بر الأمان مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ" (457). وفي رواية عند أحمد

⁴⁵⁴ - رواه ابن ماجه في سننه، مرجع سابق، ج4، ص400، حديث رقم(4004).

⁴⁵⁵ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج5، ص166، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام، حديث رقم(2493).

⁴⁵⁶ - عيده: غالب عيس، أضواء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص25، ط1، 1407هـ، دار الجيل، بيروت- لبنان.

⁴⁵⁷ - حديث حسن، رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج3، ص210، حديث رقم(2169).

"لَيْسَ حَتَّى تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ لَا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ تَكْلِيفٌ لَيْسَ بِالْهَيْنِ وَلَا بِالْيُسْرِ، إِذَا نَظَرْنَا إِلَى طَبِيعَتِهِ، وَإِلَى اصْطِدَامِهِ بِشَهَوَاتِ النَّاسِ وَنَزَوَاتِهِمْ، وَمَصَالِحِ بَعْضِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ، وَغُرُورِ بَعْضِهِمْ وَكِبَرِيَّائِهِمْ. وَفِيهِمُ الْجَبَّارُ الْغَاشِمُ. وَفِيهِمُ الْحَاكِمُ الْمَتَسَلِّطُ. وَفِيهِمُ الْهَابِطُ الَّذِي يَكْرَهُ الصُّعُودَ. وَفِيهِمُ الْمُسْتَرْخِي الَّذِي يَكْرَهُ الْإِشْتِدَادَ. وَفِيهِمُ الْمُنْحَلُّ الَّذِي يَكْرَهُ الْجِدَّ. وَفِيهِمُ الظَّالِمُ الَّذِي يَكْرَهُ الْعَدْلَ. وَفِيهِمُ الْمُنْحَرِفُ الَّذِي يَكْرَهُ الْإِسْتِقَامَةَ . . وَفِيهِمْ وَفِيهِمْ مِمَّنْ يَنْكُرُونَ الْمَعْرُوفَ، وَيَعْرِفُونَ الْمُنْكَرَ . وَلَا تَفْلَحُ الْأُمَّةُ، وَلَا تَفْلَحُ الْبَشَرِيَّةُ، إِلَّا أَنْ يَسُودَ الْخَيْرُ، وَإِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَعْرُوفُ مَعْرُوفًا، وَالْمُنْكَرُ مَنْكُرًا . . وَهَذَا مَا يَقْتَضِي سُلْطَةَ الْخَيْرِ وَلِلْمَعْرُوفِ تَأْمُرُ وَتَنْهَى وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ضَرُورَةٌ مِنْ ضَرُورَاتِ هَذَا الدَّورِ الَّذِي نَاطَهُ اللَّهُ بِالْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَكَلَفَهَا بِهِ هَذَا التَّكْلِيفَ. وَجَعَلَ الْقِيَامَ بِهِ شَرِيطَةَ الْفَلَاحِ. فَقَالَ عَنْ الَّذِينَ يَنْهَضُونَ بِهِ:

{ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } . . (459)

⁴⁵⁸ - رواه الإمام أحمد، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (22223).

⁴⁵⁹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 1، ص 444-445.

المبحث الرابع

الجهاد في سبيل الله

وفيه أربعة مطالب

تمهيد

كثيراً ما نرى القرآن الكريم يربط الجهاد في سبيل الله عز وجل، بالفلاح والفوز العظيم عند الله جل وعلا، ونراه يحثهم عليه ويرغبهم فيه، وأنه عز وجل إن هم صدقوا في جهادهم وكان جهادهم لوجهه سبحانه، فإنهم سينالون بذلك أجرهم الذي وعدهم به وأعدده لهم، وهو النصر في الدنيا، وما ينالونه من الغنائم والعزة والتمكين في الأرض وتحكيم شرعه جل جلاله في الأرض، ولذلك نرى القرآن الكريم يدعوهم إلى الصبر والثبات في مواجهة عدوهم. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٠٠) (460)

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥) (461)

وقال تعالى ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٥) (462)

يقول جل ثناؤه للمؤمنين به وبرسوله: جاهدوا، أيها المؤمنون، أعدائي وأعداءكم في سبيلي، يعني في دينه وشريعته التي شرعها لعباده، وهي الإسلام. يقول: اثْبُتُوا أَنْفُسَكُمْ فِي قِتَالِهِمْ وَحَمَلِهِمْ عَلَى الدَّخُولِ فِي الْحَنَيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ. (463)

قال الرازي: بقوله ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٥) (464) وهذه الآية آية شريفة مشتملة على أسرار روحانية، ونحن نشير ها هنا إلى واحد منها،

460 - [آل عمران: ٢٠٠].

461 - [الأنفال: ٤٥]

462 - [المائدة: ٣٥]

463 - الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج 4، ص 567.

464 - [المائدة: ٣٥]

وهو أن من يعبد الله تعالى فريقان، منهم من يعبد الله لا لغرض سوى الله، ومنهم من يعبد له لغرض آخر. والمقام الأول: هو المقام الشريف العالي، وإليه الإشارة بقوله ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (465) أي من سبيل عبوديته وطريق الإخلاص في معرفته وخدمته. (466)

وهو عز وجل يخبرهم بما أعده لهم من الخيرات، ويشرحهم بفلاحهم في دنياهم وآخرهم.

والجهاد عبادة لله عز وجل، وأية عبادة وفيها الإنسان يضحي بروحه، وماله ووقته في سبيل رضوانه عز وجل.

قال الإمام أحمد رحمه الله: لا أعلم شيئاً من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد. وروي عنه انه قال: ليس يعدل لقاء العدو شيء، ومباشرة الأعمال بنفسه أفضل الأعمال، والذين يقاتلون العدو الذين يدافعون عن الإسلام وعن حريتهم فأبي عمل أفضل منه؟ الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مهج أنفسهم. (467)

والتخلف عن الجهاد من علامات المنافقين، الذين توعدهم الله بالعذاب الشديد والخسران يوم القيامة. قال تعالى يصف حال المنافقين إذا أمروا بالجهاد: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (468) ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾

ووصف الله تعالى لهم بأنهم أولوا طول هو ألزم في الدم لهم، لأنهم قادرون على الجهاد ولم يفعلوا (469). على العكس من المؤمنين الذين يبذلون الغالي والنفيس إلى نيل رضوان الله عز وجل، ويسارعون إلى طاعته، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا

465 - [المائدة: ٣٥]

466 - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 11، ص 172.

467 - ابن قدامه، المغني، مرجع سابق، ج 12، ص 426.

468 - [التوبة: 86-87].

469 - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 16، ص 124.

مَعَهُ جَهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّكَ لَهُمُ الْخَيْرُ وَأَوْلِيَّكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ (470)

واعلم أنه تعالى لما شرح حال المنافقين في الفرار عن الجهاد، بيّن أن حال الرسول والذين آمنوا معه بالضد منه، حيث بذلوا المال والنفس في طلب رضوان الله والتقرب إليه. وقوله: { لَكِنْ } فيه فائدة، وهي: أن التقدير أنه إن تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو، فقد توجه من هو خير منهم، وأخلص نية واعتقاداً، ولما وصفهم بالمسارعة إلى الجهاد ذكر ما حصل لهم من الفوائد والمنافع. وهو أنواع: أولها: قوله: ﴿ وَأَوْلِيَّكَ لَهُمُ الْخَيْرُ ﴾ واعلم أن لفظ الخيرات، يتناول منافع الدارين، لأجل أن اللفظ مطلق. وقيل: ﴿ الْخَيْرُ ﴾ الحور، وثانيها: قوله: { وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } فقوله: ﴿ هُمُ الْخَيْرُ ﴾ المراد منه الثواب. وقوله: { هُمُ الْمُفْلِحُونَ } المراد منه التخلص من العقاب والعذاب. (471)

المطلب الأول: تعريف الجهاد وحكمه:

الجهاد: بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة أو معاونة بمال أو رأي، أو تكثير سواد أو غير ذلك. (472) وأيده ابن مفلح بقوله: (473) هو قتال الكفار خاصة.

وقيل: هو أن يبذل المسلم في سبيل الله ما يملك من جهد أو طاقة أو مال أو أي شيء ذي نفع أو ذي تأثير ما، سواء أكان ذلك من نفسه، أم من ماله أم من أي شخص يخصه، أم من أي شيء له سلطة عليه.

ويكون هذا البذل في سبيل الله حقاً، حين يكون بهدف نشر دين الله عز وجل والدعوة إليه وتبليغه للناس، أو تأليف القلوب عليه، أو نصرته وتأييده، أو الدفاع عنه، أو

⁴⁷⁰ - [التوبة: 88] .

⁴⁷¹ - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 16، ص 125.

⁴⁷² - ابن عابدين: محمد أمين بن عمر، حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدرر المختار) ج 12، ص 443،

ط 1، 1421 هـ، دار الثقافة والتراث، دمشق - سوريا.

⁴⁷³ - انظر: ابن مفلح: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد، المبدع شرح المقنع، ج 3، ص 280،

ط 1، 1418 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

إعلاء كلمة الله في الأرض، أو إقامة شريعة الله، ومنهاجه الذي رسمه لعباده وحدّد حدوده، مع ابتغاء رضوان الله عز وجل في كل ذلك.⁽⁴⁷⁴⁾

وجزاء هذا العمل هو أكرم جزاء وأحسنه: في الدنيا: النصر على العدو والتمكين لدين الله في الأرض، وفي الآخرة: هو أفضل ما يجزي الله عباده المخلصين وهو الجنة.⁽⁴⁷⁵⁾

أما حكم الجهاد: فتحكم الجهاد حسب نوعه فإن جهاد النفس في ذات الله عز وجل، وجهاد الشيطان، فرض عين لا ينوب به أحد عن أحد، أما جهاد الكفار والمنافقين، فهو تارة يكون فرض كفاية إذا قام به بعضهم سقط عن الكل، وتارة يكون فرض عين في حالات ثلاث لا يسقط إذا نهض به الآخرون.⁽⁴⁷⁶⁾ والحالات الثلاث هي:

1- إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان، فيحرم على من حضر الانصراف، يقول

تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءٌ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٦﴾⁽⁴⁷⁷⁾

2- إذا نزل الكفار ببلد معين، تعين على أهله قتالهم ودفعهم، فالدفاع عن النفس

واجب، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠﴾⁽⁴⁷⁸⁾

3- إذا استنفر ولي الأمر قوماً لزمهم النفير قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَأَقَلُّتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ

⁴⁷⁴ - الأزدي: محمد بن عيسى بن محمد، الإجماع في أبواب الجهاد، ص7، ط1، 1415هـ، دار الإمام مالك، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة. مؤسسة الريان- بيروت- لبنان.

⁴⁷⁵ - الأزدي، ركن الجهاد، مرجع سابق، ص7.

⁴⁷⁶ - ابن القيم: محمد بن أبي بكر الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج3، ص12، ط1، 1424هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

⁴⁷⁷ - [الأنفال: 15، 16].

⁴⁷⁸ - [البقرة: 190].

الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
(479) . (480)

المطلب الثاني: فضل الجهاد والمجاهدين⁽⁴⁸¹⁾

- والجهاد من أفضل الأعمال بعد الإيمان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ فَقَالَ إِيْمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ حَجٌّ مَبْرُورٌ. (482)
- وهو من أحب الأعمال إلى الله: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُوصٌ﴾ (٤) (483)
- وهو تجارة رابحة بين العبد وربه: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٣١) (484)
- وهو أفضل من عمارة المسجد الحرام: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩) (485)
- وهو أفضل من العزلة والتفرغ للعبادة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ

⁴⁷⁹ - [التوبة: 38]

⁴⁸⁰ - ابن قدامة: المغني، مرجع سابق، ص 423.

⁴⁸¹ - انظر: الخالدي: صلاح عبد الفتاح، تهذيب كتاب مشاريع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد، ص 58-71، ط 1، 1419 هـ، دار النفائس، عمان - الأردن.

⁴⁸² - رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ج 2، ص 63، حديث رقم (135)

⁴⁸³ - [الصف: ٤]

⁴⁸⁴ - [التوبة: ١١١]

⁴⁸⁵ - [التوبة: ١٩]

سَبْعِينَ عَامًا أَلَّا تُجِيبُونَ أَنَّ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ الْجَنَّةَ اغْزَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوْاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. (486)

• وهو ذروة سنام الإسلام: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَّلًا أَدُلُّكَ عَلَى رَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ أَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ فَالْإِسْلَامُ فَمَنْ أَسْلَمَ سَلِمَ وَأَمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلَاةُ وَأَمَّا ذُرْوَةُ سَنَامِهِ فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. (487)

• والمجاهد من أفضل الناس عند الله عز وجل: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ﴾ (488)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ فَقَالَ رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ. (489)

• والمجاهد خير الناس وأكرمهم على الله: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَلَّا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلًا قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ رَجُلٌ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يُقْتَلَ. (490)

• ويرفعه الله مائة درجة في الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. (491)

486- رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغزو والرواح، ج2، ص538، حديث رقم (165)

487- الشيباني: الإمام أحمد، المسند، مسند الأنصار، معاذ بن جبل، ج7، ص349، حديث رقم (22366).

488- [النساء: 95]

489- رواه مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، ج13، ص، حديث رقم (1888). قال النووي: من أفضل الناس وليس أفضلهم وإلا فالعلماء أفضل والصدّيقين كما جاءت به الأحاديث.

490- رواه النسائي، سنن النسائي، ج5، ص83، حديث رقم (2569).

491- البخاري، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ج6، ص13، حديث رقم (2790)

• والله عز وجل يهديه وهو ضامنه وكافله: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ

سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩١) (492)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِيمَانًا بِي وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ لَوْثُهُ لَوْ أَنَّ دَمَ وَرِيحِهِ مِسْكٌ. (493)

المطلب الثالث: أهداف الجهاد وغاياته

وشرع الجهاد في سبيل الله لأغراض كثيرة وأهداف نبيلة سامية منها:

1. حماية الدين: فهو يحمي الوحدة الخالصة، والدين الذي ختم الله به الرسالات، والعقيدة الصحيحة، من عدوان المعتدين.

2. الجهاد قوة للمؤمنين: لما كان الناس يتهالون على السلطان ويتكالبون على الثراء، فيعتدي أقوياءهم على الضعفاء، لم يكن بد من جهاد ينتصر به الحق على الباطل، والخير على الشر، وتحقق به حماية العقيدة، وإعزاز الدين، وصيانة الوطن، والمحافظة على الحياة، والعروض، والمال، وبهذا الجهاد يُعز المؤمن ويقوي دولتهم، وتسلم من العدوان ديارهم. (494)

3. إعلاء كلمة الله وإعزاز الإسلام والمسلمين وقمع الشرك وأعوانه، وهو شفاء لصدورهم وإذهاب لغيظ قلوبهم، ولتمحيص قلوبهم واختبار نفوسهم. (495)

4. تمكين دعوة الله أن تبلغ من يجب أن يُبَلَّغوا بها - وهم الناس جميعاً في كل ومكان يمكن أن تصل إليه الدعوة، وفي كل زمان يعيش فيه المسلمون - دون عائق أو

⁴⁹² - [العنكبوت: ٦٩]

⁴⁹³ - رواه مسلم: صحيح مسلم شرح النووي، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، ج13، ص19، حديث رقم (1876).

⁴⁹⁴ - انظر: الحوفي: محمد أحمد، الجهاد، ص145-154، 1389 هـ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

⁴⁹⁵ - موسوعة نضرة النعيم، مرجع سابق، ج4، ص1505.

اعتراض من أحد يريد أن يحول بين الناس وبين الاستماع إلى دعوة الله ومنهجه. (496)

فالجهاد جاء لتحرير النوع الإنساني كله من الشرك ومن عبادة الناس والأشياء والهوى، ولذلك يخطئ من يظن أن هدف الجهاد وموضوعه منحصر في طائفة من الناس دون أخرى، وهو لا ينحصر في وعاء زمني يضم أبناء هذا الزمن بعينه دون بقية الأزمان. فموضوعه الإنسانية كلها في كل مكان وزمان، وأن هذا النوع الإنساني يجب أن يستقيم على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي عبادته وحده سبحانه، والتحرر من كل معبود، ومن كل طاغوت، ولهذا كان الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة ليقاوم هذا الانحراف عن الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها. فما دام هذا الانحراف موجوداً، فإن الجهاد موجود، وفضيلته باقية بكل زمان ومكان. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ (497)(498)

المطلب الرابع: مجالات الجهاد

أما مجالات الجهاد فهي كثيرة منها:

1. بذل المال كثيراً كان أو قليلاً في سبيل الله وابتغاء مرضاته.
2. بذل طاقة الفكر في البحث والتأمل لنصرة دين الله، وشرح آيات كتابه العزيز، وإيضاح تعاليمه، واستنباط الأحكام الشرعية من مصادر التشريع.
3. بذل قدرات اللسان في البيان النافع المؤثر لنشر دين الله، وتبليغه للناس والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.
4. بذل قدرات الكتابة والتأليف في كتابة الموضوعات التي تخدم منهج السلف، والفهم الصحيح للإسلام، تعليماً أو إقناعاً أو تذكيراً.

⁴⁹⁶ - علي عبد الحليم، ركن الجهاد، مرجع سابق، ص 62،

⁴⁹⁷ - [البقرة: ٢١٧]

⁴⁹⁸ - انظر: علي عبد الحليم، ركن الجهاد، مرجع سابق، ص 72.

5. بذل حركة الجسد في المشي والسعي والسفر والتنقل في الأرض، وغير ذلك من حركات لخدمة الأهداف السابقة، سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم بجمع المال من الباذلين.

6. التضحية بشهوات النفس ولذاتها وراحتها، أو لذات الجسد وشهواته وراحته، للانصراف لخدمة قضية ما تحتاجه رسالة الإسلام.

7. الاجتهاد في إعداد المستطاع من القوى المادية والمعنوية والخطط اللازمة لذلك.

8. التضحية بالحياة كلها إذا اقتضى أمر الدين ذلك، وصار ما يجني من نفع للإسلام أو للمسلمين، أعظم من حياة الفرد الذي يضحي بنفسه.⁽⁴⁹⁹⁾

والجهاد في الإسلام لا يعبث بحرمات الناس وكرامتهم وآدميتهم، فهو جهاد في سبيل الله وحده، وسبيل الله هو الحق، وهو العدل، وهو الخير، وهو كل ما أمر الله به، وهو اجتناب ما نهى عنه سبحانه، وهو السلام والأمان للبشرية كلها إن عرفت ربها وآمنت به، واختارت بإرادتها الحق على الباطل وهجرة الطاغوت. و غزواته صلى الله عليه وسلم وجهاد أصحابه من بعده، خير دليل على ذلك فهي أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه يوصي جيش المسلمين بقيادة أسامة بن زيد رضي الله عنه، أن لا يقطعوا شجرة، ولا يقتلوا طفلاً، ولا يهدموا كنيساً، فهو جهاد يحمي ويدافع عن الحقوق ولا ينتهكها، جاء لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإلى عبادة الله عز وجل وحده، ومن الظلم والجور والاستعباد إلى العدل والحرية، وهذا رد صارخ على المرجفين الذين يقولون بأن الإسلام انتشر بالقوة وبالسيف، ويتجاهلون بأن كثيراً من البلاد التي فتحها المسلمون كانت بدون قتال، بل بالمعاملة الحسنة والأخلاق الفاضلة.

وفي سبيل الله: أي ليس لأغراض شخصية ومنافع ذاتية، أو لنصرة جماعة أو حزب، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

⁴⁹⁹ - انظر: الأزدي، الإنجاد في أبواب الجهاد، مرجع سابق، ص 7-9.

فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلدَّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.⁽⁵⁰⁰⁾

⁵⁰⁰- رواه البخاري: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ج6، ص34، حديث رقم (2810).

المبحث الخامس

الصبر

وفيه ستة مطالب

المطلب الأول: معنى الصبر

الصبر: هو خلق فاضل من أخلاق النفس، يُمتنع به من فعل ما لا يُحسن ولا يُجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها، وقيل: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.⁽⁵⁰¹⁾

وذكر الرازي معنى آخر فقال: هو قهر للنفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى، وتوطئتها على تحمل المشاق وتجنب الجزع. ومن حمل نفسه وقلبه على هذا التذليل سهل عليه فعل الطاعات، وتحمل مشاق العبادات وتجنب المحظورات.⁽⁵⁰²⁾

وقد أمر الله عز وجل بالصبر على الطاعة وعن المخالفة، فيقال فلان صابر عن المعاصي، إذا صبر عن المعاصي فقد صبر على الطاعة، فهو صابر على طاعة الله عز وجل، وصابر عن معصيته لا يعصيه في أمر من الأمور.

فإن طاعة الله عز وجل والاستقامة على شرعه والسير على هدي نبيه صلى الله عليه وسلم، تحتاج إلى قوة احتمال ومجاهدة لما فيهن من أعباء، ولكي يقوى الإنسان على حمل هذه الأعباء، لا بد له من زاد يعينه ويمسك عليه عزمه ومضاه. والصبر خير زاد يتزود الإنسان به لكي يجد من نفسه القدرة على الوفاء ببعض حق الله عز وجل، والصبر قوة معنوية لا يحصل عليها الإنسان إلا بعد رياضة ومعاناة، وتلك الرياضة وهذه المعاناة يحتاجان إلى الصبر والصبر يحتاج إليهما.⁽⁵⁰³⁾

⁵⁰¹ - ابن القيم: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص16، د.ط، المكتبة القيمة، القاهرة- مصر.

⁵⁰² - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج4، ص131.

⁵⁰³ - الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، مرجع سابق، ج1، ص174.

والإنسان مطالب بالصبر على شدة الدنيا وعسرها، ولا يجب أن بثنيه ذلك عن طاعة الله عز وجل، وهو يشكر الله عز وجل على ذلك ويؤدي حقوقه. والله عز وجل يثبت الصابر على طاعته في السراء والضراء، ويثبت يوم القيامة على صبره والمساورة في رضاه ويغفر له سيئاته. (504)

المطلب الثاني: فضل الصبر

وقد جعل الله عز وجل مفتاح الفرج ورفع قدر الصابرين إلى أعلى الدرج. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (505) ولا تملوا، فإن الله إذا أراد أمراً هياً أسبابه وسهل صعبه، فهذه سنة الله في هذه الحياة، فعلى المسلم أن يصبر ويتعظ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في بدر قلة وكان أعداؤهم كثرة، فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، وصابروا وجالدوا فأمدهم الله بمعونة من ملائكته وأيدهم بروح منه ونصرهم نصراً مبيناً. (506)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية عن الحسن البصري، رحمه الله أنه قال: أُمرُوا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم، وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضرأ ولا لشدة ولا لرخاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم. وكذلك قال غير واحد من علماء السلف. (507)

والصبر يعين على ذكر الله عز وجل واحتمال المكروه في الأموال والأبدان، ويعين على القيام بطاعة الله عز وجل وأداء الفرائض والتسليم لأمر الله جل جلاله، وإن لحق بذلك مكروه أو مشقة في البدن، أو نقص في الأموال، فبالصبر تدرك مرضاته عز وجل. (508) فالدعوة إلى الصبر دعوة إلى التمسك بالطاعات أولاً، والتعود على أداء الواجبات،

504- الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج3، ص563.

505- [آل عمران: ٢٠٠]

506- قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص551.

507- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج1، ص360.

508- الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج2، ص41، بتصرف.

فذلك هو الذي يخلق في الإنسان خلق الصبر، ومع الزمن ينمو ويصبح قوة عاملة في الإنسان. (509)

ومن فضل الصبر وصف الله تعالى نفسه به، كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَيْسَ أَحَدٌ أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا وَإِنَّهُ لَيَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ". (510) قال العلماء رحمهم الله: وصف الله تعالى بالصبر إنما هو بمعنى الحلم ومعنى وصفه بالحلم هو تأخير العقوبة عن المستحقين لها. ومن أسمائه الصبور للمبالغة في الحلم عمن عصاه. (511)

والصبر على الأذى والطاعات من باب جهاد النفس، وقمعها عن شهواتها ومنعها من تطاولها، وهو من أخلاق الأنبياء والصالحين. قال يحيى بن اليمان: الصبر أن لا تتمنى حالة سوى ما رزقك الله، والرضا بما قضى الله من أمر دنياك وآخرتك. وقال الشعبي: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: الصبر من الإيمان بمثلة الرأس من الجسد، وذلك أن الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، فمن لم يصبر على العمل بجوارحه لم يستحق الإيمان بالإطلاق، فالصبر على العمل بالشرائع نظير الرأس من الجسد للإنسان. (512)

المطلب الثالث: حكم الصبر

والصبر واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر. قال الإمام أحمد رحمه الله: ذكر الصبر في القرآن الكريم في نحو تسعين موضعاً. (513) وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية الصبر وعلى مدى عناية القرآن الكريم به.

والصبر زاد المؤمنين وعتادهم في مسيرهم إلى الله عز وجل وبلوغ مرضاته، وبغير الصبر وتوطين النفس على ما تكره، لا يستقيم خطو الإنسان أبداً على طريق الحق والخير،

509- الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، مرجع سابق، ج1، ص174.

510- أخرجه البخاري: فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج10، ص576، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، حديث رقم (6099).

511- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج1، ص306.

512- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج1، ص305.

513- ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج2، ص146.

وإذا كان ذلك الطريق دائماً مُوحِشاً تعترض سالكه الحواجز والمزالق والعثرات، فقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة دعوة خالصة إلى الصبر، تعزي المسلمين به وتحرضهم عليه، وتفتح لهم طريق النجاح والفلاح بيده. والصبر هو القوة التي يلقي بها المرء الشدائد والمكاره فيحتملها في إصرار وعزم، وفي غير وهن أو ضعف، فذلك هو الصبر الذي يدعو إليه الإسلام ويزكيه، كما تدعوا إليه رسالات السماء وحكمة الحكماء،⁽⁵¹⁴⁾ وفي هذا يقول لقمان لابنه فيما يقول القرآن الكريم عنه: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ^(١٧) (515)

المطلب الرابع: مجالات الصبر

فالصبر يكون على مشقة النظر والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وعلى مشقة استنباط الجواب عن شبهات المخالفين وعلى مشاق الدعوة إلى الله عز وجل. والصبر يكون على أداء الواجبات والمندوبات وعلى طاعة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ ^(٦٥) (516) والصبر على مشقة الاحتراز من المنهيات وعلى مشتبهات النفس.

والصبر على شدائد الدنيا وآفاتهما من الأمراض والفقر والقحط والخوف. (517) قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ^(١٥٥) (518)

والصبر حين البأس، قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾

^(١٧٧) (519)

⁵¹⁴ - الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، مرجع سابق، ج 1، ص 679.

⁵¹⁵ - [لقمان: ١٧]

⁵¹⁶ - [مريم: ٦٥]

⁵¹⁷ - انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 9، ص 126.

⁵¹⁸ - [البقرة: ١٥٥]

⁵¹⁹ - [البقرة: ١٧٧]

والصبر في مجال العلاقات الإنسانية. (520)

والصبر إنما يكون عند الصدمة الأولى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى". (521)

قال الإمام النووي رحمه الله: هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر الجزيل لكثرة المشقة فيه وأصل الصدم الضرب في شيء صلب، ثم استُعْمِلَ مجازاً في كل مكروه حصل بغتة. (522) وقال ابن حجر رحمه الله: والمعنى إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر. قال الخطابي: المعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك فانه على الأيام يسلو، وحكى الخطابي عن غيره: أن المرء لا يؤجر على المصيبة لأنها ليست من صنعه، وإنما يؤجر على حسن تثبته، وجميل صبره. (523)

أي: إنما الصبر الشاق على النفس الذي يَعْظُمُ الثواب عليه، إنما هو عند هجوم المصيبة وحرارتها، فانه يدل على قوة القلب وتثبته في مقام الصبر، وأما إذا بردت حرارة المصيبة، فكل أحد يصبر إذ ذاك. والصبر صبران: صبر عن معصية الله فهذا مجاهد، وصبر على طاعة الله، فهذا عابد. فإذا صبر عن معصية الله وصبر على طاعة الله، أورثه الرضا بقضائه، وعلامة الرضى سكون القلب بما ورد على النفس من المكروهات والمحوبات. قال الخوَّاص: الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة، أما إظهار البلوى على غير وجه الشكوى، فلا ينافي الصبر، قال تعالى في قصة أيوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (524) مع ما أخبر عنه أنه قال: ﴿أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ﴾ (525)

520- انظر: القرضاوي: يوسف عبد الله، الصبر في القرآن الكريم، ص14، ط10، 1417هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

521- رواه الشيخان، صحيح مسلم بشرح النووي، ج6، ص202، كتاب الجنائز، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى حديث رقم (626). فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج3، ص191، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، حديث رقم (1283).

522- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج6، ص202.

523- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج3، ص192.

524- [ص: ٤٤]

525- [الأنبياء: ٨٣]

المطلب الخامس: أنواع الصبر

قال ابن القيم رحمه الله: الصبر ثلاثة أنواع: صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله.
فالصبر بالله: الاستعانة به ورؤيته أنه هو المصير، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (١٢٧) يعني إن لم يصبرك هو فلمن تصبر.

وصبر لله: وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس، والاستحمان إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض.

وصبر مع الله: وهو دوران العبد مع مراد الله تعالى، الديني منه، ومع أحكامه الدينية صابراً نفسه معها، سائراً بسيرها، مقيماً بإقامتها، يتوجه معها إلى أين توجهت ركائبها، ويتزل معها أين استقلت مضاربها. فهذا كونه صابراً مع الله، أي: قد جعل نفسه وقفاً على أوامره وهو أشد أنواع الصبر، وأصعبها، وهو صبر الصديقين. (527)

والإنسان يقدم على الصبر لوجوه:

أولها: أن يصبر ليقال ما أكمل صبره، وأشد قوته على تحمل النوازل.

ثانيها: أن يصبر لئلا يعاب بسبب الجزع.

ثالثها: أن يصبر لئلا تحصل شماتة الأعداء.

رابعها: أن يصبر لعلمه بأنه لا فائدة في الجزع.

فالإنسان إذا صبر لأحد هذه الوجوه، لم يكن ذلك طلباً لمرضاة الله عز وجل، أما إذا صبر على البلاء لعلمه بأنه من قسمة الحكيم العلام المتزه عن العيب والباطل والسفه، وأن ذلك البلاء لحكمة بالغة، ومصلحة راجحة، ورضي بذلك لأنه تصرّف المالك في

⁵²⁶ - [النحل: ١٢٧]

⁵²⁷ - ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج2، ص164.

مُلْكِهِ، ولا اعتراض على المالك في أن يتصرف في ملكه. عندها يصدق عليه أنه صبر ابتغاء وجه ربه، ومعناه أنه صبر لمجرد ثوابه، وطلب رضا الله تعالى. (528)

ولهذا نرى عناية القرآن الكريم البالغة في الصبر، لما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة، بل هو ضرورة لازمة للإنسان ليرقى مادياً ومعنوياً، ويسعد فردياً واجتماعياً، فلا ينتصر دين ولا تنهض دنيا إلا بالصبر، فالصبر ضرورة دنيوية، كما هو ضرورة دينية، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر. (529)

المطلب السادس: فوائد الصبر

وفوائد الصبر وخيراته أكثر من أن تُعدّ، نذكر منها:

1. معية الله تعالى مع الصابرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٦) (530)

فإن من كان الله عز وجل معه فهو المفلح وذلك ما يسعى إليه المرء في دنياه وأخراه أن يكون مع الله ويكون الله معه.

2. محبة الله تعالى لهم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦) (531) ومن أحبه الله فقد فاز ونجا من عذابه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

3. إطلاق البشري لهم بما لم يُجمع لغيرهم، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٠٠) (532)

4. إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٦) (533)

528 - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج19، ص34. بتصرف.

529 - القرطبي، الصبر في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص14.

530 - [الأنفال: ٤٦]

531 - [آل عمران: ١٤٦]

532 - [البقرة: ١٥٥]

533 - [النحل: ٩٦]

5. ضمان النصر والمدد لهم، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ

هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ (534)

6. استحقاقهم دخول الجنة، (535) قال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢٦﴾

(536) وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ

فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ (537)

⁵³⁴ - [آل عمران: 125]

⁵³⁵ - القرضاوي، الصبر في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 68-69.

⁵³⁶ - [الإنسان: ١٢]

⁵³⁷ - [الفرقان: ٧٥]

المبحث السادس

ذكر الله عز وجل

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: معنى الذكر

الذكر: تارة يراد به هيئة للنفس به يمكن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره. (538)

ويطلق تارة على معان عدة منها الصلاة لله تعالى، والدعاء إليه، ويطلق على الطاعة، والشكر، والدعاء، والتسبيح، وقراءة القرآن، وتمجيد الله وتخليله وتسيبته والثناء عليه بجميع محامده. والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين، ووضع الملل، وكل كتاب من الأنبياء ذكر، (539) ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (540)

وعرفه النووي رحمه الله تعريفاً آخر فقال (541): والمراد بالذكر حضور القلب، فينبغي أن يكون هو المقصود، فيحرص الذاكر على تحصيله، ويتدبر ما يذكر ويتعقل معناه، فالتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في القراءة، لاشتراكهما في المعنى المقصود.

المطلب الثاني: أنواع الذكر:

قال ابن الرسام: أنواع الذكر ثلاثة:

أولها: ذكر اللسان والقلب غافل، فذاك ذكر العادة.

ثانيها: ذكر اللسان والقلب حاضر، فذاك ذكر طلب الثواب.

ثالثها: ذكر يملأ القلب ويملأ اللسان، فلا يعلم قدره إلا الله تعالى.

538- الراغب: المفردات، مرجع سابق، ص328

539- المرجع السابق نفسه.

540- [الحجر: ٩]

541- النووي: محي الدين يحيى بن شرف النووي، الأذكار من كلام سيد الأبرار، ص43، ط1، 1425هـ، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية.

قل من ذكر الله تعالى فليذكره بنسيان كل شيء سواه، فإن حقيقة الذكر أن تنسأ ما سواه. (542)

أما ابن القيم رحمه الله فقد ذهب إلى أن الذكر نوعان:

الأول: ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته، والثناء عليه بها، وتزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى، وهذا أيضا نوعان: أحدها: إنشاء الثناء عليه بها من الذكر، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث نحو: "سبحان الله والحمد لله والله أكبر" وغيرها كثير، فأفضل هذا النوع أجمعها للثناء وأعمه. ثانيها: الخبر عن الرب تبارك وتعالى بأحكام أسمائه وصفاته نحو قولك: "الله سبحانه وتعالى يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم". وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثني به على نفسه، وبما أثني به عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، وهذا ثلاثة أنواع: حمد وثناء ومجد.

الثاني: ذكر أمره ونهيه وأحكامه: وهو أيضا نوعان: أولها: ذكره بذلك إخباراً عنه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا، وأوجب كذا وسخط كذا ورضي بكذا. ثانيها: ذكره عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه، فذكر أمره نهيه شيء، وذكره عند نهيه وأمره شيء آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذكر، فذكره أفضل الذكر وأجله وأعظمه فائدة. ومن ذكره جل وعلا: ذكر آلائه، وإنعامه، وإحسانه، وأياديه، ومواقع فضله على عبده، وهذا أيضا من أجل أنواع الذكر. (543)

قلت ما ذكره ابن الرسام رحمه الله، هو أقرب إلى حال الذاكرين منه إلى أنواع الذكر، أما ابن القيم رحمه الله فقد كان أدق في أنواعه وتقسيمه، فقد قسمه إلى كل ما يمكن أن ينطق به اللسان من الذكر سواء أكان حمداً أم ثناءً أم أمراً أم نهياً، والله أعلم.

⁵⁴² - ابن الرسام: أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي الحموي، معاد الجواهر في فضل الذكر والذاكر، ص10،

ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

⁵⁴³ - ابن القيم، الوابل الصيب، مرجع سابق، ص184.

المطلب الثالث: فضل الذكر:

والذكر له من الفضائل ما لا يحصى ولا يدخل تحت الحصر، فالذاكر لله مذكور في السماء محفوف برعاية الله، محبوب من ربه، والذاكر له مكانته وقدره عند الله، فلو لم يذكره الله ما ذكر، وذلك من أجل النعم على الذاكر. (544)

ولا يوجد عمل أشرف للصدر، وأعظم للأجر كالذكر، فالذكر جنة الله في أرضه، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وهو إنقاذ للنفس من أوصافها وأتعابها واضطرابها، وطريق ميسر مختصر إلى كل فوز وفلاح، بذكر الله تنقشع سحب الخوف والفرع والهم والحزن، بذكر الله تزاح جبال الكرب والغم والأسى. (545)

وجميع الخصال الحمودة راجعة إلى الذكر، ومنشؤها عند الذكر، وفضائل الذكر أكثر من أن تعد. (546)

وقد عاش السلف الصالحون ورأوا ذلك وأثره على أنفسهم وفي هناء عيشهم، قال الحسن البصري رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، والذكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق عليكم. (547)

والذكر لا ينحصر في تحريك اللسان، وإنما هو أعم من ذلك فذكر الله عند الهم بالمعصية، وذكر الله عند الحلال والحرام، وذكر الله عند البيع والشراء، والنكاح والطلاق، ذلك كله من أفضل أنواع الذكر، كما أن ذكر الله عند إمطة الأذى عن الطريق، أو قضاء حاجة المسلم. (548)

والذكر غير مؤقت، وما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله عز وجل، إما فرضاً وإما ندباً، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات. (549)

544- النووي، الأذكار، مرجع سابق، ص21.

545- القرني، لا تحزن، مرجع سابق، ص27.

546- القشيري: عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية، ص258، 1422هـ، دار الكتب العلمية.

547- ابن الرسام: معاد الجواهر، مرجع سابق، ص10.

548- النووي، الأذكار، مرجع سابق، ص22.

549- القشيري، الرسالة القشيرية، مرجع سابق، ص258.

وهو ما ذكره الإمام النووي رحمه الله حيث قال: فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله بطاعة فهو ذاكراً لله تعالى. (550)

والذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد، والمجاهد الغافل، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن ذكر الله. فأفضل الذاكرون المجاهدين، وأفضل المجاهدين الذاكرون. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِيكُم مَّا تَابَتُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥) (551) فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معاً، ليكونوا على رجاء من الفلاح. (552)

المطلب الرابع: منزلة الذكر:

هي منزلة العباد الكبرى التي منها يتزودون، وفيها ينجزون واليها دائماً يترددون، والذكر هو منشور الولاية الذي من أعطيه امتثل ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب العارفين التي متى تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق عن الله عز وجل، وهو دواء استقامتهم الذي متى فارقه انتكست منه القلوب، وإذا حل بهم البلاء فإليه الملجأ وإذا نزل بهم النوازل فإليه فزعهم، وهو يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً، مستبشراً بما أُعِدَّ لهم من الثواب الجزيل والفضل العظيم، فذكر الله شفاء القلوب وجلاؤها إذا غشيها اعتلال، والمداوم عليه يحفظه الله من كل شيء، ويكون الله تعالى له عوضاً عن كل شيء، زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين نور الناظرين، فاللسان الغافل عن ذكر الله تعالى كالعين إذا عميت والأذن إذا صمت. (553)

فصدأ القلوب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته، كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصداه بحسب غفلته، وإذا صدأ القلب لم تنطبع فيه صورة المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحق،

550- النووي، الأذكار، مرجع سابق، ص38.

551- [الأنفال: ٤٥]

552- ابن القيم، الوابل الصيب، مرجع سابق، ص92.

553- ابن الرسام، معاد الجواهر، مرجع سابق، ص11.

والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصداً أظلم، فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه. (554)

المطلب الخامس: هل للذكر حدود

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ" (555)

فعلى المؤمن حقاً أن يكثر من الذكر، فهو من علامات الإيمان، وقلة الذكر من علامات المنافقين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٢) (556) ما قال عز وجل لا يذكرون الله، بل قال يذكرون الله لكن قليل، فالمنافق قد يذكر الله ويسبح لكن قليل، ولسانه ميت وقلبه ميت، فهو ما عنده نشاط على الذكر كما هو المؤمن الحق الذي علامته الذكر الكثير لله عز وجل، فالمؤمن يذكر الله عز وجل في المساء والصباح، وعند النوم ومع الطعام و الشراب، ومع دخول المسجد وعند الخروج منه، وغيرها من الأذكار الواردة عنه عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠) (557)

أي: حال بيعكم وشرائكم، وأخذكم وعطائكم، اذكروا الله ذكراً كثيراً، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة. (558) ولهذا جاء في الحديث: "من دخل سوقاً من الأسواق فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير كتبت له ألف ألف حسنة، ومُحي عنه ألف ألف سيئة" (559)

فهو الذي بيده كل شيء ولا شيء لغيره فإنه لا رخصة في ترك ذكره أصلاً. ولما كان العبد مطلوباً بالعبادة في كل حال فإنه مجبول على النسيان. فمهما فتر عن نفسه استولت

554- ابن القيم، الوابل الصيب، مرجع سابق، ص94.

555- رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج17، ص4، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، حديث رقم (4).

556- [النساء: ١٤٢]

557- [الجمعة: ١٠]

558- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج3، ص526.

559- الحديث ضعيف عند جمهور أهل العلم، رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج3، ص58، كتاب التجارات، باب الأسواق ودخولها، حديث رقم (2235).

عليها الغفلة فمرت على البطالة فهلك قال تعالى: { كَثِيرًا } أي بحيث لا تغفلوا عنه بقلوبكم أصلاً ولا بالسنتكم. ولما كان مراد الإنسان من جميع تصرفاته الفوز بمراداته قال معللاً لهذا الأمر: { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } أي لتكونوا عند الناظر لكم والمطلع عليكم من أمثالكم ممن يجهل العواقب على رجاء من أن تظفروا بجميع مطلوباتكم، فإن الأمور كلها بيد من تكثر من ذكره، وهو عالم بمن يستحق الفلاح فيسعفه به وبمن عمل رياء ونحوه فيخيبه، فإذا امتثلتم أمره كان جديراً بتحويلكم ما تريدون، وإن نسيتموه كنتم جديرين بأن يكلكم إلى أنفسكم فتهلكوا. (560)

فإن هذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي، والتوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض، من عمل وكد ونشاط وكسب، وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو وانقطاع القلب وتجرده للذكر، وهي ضرورة حياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى. وذكر الله لا بد منه في أثناء ابتغاء المعاش، والشعور بالله فيه هو الذي يحول نشاط المعاش إلى عبادة، ولكنه مع هذا لا بد من فترة للذكر الخالص، والانقطاع الكامل، والتجرد المحض. (561)

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّهُ بِهِ، قَالَ: "لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ." (562)

قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً، حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً. (563)

قيل لابن الصلاح المحدث الشافعي: ما حد ذكر الله الكثير؟ قال من حافظ على الأذكار المأثورة عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم فقد ذكر الله كثيراً.

⁵⁶⁰ - البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ج20، ص67.
⁵⁶¹ - قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج6، ص3570.
⁵⁶² - رواه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج4، ص297، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، حديث رقم (3375).
⁵⁶³ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص8. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص526. مرجعان سابقان.

ونسب إلى ابن عباس رضي الله عنه قال: من ذكر الله في الحل والترحال والإقامة والظعن، والصحة والمرض، فقد ذكر الله كثيراً. (564)

وهذا هو الواجب على كل مسلم يريد رضا الله عز وجل وثوابه، فالذكر لا يحتاج إلى وقت معين أو جهد، فهو جهد اللسان فقط، وهذا متيسر لكل مسلم، فإن الإنسان يستطيع أن يذكر الله في كل وقت، سواء في عمله أم في بيته أم في غيرها من الأماكن.

⁵⁶⁴- انظر: القرني: عائض بن عبد الله، الإسلام وقضايا العصر، ص16، ط1، 1421هـ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان.

الفصل الرابع

موانع الفلاح

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الكفر

المبحث الثاني: الظلم

المبحث الثالث: الكبائر

المبحث الأول

الكُفر

وفيه سبعة مطالب

المطلب الأول: معنى الكُفر

الكُفر لغة: السِتْرُ والتَّغْطِيَةُ، وَهُوَ ضِدُّ الْإِيمَانِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَغْطِيَةُ لِلْحَقِّ. وَكَفَرَانُ النَّعْمَةِ: جُحُودُهَا وَسِتْرُهَا. (565)

والكَافِرُ: الْجَاهِدُ لِأَنْعُمِ اللَّهِ، مُشْتَقٌّ مِنَ السِتْرِ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ مُغْطًى عَلَى قَلْبِهِ. (566)

أما الكُفر اصطلاحاً ففيه تعاريف كثيرة منها: سترُ نعمة المنعم بالجُحودِ، أو بِعَمَلٍ هو كالجُحودِ في مُخَالَفَةِ المنعم. (567) مِثْلُ مُقَابَلَةِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَى الْإِنْسَانِ بِالْمَعْصِيَةِ وَعَدَمِ طَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ.

وَقِيلَ: هُوَ عَدَمُ التَّصَدِيقِ بِاللَّهِ، أَوْ مِلَاتِكَيْهِ، أَوْ كُتْبِهِ، أَوْ رُسُلِهِ، أَوْ الْيَوْمِ الْآخِرِ، أَوْ أَيْ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ، أَوْ أَيْ تَقْرِيرٍ دِينِي يُعْلَمُ أَنَّهُ بِالضَّرُورَةِ مِنَ الدِّينِ، فَالْكَافِرُ يُعْطَى آيَاتِ اللَّهِ الْبَيِّنَاتِ الْوَاضِحَةِ. (568) وَهِيَ نَوَاقِضُ الْإِيمَانِ؛ إِذِ الْإِيمَانُ هُوَ التَّصَدِيقُ بِهَا وَالْكَفَرُ عَكْسُهَا.

وَقِيلَ: عَدَمُ تَصَدِيقِ الرَّسُولِ فِي شَيْءٍ مِمَّا عُلِمَ بِالضَّرُورَةِ مَجِيئُهُ بِهِ، وَمِثَالُهُ مَنْ أَنْكَرَ وَجُودَ الصَّانِعِ، أَوْ كَوْنَهُ عَالِمًا قَادِرًا مُخْتَارًا، أَوْ كَوْنَهُ وَاحِدًا، أَوْ كَوْنَهُ مُنَزَّهًا عَنِ النَّقَائِصِ وَالْآفَاتِ، أَوْ أَنْكَرَ بُيُوتَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ صِحَّةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوْ أَنْكَرَ الشَّرَائِعَ الَّتِي عَلِمْنَا بِالضَّرُورَةِ كَوْنَهَا مِنْ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَوُجُوبِ

565- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج2، ص450.

566- ابن منظور، لسان اللسان، مرجع سابق، ج2، ص466.

567- الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق، ص185.

568- الزنداني: عبد المجيد عزيز، التوحيد، ص196، ط7، دار الفكر، بيروت- لبنان.

الصَّلَاةَ، وَالزَّكَاةَ، وَالصَّوْمَ، وَالْحَجَّ، وَحُرْمَةَ الرَّبَا، وَالْخَمْرِ، فَذَلِكَ يَكُونُ كَافِرًا؛ لِأَنَّهُ تَرَكَ تَصَدِيقَ الرَّسُولِ فِيمَا عَلِمَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ مِنْ دِينِهِ. (569)

قَالَ الْكَفَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْكُفْرُ قَدْ يَحْصُلُ بِالْقَوْلِ تَارَةً وَبِالْفِعْلِ أُخْرَى: فَالْقَوْلُ الْمَوْجِبُ لِلْكُفْرِ: إنْكَارُ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ فِيهِ نَصٌّ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَصْدُرَ عَنْ اعْتِقَادٍ، أَوْ عِنَادٍ، أَوْ اسْتِهْزَاءٍ. وَالْفِعْلُ الْمَوْجِبُ لِلْكُفْرِ: الَّذِي يَصْدُرُ عَنْ تَعَمُّدٍ وَيَكُونُ اسْتِهْزَاءً صَرِيحًا بِالذِّينِ، كَالسُّجُودِ لِصَنَمٍ، وَإِقَاءِ الْمُصْحَفِ فِي الْقَاذُورَاتِ، وَغَيْرِهَا.

ثُمَّ قَالَ: وَالْكُفْرُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ؛ لِأَنَّ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ الْحَقُّ بِلَا شَكٍّ. وَالنَّاسُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا فِرْقَتَانِ: فِرْقَةٌ تُقَرَّبُ بِهَا وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ قَاطِبَةً. وَفِرْقَةٌ تُنْكَرُ بِأَجْمَعِهِمْ وَهُمْ الْكُفَّارُ كَافَّةً. فَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ كَالْمِلَّةِ الْوَاحِدَةِ وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي مَا بَيْنَهُمْ، فَصَارُوا كَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. (570) قُلْتُ: وَيَدْخُلُ فِي الْكُفْرِ الْقَوْلِيُّ سَبُّ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ أَوْ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَيَدْخُلُ فِيهِ كَذَلِكَ إنْكَارُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَأَمَّا أَحَدُ مَصَادِرِ التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ، وَالْاِكْتِفَاءُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَحْدَهُ، وَهُوَ مَا قَالَهُ بَعْضُ زَنَادِقَةِ الْعَصْرِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ كَذَلِكَ إنْكَارُ أَنَّ هَذَا الْمُصْحَفَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ نَاقِصٌ وَغَيْرُ كَامِلٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي يَخْرُجُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْمِلَّةِ بِفِعْلِهَا أَوْ قَوْلِهَا.

569- الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج2، ص35.
570- الكفوي، الكليات، مرجع سابق، ص764.

المطلب الثاني: أنواع الكُفر

الكُفرُ نَوَعَانِ: كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَكُفْرٌ أَصْغَرُ. (571)

فالكُفرُ الأكْبَرُ: هُوَ الْمُوجِبُ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ.

والأصْغَرُ: هُوَ الْمُوجِبُ لاسْتِحْقَاقِ الْوَعِيدِ دُونَ الْخُلُودِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ائْتَنَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالتَّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ. " (572) وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ " (573) وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الْكُفْرَ الْأَكْبَرَ خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ: (574)

1. كُفْرٌ تَكْذِيبٌ: فَهُوَ اعْتِقَادُ كَذِبِ الرُّسُلِ، وَهَذَا الْقِسْمُ قَلِيلٌ فِي الْكُفَّارِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَيْدَ رُسُلَهُ، وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَالْآيَاتِ عَلَى صِدْقِهِمْ مَا أَقَامَ بِهِ الْحُجَّةَ، وَأَزَالَ بِهِ الْمَعْذِرَةَ. قَالَ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ (١٤) (575) وَقَالَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ فَأَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّأَتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣) (576) وَإِنْ سُمِّيَ هَذَا كُفْرٌ تَكْذِيبٌ أَيْضًا فَصَحِيحٌ؛ إِذْ هُوَ تَكْذِيبٌ بِاللِّسَانِ.

2. كُفْرٌ إِبَاءٍ وَاسْتِكْبَارٍ: فَهُوَ نَحْوُ كُفْرِ إِبْلِيسَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْحَدْ أَمْرَ اللَّهِ، وَلَا قَابِلَهُ بِالْإِنْكَارِ؛ وَإِنَّمَا تَلَقَّاهُ بِالْإِبَاءِ وَالْإِسْتِكْبَارِ. وَمِنْ هَذَا كُفْرٌ مَنِ عَرَفَ صِدْقَ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْقُدْ لَهُ إِبَاءً

571- ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج 1، ص 377.

572- رواه مسلم، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، ج 2، ص 50، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والتياحة، حديث رقم (121)

573- رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج 8، ص 135، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، حديث رقم

(4405)

574- ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج 1، ص 377-379. بتصرف

575- [النمل: ١٤]

576- [الأنعام: ٣٣]

واستكباراً، وَهُوَ الْعَالِبُ عَلَى كُفْرِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ، كَمَا حَكَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى عَنِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ﴾

(٤٧) (577)

3. كُفْرُ إِعْرَاضٍ: وَهُوَ أَنْ يُعْرِضَ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ عَنِ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وَلَا يُصَدِّقُهُ وَلَا يُكَذِّبُهُ، وَلَا يُؤَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ، وَلَا يُصْغِي إِلَى مَا جَاءَ بِهِ الْبَيِّنَةُ.

4. كُفْرُ الشَّكِّ: وَهُوَ أَنْ لَا يَجْزِمَ بِصَدَقِهِ وَلَا يُكَذِّبُهُ، بَلْ يَشُكُّ فِي أَمْرِهِ، وَهَذَا لَا

يَسْتَمِرُّ فِي شَكِّهِ إِلَّا إِذَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْإِعْرَاضَ عَنِ النَّظَرِ فِي آيَاتِ صِدْقِ الرُّسُولِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُمْلَةً، فَلَا يَسْمَعُهَا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَأَمَّا مَعَ التَّفَاتِهِ

إِلَيْهَا، وَنَظَرِهِ فِيهَا فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى مَعَهُ شَكٌّ.

5. كُفْرُ النِّفَاقِ: فَهُوَ أَنْ يُظْهَرَ بِلِسَانِهِ الْإِيمَانُ، وَيَنْطَوِي بِقَلْبِهِ عَلَى التَّكْذِيبِ، فَهَذَا

هُوَ النِّفَاقُ الْأَكْبَرُ.

وَهُنَاكَ نَوْعٌ آخَرُ وَهُوَ كُفْرُ الْجُحُودِ فَهُوَ نَوْعَانِ: كُفْرٌ مُطْلَقٌ عَامٌّ، وَكُفْرٌ مُقَيَّدٌ خَاصٌّ:

فَالْمُطْلَقُ: أَنْ يَجْحَدَ مُطْلَقًا مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَإِرْسَالَهُ الرُّسُلَ.

وَالْخَاصُّ الْمُقَيَّدُ: أَنْ يَجْحَدَ فَرْضًا مِنْ فُرُوضِ الْإِسْلَامِ، أَوْ تَحْرِيمَ مُحَرَّمٍ مِنْ حُرْمَاتِهِ، أَوْ

صِفَةً وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ خَبَرَ أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ، عَمْدًا أَوْ تَقْدِيمًا لِقَوْلٍ مَنْ خَالَفَهُ عَلَيْهِ

لِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ.

⁵⁷⁷ - [المؤمنون: ٤٧]

المطلب الثالث: صفات الكافرين

وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكَافِرِينَ بِصِفَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ الزِّنْدَانِيُّ بَعْضًا مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ (578):

1. تَعْطِيلُ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَبَيِّنَاتِ الرُّسُلِ، وَأَحْكَامِ دِينِ

اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ﴾ (579) وَقَالَ

سُبْحَانَهُ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ۝٧﴾ (580)

2. حَقْدُهُمْ وَحِنْقُهُمْ عَلَى رُسُلِ اللَّهِ، وَاتِّبَاعُهُمُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ

آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ

بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ﴾ (581)

3. فَرَارُهُمْ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى لِسَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ

۝٧﴾ (582)

578 - الزندانى، التوحيد، مرجع سابق، ص 203.

579 - [الأعراف: ١٧٩]

580 - [البقرة: ٧]

581 - [الحج: ٧٢]

582 - [نوح: ٧]

4. جَدَّاهُمْ بِالْبَاطِلِ، وَقَتَّلَهُمْ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ

فِي اللَّهِ يَغْيِرَ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٢﴾ (583) وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴿٧٦﴾ (584)﴾

5. مَخْتُومٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهِيَ مُغْلَقَةٌ لَا تَفْقَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ

اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ (585)﴾

6. الْكَافِرُ شَدِيدُ الْاضْطِرَابِ، وَضَعِيفُ الرَّأْيِ، وَقَلِيلُ الثَّبَاتِ، وَمِثْلُ هَذَا الْإِنْسَانِ لَا

خَوْفَ مِنْهُ وَلَا هَيْبَةَ لَهُ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ الْبَتَّةَ عَلَى إِلْحَاقِ الضَّرَرِ بِالْغَيْرِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنَ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

(586)﴾

المطلب الرابع: معاني الكفر في القرآن الكريم

ذَكَرَ الْإِمَامُ ابْنُ الْجَوَازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّ الْكُفْرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ (587):

1. الْكُفْرُ بِالتَّوْحِيدِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ

ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ (588)﴾ وَهُوَ الْأَعْمُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

2. كُفْرُ النِّعْمَةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا

تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ (589)﴾

583 - [الحج: ٣ - ٤]

584 - [النساء: ٧٦]

585 - [البقرة: ٨٨]

586 - [آل عمران: ١٧٧]

587 - ابن الجوزي، نزهة الأعين، مرجع سابق، ص 245.

588 - [البقرة: ٦]

589 - [البقرة: ١٥٢]

3. التَّبَرِّي، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ (٢٥)

(590) أي يَتَّبِرُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ.

4. الْجُحُودُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ

اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨١) (591)

5. التَّعْطِيفُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَبَائِهِ﴾ (٢٠) (592)

يُرِيدُ الزَّرَّاعَ الَّذِينَ يُعْطُونَ الْحَبَّ.

المَطْلَبُ الْخَامِسُ: أَرْكَانُ الْكُفْرِ

أَرْكَانُ الْكُفْرِ أَرْبَعَةٌ كَمَا ذَكَرَهَا الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهِيَ: الْكِبْرُ، وَالْحَسَدُ، وَالْغَضَبُ، وَالشَّهْوَةُ. فَالْكِبْرُ: يَمْنَعُهُ الْإِنْقِيَادَ. وَالْحَسَدُ: يَمْنَعُهُ قُبُولَ النَّصِيحَةِ وَبَدْلَهَا. وَالْغَضَبُ: يَمْنَعُهُ الْعَدْلَ. الشَّهْوَةُ: تَمْنَعُهُ التَّفَرُّغَ لِلْعِبَادَةِ.

فَإِذَا أَهْدَمَ رُكْنَ الْكِبْرِ سَهْلَ عَلَيْهِ الْإِنْقِيَادُ، وَإِذَا أَهْدَمَ رُكْنَ الْحَسَدِ سَهْلَ عَلَيْهِ قُبُولُ النَّصِيحَةِ وَبَدْلَهَا، وَإِذَا أَهْدَمَ رُكْنَ الْغَضَبِ سَهْلَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ وَالتَّوَاضُّعُ، وَإِذَا أَهْدَمَ رُكْنَ الشَّهْوَةِ سَهْلَ عَلَيْهِ الصَّبْرُ وَالْعَفَافُ وَالْعِبَادَةُ. (593)

وَيَرَى الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ مَنْ حَلَّتْ بِهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ فَقَدْ بُوْسَ حَالُهُ وَصَارَ أَمْرُهُ إِلَى زَوَالٍ وَأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ إِذَا اسْتَحْكَمَتْ فِي الْقَلْبِ فَقَدْ دَمَرَتْهُ وَأَرَتْهُ الْحَقَّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ وَالْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ وَعَمَتَ عَلَى بَصِيرَتِهِ حَتَّى اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

590 - [العنكبوت: ٢٥]

591 - [البقرة: ٨٩]

592 - [الحديد: ٢٠]

593 - ابن القيم، الفوائد، مرجع سابق، ص 221.

وَأَعْلَمُ أَنَّ زَوَالَ الْجِبَالِ مِنْ أَمَاكِنِهَا، أَسْهَلُ مِنْ زَوَالِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ عَمَّنِ ابْتِلَايَ بِهَا،
وَلَا سِيَّمًا إِذَا صَارَتْ هَيْئَاتٍ رَاسِخَةً، وَمَلَكَاتٍ وَصِفَاتٍ ثَابِتَةً، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ مَعَهَا
عَمَلُ الْبَتَّةِ، وَلَا تَزْكُو نَفْسُهُ مَعَ قِيَامِهِ بِهَا، وَكُلَّمَا اجْتَهَدَ بِالْعَمَلِ أَفْسَدَتْهُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ.
وَكُلُّ الْآفَاتِ مُتَوَلِّدَةٌ مِنْهَا، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتْ فِي الْقَلْبِ أَرَتْهُ الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَصُورَةَ
الْحَقِّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ، وَالْمَعْرُوفَ فِي صُورَةِ الْمُنْكَرِ، وَالْمُنْكَرَ فِي صُورَةِ الْمَعْرُوفِ، وَقَرَّبَتْ مِنْهُ
الدُّنْيَا، وَبَعَّدَتْ مِنْهُ الْآخِرَةَ. وَإِذَا تَأَمَّلْتَ كُفْرَ الْأُمَمِ رَأَيْتَهُ نَاشِئًا مِنْهَا، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الْعِقَابُ،
وَيَكُونُ خِفَتُهُ وَشِدَّتُهُ بِحَسَبِ خِفَتِهَا وَشِدَّتِهَا، فَمَنْ فَتَحَهَا عَلَى نَفْسِهِ، فَتَحَ عَلَيْهَا أَبْوَابَ
الشُّرُورِ كُلِّهَا عَاجِلًا أَمْ آجَلًا، وَمَنْ أَغْلَقَهَا عَلَى نَفْسِهِ، أَغْلَقَ عَنْهُ أَبْوَابَ الشُّرُورِ، فَإِنَّهَا
تَمْنَعُ الْإِنْقِيَادَ، وَالْإِخْلَاصَ، وَالتَّوْبَةَ، وَالْإِنَابَةَ، وَقُبُولَ الْحَقِّ، وَنَصِيحَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّوَاضُّعَ لِلَّهِ
وَلِخَلْقِهِ. (594) اه. ابن القيم

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ غَايَةٌ فِي الصَّوَابِ وَالْوُضُوحِ فَإِنَّا نَرَى حَالَ الْمُتَكَبِّرِينَ فِي
كُلِّ عَصْرِ كَيْفُ قَادَهُمْ تَكَبُّرُهُمْ إِلَى عِصْيَانِ اللَّهِ وَارْتِكَابِ نَوَاهِيهِ الَّتِي نَهَى عَنْهَا وَنَرَى مَنْ
اتَّبَعَ شَهْوَتَهُ إِلَى أَيْنَ آلَ مَالُهُ وَمَصِيرُهُ، وَكَذَلِكَ حَالُ مَنْ مَلَكَهُ الْعُصْبُ وَحَقْدُ الْحَسَدِ.

المطلب السادس: أقسام الكفار

أَعْلَمُ أَنَّ الْكَافِرَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ (595):

أَحَدُهَا: الَّذِي يُتَوَبُّ عَنِ الْكُفْرِ تَوْبَةً صَحِيحَةً مَقْبُولَةً، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (596)

594- المرجع السابق نفسه ص 221. بتصرف

595- انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 8، ص 115.

596- [آل عمران: 89]

ثانيهما: الذي يَتُوبُ عَنْ ذَلِكَ الْكُفْرِ تَوْبَةً فَاسِدَةً، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ نُّقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ (597)

ثالثهما: الذي يَمُوتُ عَلَى الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ بَتَّةً، وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ (598) ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ هَذَا الْقِسْمِ أَنَّهُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ (599):

النوع الأول: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ (600) وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْكَافِرَ لَا يَمْلِكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَقِيرًا وَلَا قِطْمِيرًا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ بِتَقْدِيرِ أَنْ يَمْلِكَ الذَّهَبَ فَلَا يَنْفَعُ الذَّهَبُ الْبَتَّةَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ (601)

الجواب: فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ إِذَا مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَنْفَقُوا فِي الدُّنْيَا مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَن يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ مِنْهُمْ، لِأَنَّ الطَّاعَةَ مَعَ الْكُفْرِ لَا تَكُونُ مَقْبُولَةً. وَالثَّانِي: أَنَّ الْكَلَامَ وَقَعَ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ، وَالتَّقْدِيرُ: فَالذَّهَبُ كِنَايَةٌ عَنْ أَعْزِ الْأَشْيَاءِ، وَالتَّقْدِيرُ: لَوْ أَنَّ الْكَافِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَدِرَ عَلَى أَعْزِ الْأَشْيَاءِ، ثُمَّ قَدِرَ عَلَى بَذْلِهِ فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ، لَعَجَزَ أَنْ يَتَوَسَّلَ بِذَلِكَ إِلَى تَخْلِيصِ نَفْسِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. وَهُوَ الْأَصَحُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَبِالْجُمْلَةِ فَاَلْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ آيِسُونَ مِنْ تَخْلِيصِ النَّفْسِ مِنَ الْعِقَابِ.

597 - [آل عمران: ٩٠]

598 - [آل عمران: ٩١]

599 - انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 8، ص 115.

600 - [آل عمران: ٩١]

601 - [آل عمران: ٩١]

النوع الثاني: مِنَ الْوَعِيدِ الْمَذْكُورِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ^(٦٠٢) واعلم أنه تعالى لما بين أن الكافر لا يمكنه تخليص النفس من العذاب، أردفه بصفة ذلك العذاب، فقال: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي مؤلم.

النوع الثالث: مِنَ الْوَعِيدِ قَوْلُهُ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ والمعنى: أنه تعالى لما بين أنه لا خلاص لهم عن هذا العذاب الأليم بسبب الفدية، بين أيضاً أنه لا خلاص لهم عنه بسبب النصرة والإعانة والشفاعة، ولأصحابنا أن يحتجوا بهذه الآية على إثبات الشفاعة؛ وذلك لأنه تعالى حتم تعديد وعيد الكفار بعدم النصرة والشفاعة، فلو حصل هذا المعنى في حق غير الكافر بطل تخصيص هذا الوعيد بالكفر.

المطلب السابع: أضرار الكفر

1- الكفر سبب لإحراق العالم، فإن مخالفة الله عز وجل يكون في تأثيرها زوال المصالح وحصول المفاسد، قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ

وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا﴾ ^(٦٠٣) ^(٦٠٢) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا

2- الكفر مرض للقلب، فقد وصف الله عز وجل الكفر بأنه مرض، قال تعالى: ﴿فِي

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ^(٦٠٣) ^(٦٠٢)

(603)

3- الكفر موت معنوي، فالكافر كالميت فهو لا فائدة ترجى منه في إعمار الأرض وصلاحها، حتى لا فائدة منه لنفسه بل يضرها.

⁶⁰² - [مريم: 90-91]

⁶⁰³ - [البقرة: ١٠]

4-الكَافِرُ مَلْعُونٌ مِّنَ اللَّهِ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمِنَ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾

(604) ﴿١٦١﴾

المبحث الثاني

الظلم

وفيه ستة مطالب

المطلب الأول: معنى الظلم

الظلم لغة: أصل المادة يدل على أصليين: الأول خلاف الثور والضياء، والآخر: وضع الشيء في غير موضعه تعدياً. (605)

وفي الشرع: التعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور، وقيل هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد. (606)

وقيل: أن الظلم في عرف الشرع: عبارة عن الضرر الخالي من نفع يزيد عليه، ودفع مضرة أعظم منه، والاستحقاق عن الغير في علمه أو ظنه. (607)

قلت: والظلم أعم من الجور والطغيان،

قال الراغب: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه. والظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز. ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير. وهو انحراف عن العدل، ولذلك حد بأنه وضع الشيء في غير موضعه المخصوص به، وقد يسمى هذا الانحراف جوراً، ولما كانت العدالة تجري مجرى النقطة

605 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج2، ص99.

606 - الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق، ص147.

607 - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج3، ص71.

مِنَ الدَّائِرَةِ فَإِنْ تَجَاوَزَهَا مِنْ جِهَةِ الْإِفْرَاطِ عُذْوَانٌ وَطُغْيَانٌ، وَالانْحِرَافَ عَنْهَا فِي بَعْضِ جَوَانِبِهَا حَوْرٌ وَظُلْمٌ، وَالظُّلْمُ أَعَمُّ هَذِهِ الْأَلْفَافِ اسْتِعْمَالًا. (608).

وَقَالَ الْجَاحِظُ: الظُّلْمُ هُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الْإِعْتِدَالِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَالسَّرْفُ وَالتَّقْصِيرُ، وَأَخْذُ الْأَمْوَالِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا، وَالْمُطَالَبَةُ بِمَا لَا يَجِبُ مِنَ الْحُقُوقِ، وَفِعْلُ الْأَشْيَاءِ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا وَلَا أَوْقَاتِهَا، وَلَا عَلَى الْقَدَرِ الَّذِي يَجِبُ، وَلَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ. (609).

قُلْتُ: وَلَعَلَّ تَعْرِيفَ الْجَاحِظِ هُوَ أَشْمَلُ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ وَأَدْقُهَا.

المطلب الثاني: معاني الظلم في القرآن الكريم

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ ابْنُ الْجَوَازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ سِتَّةَ أَوْجُهٍ لِلظُّلْمِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَهِيَ (610):

1. الظُّلْمُ بِعَيْنِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٥) (611) وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

2. الشِّرْكُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (٨٢) (612).

3. النِّقْصُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٤٩) (613).

4. الْجُحُودُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِعَايِنَتَنَا يُظْلَمُونَ﴾ (٩) (614).

608 - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 537.

609 - نضرة النعيم، مرجع سابق، ج 10، ص 4872.

610 - ابن الجوزي، نزهة الأعين، ص 197. وانظر أيضا: النيسابوري، وجوه القرآن الكريم، ص 221. مراجع

سابقة.

611 - [البقرة: ٣٥]

612 - [الأنعام: ٨٢]

613 - [النساء: ٤٩]

614 - [الأعراف: ٩]

5. السَّرِقَةُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ ٣٨ ﴿إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿

فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ ٣٩ ﴿٦١٥﴾ أَي مِنْ بَعْدِ سَرِقَتِهِ.

6. الإِضْرَارُ بِالنَّفْسِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٥٧ ﴿٦١٦﴾

المطلب الثالث: حكم الظلم

الظُّلْمُ مُحَرَّمٌ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْوَضَعِيَّةِ، وَمَا أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ الْكُتُبَ إِلَّا لِإِقَامَةِ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَفِي الْمُقَدِّمَةِ تَوْحِيدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَاطِعُ دَابِرِ الظُّلْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَاسْتِعْبَادُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تَطْفَحُ بِالنَّهْيِ عَنِ الظُّلْمِ وَتَتَوَعَّدُ الظَّالِمِينَ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ. (٦١٧)

فَقَدْ صَحَّ عَنْ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُوهُ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ وَعَلَا، أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا" (٦١٨)

وَكَمَا أَنَّ الظُّلْمَ مُحَرَّمٌ فَكَذَا إِعَانَةُ الظَّالِمِ عَلَى ظُلْمِهِ مُحَرَّمَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ ٨٥ ﴿٦١٩﴾ فَكَمَا أَنَّ مَنْ يُسَاعِدُ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالْقِسْطِ لَهُ أَجْرٌ عَلَى إِعَانَتِهِ، فَإِنَّ مَنْ يُعَاوَنُ الظَّالِمَ عَلَى الظُّلْمِ عَلَيْهِ وَزْرٌ لِمُسَاعَدَتِهِ عَلَى ظُلْمِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: أَلَيْسَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَقْدَرَ الظَّالِمَ عَلَى الظُّلْمِ وَأَزَالَ الْعَوَاقِقَ وَالْمَوَانِعَ وَسَلَّطَ عَلَيْهِ الشَّهْوَةَ الدَّاعِيَةَ إِلَى الظُّلْمِ كَانَ قَدْ أَعَانَهُ عَلَى الظُّلْمِ، فَلَوْ كَانَتْ إِعَانَةُ الظَّالِمِ عَلَى

^{٦١٥} - [المائدة: ٣٩]

^{٦١٦} - [البقرة: ٥٧]

^{٦١٧} - البنعلي: أحمد بن حجر، تطهير المجتمعات من أنجاس الموبقات، ص 206، ط 1985، مكتبة ابن تيمية، الكويت.

^{٦١٨} - رواه مسلم، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، ج 16، ص 131، كتاب البر والصلة والآداب، باب

الظلم، حديث رقم (2577).

^{٦١٩} - [النساء: ٨٥]

ظَلَمِهِ قَبِيحَةٌ لَوْ جَبَّ أَنْ لَا يُوجَدَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّهُ تَعَالَى وَإِنْ مَكَّنَ الظَّالِمَ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ زَجَرَهُ عَنِ الظُّلْمِ بِالتَّهْدِيدِ وَالزَّجَرِ، بِخِلَافِ الْمُعِينِ لِلظَّالِمِ عَلَى ظُلْمِهِ فَإِنَّهُ يُرَغِّبُهُ فِيهِ وَيُحَسِّنُهُ فِي عَيْنِهِ وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ فَظَهَرَ الْفَرْقُ. (620)

وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الرُّكُونِ إِلَى الظُّلْمَةِ وَعَنِ مَحَبَّتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَجَعَلَ الرُّكُونُ إِلَيْهِمْ سَبَبًا لِحُصُولِ الْعَذَابِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ (١١٣) ﴿٦٢١﴾ بَلْ إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَبَيِّنُ أَنَّ عُقُوبَةَ ظُلْمِ الظُّلْمَةِ لَا تَقْتَصِرُ عَلَيْهِمْ فَحَسَبِ، بَلْ يَتَعَدَّى شُرُومَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (٢٥) ﴿٦٢٢﴾

وَلِلرُّكُونِ إِلَى الظَّالِمِينَ صُورٌ (623): إِحْدَاهَا: أَنْ يَعْتَمِدَ الْإِنْسَانُ عَلَى الظَّالِمِ مِنْ أَجْلِ لُعَاعَةٍ مِنْ لُعَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَيَزِينُ لَهُ ظُلْمَهُ، وَيَمْدَحُهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَهُوَ دَيْدَنُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. ثَانِيهَا: أَنْ يَرَى الظَّالِمَ يَظْلِمُ فَلَا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَلَا يَنْصُرُ الْمَظْلُومَ، وَسَيَدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ". (624)

وَالظُّلْمُ مِنَ الْكِبَائِرِ الَّتِي لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْكِبَائِرِ. (625)

620 - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج3، ص157.

621 - [هود: ١١٣]

622 - [الأنفال: ٢٥]

623 - انظر: عباس: فضل حسن، خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، ص155، ط1، 1410هـ، دار

البشير، عمان-الأردن.

624 - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج12، ص400، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه

إذا خاف عليه القتل أو نحوه، حديث رقم (6952).
625 - انظر: الذهبي، الكبانر، مرجع سابق، ص105.

فَالظُّلْمُ عِنْدَهُ تَلْتَقِي جَمِيعُ الرَّدَائِلِ، وَلِذَلِكَ يُذَكَّرُ أَنَّ الذُّنُوبَ كُلَّهَا ظُلْمٌ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّيِّئَاتِ تَدْخُلُ فِيهِ، وَالظُّلْمُ قَدْ يَكُونُ بِتَرْكِ وَاجِبٍ، وَقَدْ يَكُونُ بِفِعْلِ مُحَرَّمٍ، وَقَدْ يَجْمَعُ الْأَمْرَيْنِ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ هَذِهِ الرَّذِيلَةَ قَدْ تَكُونُ إِيْجَابِيَّةً، وَقَدْ تَكُونُ سَلْبِيَّةً، وَقَدْ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْجَانِبَانِ. (626)

وَكَثِيرًا مَا يُعَبِّرُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنِ الشَّرْكِ بِلَفْظِ الظُّلْمِ، فِي صُورَةِ التَّفْظِيْعِ لَهُ وَالتَّقْبِيْحِ. وَهُوَ التَّعْبِيرُ الْغَالِبُ فِي السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ عَنِ الشَّرْكِ، وَذَلِكَ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ الشَّرْكَ وَيُنْفِرَ مِنْهُ، ذَلِكَ أَنَّ الشَّرْكَ ظُلْمٌ لِلْحَقِّ، وَظُلْمٌ لِلنَّفْسِ، وَظُلْمٌ لِلنَّاسِ. هُوَ اعْتِدَاءٌ عَلَى حَقِّ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي أَنْ يُوَحِّدَ وَيُعْبَدَ بِلَا شَرِيْكَ. وَاعْتِدَاءٌ عَلَى النَّفْسِ بِإِيْرَادِهَا مَوَارِدَ الْخَسَارَةِ وَالْبَوَارِ، وَاعْتِدَاءٌ عَلَى النَّاسِ بِتَعْيِيْدِهِمْ لِغَيْرِ رَبِّهِمْ الْحَقِّ، وَإِفْسَادِ حَيَاتِهِمْ بِالْأَحْكَامِ وَالْأَوْضَاعِ الَّتِي تُقَوِّمُ عَلَى أَسَاسِ هَذَا الْاعْتِدَاءِ. (627)

قُلْتُ: هَذَا كَلَامٌ فِي غَايَةِ الصَّحَّةِ فَإِنَّ الظُّلْمَ مُخَالَفٌ لِسُنَّةِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ وَالظَّالِمُ يَعْتَدِي عَلَى حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَمَا يَظْلِمُ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْكُتُبَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ لِإِقَامَةِ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا - كَمَا قَالَ رِيعِيُّ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَلَا شَكَّ أَنَّ الظُّلْمَ اسْتِعْبَادٌ لِلنَّاسِ وَقَهْرٌ لَهُمْ لِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَرَعَ لَنَا مِنَ الْعِبَادَاتِ مَا تَنْهَانَا عَنْ الظُّلْمِ وَالْجُورِ، فَانْظُرْ مَثَلًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (628) فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ بَيَّنَّ أَنَّ هَذِهِ الْعِبَادَةَ شَرَعَتْ لِتَنْهَى عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي نَهَى عَنْهَا عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ الرَّازِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَصْلُ الظُّلْمِ ثَلَاثَةٌ: الشَّهْوَةُ، وَالْغَضَبُ، وَالْهَوَى، فَالشَّهْوَةُ بَهِيمِيَّةٌ، وَالْغَضَبُ سَبْعِيَّةٌ، وَالْهَوَى شَيْطَانِيَّةٌ: فَالشَّهْوَةُ آفَةٌ،

⁶²⁶ - عفيفي: محمد عبده، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، ص 488، ط 1، 1408هـ، مركز الملك فيصل للبحوث

والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية.

⁶²⁷ - قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 2، ص 1063.

⁶²⁸ - [العنكبوت: 45]

لَكِنَّ الْعُصْبَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَالْعُصْبُ آفَةٌ، لَكِنَّ الْهَوَى أَعْظَمُ مِنْهُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا
 الصَّلَاةُ تَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ﴾ (٤٥) (629) الْمُرَادُ آثَارُ الشَّهْوَةِ، وَقَوْلُهُ:
 {وَالْمُنْكَرُ} الْمُرَادُ مِنْهُ آثَارُ الْعُصْبِ، وَقَوْلُهُ: {وَالْبَغْيُ} الْمُرَادُ مِنْهُ آثَارُ الْهَوَى، فَبِالشَّهْوَةِ
 يَصِيرُ الْإِنْسَانُ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ، وَبِالْعُصْبِ يَصِيرُ ظَالِمًا لِعَبِيدِهِ، وَبِالْهَوَى يَتَعَدَّى ظُلْمُهُ إِلَى
 حَضْرَةِ جَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ: ظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ،
 وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ يُغْفَرُ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا
 يُتْرَكُ فَظُلْمُ النَّاسِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 رَبِّهِ. «(630) فَمَنْشَأُ الظُّلْمِ الَّذِي لَا يُغْفَرُ هُوَ الْهَوَى. وَمَنْشَأُ الظُّلْمِ الَّذِي لَا يُتْرَكُ هُوَ
 الْعُصْبُ، وَمَنْشَأُ الظُّلْمِ الَّذِي عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتْرَكَهُ هُوَ الشَّهْوَةُ. (631)

قُلْتُ: وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الظُّلْمَ يَقَعُ بِسَبَبِ الْبُعْدِ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَنِ تَحْكِيمِ
 شَرْعِهِ الَّذِي ارْتِضَاهُ لَنَا، فَكُلَّمَا بَعُدَ الْإِنْسَانُ عَنِ تَطْبِيقِ شَرْعِ اللَّهِ، زَادَ جُورُهُ وَظُلْمُهُ
 وَتَعَدَّيَهُ عَلَى حُقُوقِ الْغَيْرِ، وَكُلَّمَا قَرَّبَ الْإِنْسَانُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ دِينِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدْلِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ النَّاسِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ الْغَرَاءَ
 جَاءَتْ تَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ (632) وَهِيَ فِي
 الْوَقْتِ ذَاتِهِ تَنْهَى عَنِ الظُّلْمِ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ، وَتُحَذِّرُ الظَّالِمِينَ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
 وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيَنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، وَسَيُعَذِّبُهُمْ بِظُلْمِهِمْ وَجُورِهِمْ فِي الدُّنْيَا،

629 - [العنكبوت: 45]

630 - الصنعاني، المصنف، مرجع سابق، ج 11، ص 183، حديث رقم (20276).

631 - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 1، ص 113.

632 - [النحل: 90]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفْ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٨٥)

(633)

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ بِالظُّلْمِ تَخَرَّبُ الْمُجْتَمَعَاتُ وَتَسْوَدُ شَرِيعَةُ الْعَابِ بَيْنَ النَّاسِ وَيَأْكُلُ قُوِيَهُمْ ضَعِيفَهُمْ، وَلَا تَسْتَقِيمُ حَيَاتُهُمْ وَلَا يَهْنَأُ عَيْشُهُمْ إِلَّا بِالْعَدْلِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَهَذَا مَا عَنَاهُ سَيِّدُ قُطْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: وَتَدِيرُ اللَّهُ لِهَذَا الْكَوْنِ وَلِحَيَاةِ النَّاسِ مُتَلَبِّسٌ دَائِمًا بِالْقِسْطِ - وَهُوَ الْعَدْلُ - فَلَا يَتَحَقَّقُ الْعَدْلُ الْمُطْلَقُ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، وَلَا تَسْتَقِيمُ أُمُورُهُمْ اسْتِقَامَةً أُمُورِ الْكَوْنِ، الَّتِي يُؤَدِّي كُلُّ كَائِنٍ مَعَهَا دَوْرَهُ فِي تَنَاسُقٍ مُطْلَقٍ مَعَ دَوْرِ كُلِّ كَائِنٍ آخَرَ. لَا يَتَحَقَّقُ هَذَا إِلَّا بِتَحْكِيمٍ مَنَهَجِ اللَّهِ الَّذِي اخْتَارَهُ لِحَيَاةِ النَّاسِ، وَبَيَّنَّهُ فِي كِتَابِهِ. وَإِلَّا فَلَا قِسْطَ وَلَا عَدْلَ، وَلَا اسْتِقَامَةً وَلَا تَنَاسُقَ، وَلَا تَلَاوُمَ بَيْنَ دَوْرَةِ الْكَوْنِ وَدَوْرَةِ الْإِنْسَانِ. وَهُوَ الظُّلْمُ إِذْنُ وَالتَّصَادُمُ وَالتَّشْتُّبُ وَالضِّيَاعُ! (634)

وَيَسْتَأْنِفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فَيَقُولُ: وَهَا نَحْنُ أَوْلَاءُ نَرَى عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ، أَنَّ الْفَتَرَاتِ الَّتِي حَكَمَ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَحَدَّهَا هِيَ الَّتِي ذَاقَ فِيهَا النَّاسُ طَعْمَ الْقِسْطِ، وَاسْتَقَامَتِ حَيَاتُهُمْ اسْتِقَامَةً دَوْرَةِ الْفَلَكَ - بِقَدْرِ مَا تُطَبِّقُ طَبِيعَةُ الْبَشَرِ الْمُتَمَيِّزَةِ بِالْجُنُوحِ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجُنُوحِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَالتَّارُجُحِ بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ؛ وَالْقُرْبِ مِنَ الطَّاعَةِ كُلَّمَا قَامَ مَنَهَجُ اللَّهِ، وَحُكْمُ فِي حَيَاةِ النَّاسِ كِتَابُ اللَّهِ. وَأَنَّهُ حَيْثُمَا حَكَمَ فِي حَيَاةِ النَّاسِ مَنَهَجُ آخَرٍ مِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ، لَازِمُهُ جَهْلُ الْبَشَرِ وَتَقْصِيرُهُمْ. كَمَا لَازِمُهُ الظُّلْمُ وَالتَّنَاقُضُ فِي صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ. ظُلْمُ الْفَرْدِ لِلْجَمَاعَةِ، أَوْ ظُلْمُ الْجَمَاعَةِ لِلْفَرْدِ، أَوْ ظُلْمُ طَبَقَةٍ لَطَبَقَةٍ، أَوْ ظُلْمُ أُمَّةٍ لِأُمَّةٍ، أَوْ ظُلْمُ جِيلٍ لِجِيلٍ..... وَعَدْلُ اللَّهِ وَحَدُّهُ هُوَ الْمُبَرِّأُ مِنَ الْمِيلِ لِأَيِّ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَهُوَ إِلَهُ جَمِيعِ الْعِبَادِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. (635).

633 - [النحل: ٨٥]

634 - قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 1، ص 379.

635 - قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 1، ص 379.

المطلب الرابع: أنواع الظلم

الظلم ثلاثة أنواع: (636)

1. ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى: وأعظمه الشرك والنفاق، قال تعالى: ﴿يَبْنِي لَا

تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) (637)

2. ظلم بينه وبين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (٤٢) (638)

3. ظلم بينه وبين نفسه، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ (٣٢) (639)

والحقيقة أن كل هذه الحالات الثلاث هي ظلم للنفس، فإن الإنسان أول ما يهيم بالظلم فقد ظلم نفسه. وذلك لأن الظالم توعده الله بالعقاب الشديد، فالظالم يأخذ بنفسه إلى الهاوية وإلى عذاب الله عز وجل وسخطه، فيكون ظالماً لنفسه قبل ظلمه غيره. (640)

والظلم قد يكون بالكفر؛ فهو ظالم لنفسه بكفرها وبصدها عن شريعة الله تعالى، والظلم قد يكون بفتنة المسلمين وتعذيبهم وتشريدهم من أرضهم، والظلم قد يكون بالفساد في الأرض بالسعي إلى خرابها وتدميرها، والظلم قد يكون بمقاومة الصلاح الذي يمثله منهج الإسلام للحياة وشريعته ونظامه . . إلى آخر صنوف الظلم الكامنة في الكفر والصد عن سبيل الله. (641)

636 - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 538.

637 - [لقمان: ١٣]

638 - [الشورى: ٤٢]

639 - [فاطر: ٣٢]

640 - انظر: الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 538.

641 - قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 1، ص 471، بتصرف

وَقَدْ ذَكَرَ الرَّاعِبُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ أَنَّ الَّذِينَ يُسْتَعْمَلُ مَعَهُمُ الظُّلْمُ هُمْ:

1. رَبُّ الْعِزَّةِ جَلَّ وَعَلَا، وَذَلِكَ حِينَ يُشْرِكُ بِهِ، إِذْ يَقْتَضِي الْعَدْلُ مَعْرِفَةَ تَوْحِيدِهِ وَأَحْكَامِهِ.
2. النَّفْسُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بَعْدَ انْصَافِ الْعَقْلِ مِنَ الْهَوَى، حَيْثُ يَقْتَضِي الْعَدْلُ أَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانُ هَوَاهُ مُسْتَسْلِمًا لِعَقْلِهِ، وَقَدْ قِيلَ أَعْدَلُ النَّاسِ مَنْ أَنْصَفَ عَقْلَهُ مِنْ هَوَاهُ.
3. أَسْلَافُ الْإِنْسَانِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِتَرْكِ وَصَايَاهُمْ وَعَدَمِ الدُّعَاءِ لَهُمْ.
4. مَنْ يَعَامِلُهُمُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَحْيَاءِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالتَّقْصِيرِ فِي أَدَاءِ الْحُقُوقِ، وَعَدَمِ الْإِنْصَافِ فِي الْمَعَامَلَاتِ مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ وَغَيْرِهَا.
5. عَامَّةُ النَّاسِ إِذَا تَوَلَّى الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالْجُورِ فِي الْحُكْمِ وَعَدَمِ النَّصْفَةِ. (642)

المطلب الخامس: المجالات التي يدخل فيها الظلم

والظلم له صور ووجوه عدة منها:

1. أخذ مال اليتيم بغير حق.
2. المماطلة بحق الغير مع قدرته على الوفاء، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ"⁽⁶⁴³⁾. وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ.
3. أَنْ يَظْلِمَ الْمَرَأَةَ حَقَّهَا مِنْ صِدَاقِهَا، وَنَفَقَتِهَا، وَكِسْوَتِهَا.

⁶⁴² - انظر: الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل (المعروف بالراغب الأصفهاني)، متوفى سنة 502هـ، الذريعة إلى أحكام الشريعة، ط1، 1405هـ، دار الصحو، القاهرة - مصر.

⁶⁴³ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج4، ص585، كتاب الحوالة، باب الحوالة وهل يرجع في الحوالة، حديث رقم (2287). ومسلم، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، ج10، ص192، كتاب المساقاة، باب تحريم مطل الغني، حديث رقم (1564).

4. أن يَسْتَأْجِرَ أَجِيرًا أو إِنْسَانًا فِي عَمَلٍ، وَلَا يُعْطِيهِ حَقَّهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أو أَخَذَ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ. وَقَدْ قِيلَ بَأَنَّهُ لَا أَكْرَهُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ أَن يَرَى مَنْ يَعْرِفُهُ خَشْيَةً أَن يُطَالِبَهُ بِمَظْلَمَةٍ ظَلَمَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا. (644)
5. الْوَلَايَةُ عَلَى النَّاسِ: سَوَاءٌ كَانَتْ وَلَايَةً عَامَةً، أَمْ وَلَايَةً خَاصَّةً، فَمِنْ الظُّلْمِ فِيهَا إِسْنَادُ الْأَعْمَالِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا، وَعَدَمُ إِتَاحَةِ الْفُرْصَةِ أَمَامَ الْجَمِيعِ بِحَسَبِ كِفَايَاتِهِمْ.
6. الْقَضَاءُ: وَيَكُونُ بِالْجُورِ فِي الْفَصْلِ بَيْنَ الْخُصَمَاءِ، فَلَا يُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَيَكُونُ بَعْدَ الْإِزَامِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ بِدَفْعِ مَا عَلَيْهِ.
7. الشَّهَادَةُ: كَانَ يَشْهَدُ الشَّاهِدُ خِلَافًا لِمَا رَأَى أو سَمِعَ، فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَشْهَدُ فِيهِ.
8. الْكِيلُ وَالْمِيزَانُ: وَيَكُونُ بَعْدَ الْكِيلِ وَالْوِزْنِ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَبِالْحَقِّ الَّذِي تَمَّ عَلَيْهِ التَّرَاضِي. (645)

وَفِي غَيْرِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ الْعَدْلُ، فَيَجُورُ الْإِنْسَانُ وَيَظْلِمُ فِيهَا، وَهِيَ كَثِيرَةٌ جَدًّا هَذِهِ بَعْضُهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ لَا الْحَصْرِ.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: أَضْرَارُ الظُّلْمِ وَعَوَاقِبُهُ

إِنَّ الظُّلْمَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ وَمِنْ عَدْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّ رَبَّ عَلَى كُلِّ مَنْ ارْتَكَبَ الذُّنُوبَ وَمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ يُعَذِّبُهُ وَيَقْتَصُّ مِنْهُ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا أَمْ فِي الْآخِرَةِ وَمِنْ هَذِهِ الذُّنُوبِ الظُّلْمُ فَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ الظَّالِمَ بِعَوَاقِبٍ وَخِيمَةٍ مِنْهَا:

1. الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (646).

644 - الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، متوفى سنة 748هـ، الكبائر، ص121، د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.

645 - الميداني: عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأساسها، ج1، ص630، ط3، 1413هـ، دار القلم، دمشق - سوريا.

2. الظُّلْمُ سَبَبُ هَلَاكِ الْأُمَمِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا

ظَلَمُوا﴾ (١٣) (647)

3. قَبُولُ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ: فِيهِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: ((وَأَتَقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)) (648).

4. اللَّعْنُ لِلظَّالِمِينَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨) (649)

5. إِمْلَاءُ اللَّهِ لِلظَّالِمِ حَتَّى يَأْخُذَهُ: فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُقْلِتْهُ)) (650) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) (651)

6. حِرْمَانُ الْفَلَاحِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢١) (652)

7. حِرْمَانُ الْهُدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٠) (653)

⁶⁴⁶ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج 5، ص 127، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، حديث رقم (2447). ومسلم، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، ج 16، ص 110، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحرير الظلم، حديث رقم (2578)

⁶⁴⁷ - [يونس: 13]

⁶⁴⁸ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج 5، ص 127، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، حديث رقم (2448). ومسلم، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، ج 1، ص 175، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم (19)

⁶⁴⁹ - [هود: 18]

⁶⁵⁰ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج 8، ص 451، كتاب التفسير، باب: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) حديث رقم (4686)

⁶⁵¹ - [هود: 102]

⁶⁵² - [الأنعام: 21]

⁶⁵³ - [القصص: 50]

8. حِرْمَانُ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠) (654)

9. حُلُولُ الْمَصَائِبِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ فِي الْقَبْرِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا

دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٧) (655)(656)

⁶⁵⁴ - [الشورى:40].

⁶⁵⁵ - [الطور:47].

⁶⁵⁶ - انظر: نضرة النعيم، مرجع سابق، ج10، ص4926.

المبحث الثالث: الكبائر (657)

وَفِيهِ ثَلَاثَةُ مَطَالِبَ

تمهيد

لَقَدْ جَاءَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْعَرَبِ الَّذِينَ كَانُوا يَعِيشُونَ فِي جَاهِلِيَّةٍ تَسْوُدُهَا أَعْرَافٌ وَتَقَالِيدٌ مِنْهَا الْحَسَنُ وَالْقَبِيحُ، فَأَبْقَى عَلَى مَا هُوَ حَسَنٌ مِنْهَا وَمَا يَتَوَافَقُ مَعَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَنَهَى وَحَرَّمَ كُلَّ مَا يُخِلُّ بِالشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا، أَوْ خَالَفَهَا، وَمِنْ هَذِهِ الْأَعْرَافِ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً: شَرْبُ الْخَمْرِ وَالسِّحْرِ وَالرِّبَا وَغَيْرُهَا مِنْ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي جَاءَ الْإِسْلَامُ وَنَهَى عَنْهَا وَعَدَّتْ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ مِنَ الْكَبَائِرِ وَالشُّرُورِ وَالْآثَامِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ تَحْرِيمَهَا جَاءَ لِقُبْحِهَا وَكَرَاهَتِهَا وَغَرَابَتِهَا عَنِ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ السَّوِيَّةِ، فَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ لِيُنَبِّئَ مُجْتَمَعًا نَظِيفًا، تَسُودُ فِيهِ الْأَخْلَاقُ الْحَمِيدَةُ، وَالْعَادَاتُ الْحَسَنَةُ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مُجْتَمَعٍ تَسُودُ فِيهِ هَذِهِ الْآثَامُ وَالْكَبَائِرُ، مُجْتَمَعٌ أَرْجَسٌ وَرَذِيلَةٌ، وَهُوَ مَا لَا يَتَوَافَقُ مَعَ مَقْصُودِ الشَّرْعِ الْحَنِيفِ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَجْلِهِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ مُجْتَمَعًا هَذَا وَصْفُهُ مَالُهُ إِلَى الزَّوَالِ وَالْبَوَارِ. وَدَلِيلُ هَذَا الْكَلَامِ، مَا نَرَاهُ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ مِنْ كُتُوبَاتِ الدُّوَلِ الَّتِي تَدَّعِي التَّقَدُّمَ وَالتَّحَضُّرَ وَالرُّقْيَ، - وَهَذَا فِي جَانِبِ الْمَحْسُوسَاتِ طَبْعًا - فَنَحْنُ نَسْمَعُ وَنَرَى، مَا تُعَانِيهِ هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتُ مِنْ مَشْكَلاتٍ عَوِيصَةٍ جَرَاءَ مُمَارَسَتِهَا لِلْآثَامِ وَالشُّرُورِ، وَارْتِفَاعِ الْجَرِيمَةِ وَانْتِشَارِ السَّرِقَةِ، وَقِلَّةِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ لَدَى أَفْرَادِهَا، وَذَلِكَ جَرَاءَ تَعَاطِيهِمْ وَتَعَامُلِهِمْ بِهَذِهِ الْقَبَائِحِ. وَنَسْمَعُ نِدَاءَاتِ بَعْضِ الْمُصْلِحِينَ مِنْهُمْ تُنذِرُ بِأَهْيَارِ هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ.

657 - هذه الكبائر التي ذكرت هي التي تعينني في هذا المبحث، أما الكبائر التي نهى عنها الشارع الحكيم فهي كثيرة جداً. للاستزادة انظر: الزواجر للهيثمي. والكبائر لابن أبي عاصم.

وَقَدْ جَاءَ التَّوْحِيهُ الرَّبَّانِيُّ الْحَكِيمُ، مِنْ قَبْلِ مَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا لِيَقُولَ:
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَقُّرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (658)

وَيَقُولُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ^طوَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ (659)

وَيَقُولُ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾﴾ (660)

وَهَكَذَا يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى بَأْنَ لَا فَلَاحَ وَلَا نَجَاحَ لِلأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، إِلَّا بِاجْتِنَابِ هَذِهِ
الْمُنْكَرَاتِ. وَقَدْ أَدْرَكَتِ الأُمَّمُ الْجَاهِلَةُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ بَعْدَ عُقُودٍ مِّنَ الطَّيْشِ وَالضِّيَاعِ، وَبَعْدَ
تَجَارِبِ مَرِيرَةٍ قَاسِيَةٍ.

وَأَدْرَكُوا أَنَّهُ لَا فَلَاحَ لِأَيِّ مُجْتَمَعٍ، وَلَا قِيَامَ لِأَيِّ حَضَارَةٍ، إِلَّا بِالتَّحْذِيرِ مِنْ هَذِهِ
الْآثَامِ وَاجْتِنَابِهَا، وَلِذَلِكَ نَرَى الْقَوَانِينَ الْجَدِيدَةَ الَّتِي بَدَّوْا يَضْعُوهَا تَحْتُ عَلَى مَنَعٍ
لِلْخَمْرِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمُسْكِرَاتِ فِي الْأَمَاكِنِ الْعَامَةِ.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَلَالَ طَيِّبًا نَافِعًا... وَجَعَلَ الْحَرَامَ خَبِيثًا ضَارًّا. وَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَلِيمِ
الْحَكِيمِ، مَا أَمَرَ بِخَيْرٍ إِلَّا وَأَعَانَ عَلَيْهِ، وَسُبْحَانَ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ مَا نَهَى عَنِ شَرٍّ إِلَّا وَأَغْنَى
عَنْهُ.

وفي هذا المبحث سأتكلم عن بعض الكبائر التي تمنع الإنسان من الفلاح في دنياه
وأخراه وهي: شرب الخمر، والسحر، وأكل الربا.

658 - [المائدة: ٩٠]
659 - [آل عمران: ١٣٠]
660 - [طه: ٦٩]

المطلب الأول: شرب الخمر

وفيه ستة أبواب

الباب الأول: معنى شرب الخمر

الخمر لغة: التغطية والمخالطة في ستر. وخامر الشيء: أي خالطه. ⁽⁶⁶¹⁾ والخمر الشراب المعروف. قال الخليل: الخمر معروفة، واختمارها: إدراكها وغليانها. ومخمّرها: متخذها. ⁽⁶⁶²⁾ والخمر ما أسكر من عصير العنب؛ لأنها خامرت العقل. وسُميت خمراً لأنها تركت فاختمرت. ⁽⁶⁶³⁾ والخمر اسم لكل مسكر وعند البعض اسم للمتخذ من العنب والتمر. ⁽⁶⁶⁴⁾

قال الكفوي رحمه الله: كل شراب معط للعقل، سواء أكان عصيراً أم نقيعاً أم مطبوخاً أم نبيئاً. ⁽⁶⁶⁵⁾

وشرب الخمر: تناول أي نوع من المسكرات على أي هيئة كان، مطبوخاً أو نبيئاً، عصيراً أو منقوعاً، قليلاً أو كثيراً. ⁽⁶⁶⁶⁾

الباب الثاني: حكم شرب الخمر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ ⁽⁶⁶⁷⁾

⁶⁶¹ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 377. ابن منظور، لسان اللسان، ج 1، ص 366. مراجع سابقة

⁶⁶² - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج 1، ص 377.

⁶⁶³ - ابن منظور، لسان اللسان، مرجع سابق، ج 1، ص 366.

⁶⁶⁴ - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص

⁶⁶⁵ - الكفوي، الكليات، مرجع سابق، ص 414.

⁶⁶⁶ - نضرة النعيم، مرجع سابق، ج 10، ص 4696.

⁶⁶⁷ - [المائدة: ٩٠]

فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى حُرْمَةِ الْخَمْرِ، وَحُرْمَةِ تَعَاطِيهَا، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ الْخَمَرَ بِأَبْشَعِ الْأَوْصَافِ فَبَيَّنَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ:

1. الْخَمْرَ رِجْسٌ. وَكَلِمَةُ رِجْسٍ تَدُلُّ عَلَى مُنْتَهَى الْخَبْثِ وَالْقُبْحِ. رَوَى ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَخَطُ مَنْ عَمَلَ الشَّيْطَانِ⁽⁶⁶⁸⁾ فَهِيَ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ لَكُمْ، وَدُعَائِهِ إِيَّاكُمْ إِلَيْهِ، وَتَحْسِينِهِ لَكُمْ، لَا مِنْ الْأَعْمَالِ الَّتِي نَدَبَكُمْ إِلَيْهَا رَبُّكُمْ، وَلَا مِمَّا يَرْضَاهُ لَكُمْ، بَلْ هُوَ مِمَّا يَسْخَطُهُ لَكُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أَي: فَاتْرُكُوهُ وَارْفُضُوهُ وَلَا تَعْمَلُوهُ، لِكَيْ تَنْجَحُوا فَتُدْرِكُوا الْفَلَاحَ عِنْدَ رَبِّكُمْ بِتَرْكِكُمْ ذَلِكَ.⁽⁶⁶⁹⁾

2. الْخَمْرُ مَقْرُونَةٌ بِالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْمَالِ الْوَشْنِيَّةِ، وَخُرَافَاتِ الشِّرْكِ. رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مُصَنِّفِهِ عَنْ مَسْرُوقٍ بْنِ الْأَجْدَعِ قَالَ: "شَارِبُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ الْوَشْنِ، وَشَارِبُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ اللَّاتِ وَالْعُزَى."⁽⁶⁷⁰⁾

3. أَنَّهَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، لِمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الشُّرُورِ وَالطُّغْيَانِ، وَهَلْ يَكُونُ عَمَلُ الشَّيْطَانِ إِلَّا مُوجِبًا لِسَخَطِ الرَّحْمَنِ. وَلَئِنْ الشَّيْطَانُ نَجَسٌ خَبِيثٌ، وَلَئِنَّهُ كَافِرٌ، وَالْكَافِرُ نَجَسٌ، لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾⁽⁶⁷¹⁾ وَالْخَبِيثُ لَا يَدْعُو إِلَّا إِلَى الْخَبِيثِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾⁽⁶⁷²⁾. وَأَيْضًا كُلُّ مَا أَضِيفَ إِلَى الشَّيْطَانِ فَالْمُرَادُ مِنْ تِلْكَ الْإِضَافَةِ الْمُبَالَغَةُ فِي كَمَالِ قُبْحِهِ.⁽⁶⁷³⁾ وَيَكْفِي أَنْ

⁶⁶⁸ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج2، ص114.

⁶⁶⁹ - الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج5، ص33.

⁶⁷⁰ - رواه عبد الرزاق، المصنف، مرجع سابق، ج9، ص237، حديث رقم (17064).

⁶⁷¹ - [التوبة: 28]

⁶⁷² - [النور: 26]

⁶⁷³ - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج12، ص66.

يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ شَيْئًا مَا، هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ لِيَنْفِرَ مِنْهُ حِسُّهُ، وَتَشْمَتَزَ مِنْهُ نَفْسُهُ، وَيَجْفِلَ مِنْهُ كَيَانُهُ، وَيَعْدَ عَنْهُ مِنْ خَوْفٍ وَيَتَّقِيهِ! (674)

4. مَثَارٌ لِلْخُصُومَةِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، فَإِنْ شَارِبَ الْخَمْرِ إِذَا سَكِرَ أَصْبَحَ فِي حَالَةٍ كَالْجُنُونِ، فَلَا يَدْرِي مَا يَفْعَلُ وَمَا يَقُولُ، وَفِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يَنْتَهِي إِلَى الْخُصُومَةِ مَعَ مَنْ سَكِرَ مَعَهُمْ.

5. تَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَنِ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّهَا تُفْقِدُ الْإِنْسَانَ وَعِيَهُ، فَيَمُرُّ عَلَيْهِ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ. (675) ثُمَّ إِنْ شَرِبَ الْخُمُورَ يُورِثُ الطَّرَبَ وَاللَّذَّةَ الْجِسْمَانِيَّةَ، وَالنَّفْسُ إِذَا اسْتَغْرَقَتْ فِي اللَّذَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ غَفَلَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى (676)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ." (677)

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْمَخْدِرَاتُ بِأَنْوَاعِهَا، لِأَنَّ الْعِلَّةَ وَاحِدَةً؛ وَهِيَ السُّكْرُ وَذَهَابُ الْعَقْلِ، فَمَنْ بَاعَ الْمَخْدِرَاتِ؛ حُبُّهَا وَحَشِيصَتِهَا، بِأَنْوَاعِهَا فَهُوَ مُلْعُونٌ، وَمَنْ حَمَلَهَا إِلَيْهِ، وَمَنْ رَوَّجَهَا، وَمَنْ سَارَ فِيهَا، وَمَنْ تَسَتَّرَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَهُوَ مِثْلُهُمْ. (678)

فَشَرِبُ الْخَمْرِ حَرَامٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ. سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ كَثِيرًا أَمْ قَلِيلًا. وَحَكَى ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ وَلَوْ قَطْرَةً، وَيُحَدِّثُ شَارِبُهَا، بَلْ يُكْفَرُ إِنْ اسْتَحْلَهُ. (679)

674 - قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج2، ص975.

675 - انظر: البنعلي، تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات، مرجع سابق، ص154.

676 - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج12، ص66.

677 - رواه أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، ص583، كتاب الاشرية، باب في العنب يعصر للخمر،

حديث رقم (3674).

678 - القرني، مجتمع المثل، مرجع سابق، ص122.

679 - الهيثمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج2، ص257، ط1، 1407هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أَمْرٌ بِالاجْتِنَابِ، أَي: كُونُوا جَانِبًا مِنْهُ، وَ"الْمَاءُ" فِي الْآيَةِ إِمَّا أَنَّهَا عَائِدَةٌ إِلَى الرَّجْسِ، وَالرَّجْسُ وَقَعَ عَلَى الْأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورَةِ، فَكَانَ الْأَمْرُ بِالاجْتِنَابِ مُتَنَاوِلًا لِلْكُلِّ. أَوْ أَنَّهَا عَائِدَةٌ إِلَى الْمُضَافِ الْمَحْذُوفِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّمَا شَأْنُ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ أَوْ تَعَاطِيهِمَا أَوْ مَا أَشَبَهُ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿رَجِسُ مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانُ﴾ ثُمَّ إِنَّهُ صَدَّرَ الْجُمْلَةَ "بِإِغْمَا"، وَذَلِكَ لِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِلْحَصْرِ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: لَا رَجْسَ وَلَا شَيْءَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِلَّا هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ. ثُمَّ إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَرَنَ الْخَمْرَ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ. (680) ثُمَّ إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَرَنَ الْفَلَاحَ بِالاجْتِنَابِ، وَإِذَا كَانَ الْفَلَاحُ فِي الْاجْتِنَابِ، كَانَتْ الْحَيَّةُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْارْتِكَابِ. ثُمَّ إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَ مَا يَنْتُجُ مِنْهُمَا مِنَ الْوَبَالِ، وَهُوَ وَقُوعُ التَّعَادِي وَالتَّبَاغُضِ مِنْ أَصْحَابِ الْخَمْرِ. (681)

فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُودَ فِي سُنَنِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كُلُّ مُخَمَّرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ مُسْكِرًا بُخِستَ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَمَنْ سَقَاهُ صَغِيرًا لَا يَعْرِفُ حَلَالَهُ مِنْ حَرَامِهِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ. (682)

قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ فِي صَدْرِ رَجُلٍ أَبَدًا، لِيُوشِكَنَّ أَحَدُهُمَا أَنْ يُخْرِجَ صَاحِبَهُ (683)

680 - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج12، ص67.

681 - الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص642.

682 - رواه أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، ص583، كتاب الاشرية، باب النهي عن المسكر، حديث

رقم (3680).

683 - ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد، متوفى سنة 281هـ، ثمّ المُسكِر، ص50، ط1، 1409هـ، دار
الراية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

الباب الثالث: الحكمة من تحريم الخمر

لَا شَكَّ أَنَّ تَحْرِيمَ الْخَمْرِ فِي الْإِسْلَامِ يَسْتَهْدَفُ إِجَادَ الشَّخْصِيَّةِ الْقَوِيَّةِ فِي جِسْمِهَا، وَنَفْسِهَا، وَعَقْلِهَا. وَمَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ الْخَمْرَ تُضْعِفُ الشَّخْصِيَّةَ وَتَذْهَبُ بِمُقَوِّمَاتِهَا، وَلَا سِيَّما الْعَقْلَ، وَهَذَا يَتَنَافَى مَعَ الْغَايَةِ السَّامِيَةِ الَّتِي جَاءَتْ الشَّرِيعَةُ مِنْ أَجْلِهَا. وَهِيَ حِفْظُ الْكُلِّيَّاتِ الْخَمْسِ، وَهِيَ:

1. الدين: فَمَنْ تَعَاطَى مَا يَصُدُّ عَنْ دِينِهِ، فَقَدْ اعْتَدَى عَلَى الدِّينِ، وَشَارِبُ الْخَمْرِ يَحْجِي عَلَى دِينِهِ بِانْتِهَاكِهِ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

2. النفس: لِأَنَّ مُتَنَاوِلَ الْخَمْرِ قَدْ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِأَشْرِّ أَنْوَاعِ الْمَلَاكِ، وَقَدْ يَنْتَجِرُ وَمَا أَكْثَرَ مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ هَؤُلَاءِ.

3. المال: فَلِلْإِنْسَانِ حُرِيَّةُ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ، فِي حُدُودِ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، فَيَكْسِبُهُ مِنْ حَلَالٍ، وَيُنْفِقُهُ فِي حَلَالٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَقَدْ أَنْفَقَ الْمَالَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ.

4. العقل: لَمَّا كَانَ الْعَقْلُ مَنَاطَ التَّكْلِيفِ، فَقَدْ حَرَّمَ الْإِسْلَامُ الْاعْتِدَاءَ عَلَيْهِ بِمَا يَحُولُ دُونَ أَدَائِهِ لِمُؤَاطَفَتِهِ بِأَيِّ مُخَدَّرٍ كَانَ نَوْعُهُ، وَشَرَعَ سُبْحَانَهُ حَدَّ السُّكْرِ صِيَانَةً لِهَذِهِ الْجَوْهَرَةِ الثَّمِينَةِ، لِأَنَّ غَيُوبَةَ السُّكْرِ تُنَافِي الْيَقَظَةَ الَّتِي فَرَضَهَا الْإِسْلَامُ عَلَى عَقْلِ الْإِنْسَانِ، لِيَكُونَ لَهُ بِهَذِهِ الْيَقَظَةِ عَامِلًا إِيْجَابِيًّا فِي نَمَاءِ الْحَيَاةِ وَعِمَارَتِهَا، وَاسْتِخْلَافِهِ فِي الْأَرْضِ.

5. النسل - والعرض: بِمَا أَنَّ حِفْظَ النِّسْلِ وَالْعَرَضِ عَلَيْهِ يَتَوَقَّفُ بَقَاءُ جِنْسِ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ الْأَنْسَابَ إِذَا اخْتَلَطَتْ انْهَدَمَتِ التَّرَكِيبَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ لِلْمُجْتَمَعِ، وَتَفَشَّتْ الْأُسْرَةُ الَّتِي هِيَ اللَّبِنَةُ الْأُولَى، وَحَيْثُ أَنَّ مَنْ تَعَاطَى الْمُخَدِّرَاتِ قَدْ يَزِنِي بِأَعْرَاضِ النَّاسِ.

6. وَفَوْقَ مَا ذُكِرَ مِنْ إلْحَاقِهَا الضَّرَرَ بِالْكُلِّيَّاتِ الْخَمْسِ، فَهِيَ كَذَلِكَ رِجْسٌ كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، فَبِمَا أَعْطَانَا اللَّهُ مِنَ الْعَقْلِ وَالْكَرَامَةِ، يَجِبُ أَنْ تَتَرَفَعَ عَنْ كُلِّ نَجَسٍ دَنَسٍ، وَلَئِنْهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ كَمَا وَصَفَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ قَدْ نُهِينَا عَنْ الْخَبَائِثِ، بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مُهِمَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (١٥٧)

﴿٦٨٤﴾ فَمِنْ هَذَا جَمِيعِهِ يَتَضَحُّ لَنَا أَنَّ غَايَةَ الشَّرِيعَةِ مِنْ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ سَامِيَةٌ جَدًّا، وَأَنَّهَا لَمْ تُحَرِّمْ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا لِتَأْثِيرِهَا الْبَالِغِ عَلَى كَيَانِ الْجَمَاعَةِ وَالْفَرْدِ دِينِيًّا، وَعَقْلِيًّا، وَصَحِيًّا، وَاجْتِمَاعِيًّا، وَاقْتِسَادِيًّا، كَمَا سَيَرُدُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (٦٨٥)

الباب الرابع: أسباب انتشار الخمر

وَهِيَ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

1. ضَعْفُ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ لَا يُرَاقِبُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُضَيِّعُهُ اللَّهُ، وَيَجْعَلُهُ عِبْرَةً لِمَنْ يَتَّبِعُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٦٨٦) ﴿٥﴾ فَلَمَّا ضَعُفَتْ مُرَاقَبَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، سَهَّلَ عَلَيْهِمْ شُرْبُ الْخَمْرِ وَتَعَاطِيهَا.

2. سُوءُ التَّرْبِيَةِ، فَإِنَّ الْأَبَ وَالْأُمَّ وَالْأُسْرَةَ وَالْبَيْتَ هُمْ الْمَسْئُولُونَ الْأَوَّلَ عَنْ إِصْلَاحِ الشَّبَابِ، وَفِي هِدَايَتِهِ وَتَوْجِيهِهِ، فَمَتَى ضَيَّعَتِ التَّرْبِيَةُ فِي الْبَيْتِ، وَأَصْبَحَ الشَّبَابُ يُرْبَى عَلَى الْأَغْنِيَةِ وَالْمُسْلَسَلِ، فَلَا عَجَبَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَشْرَبَ الْخَمْرَ وَأَنْ يُرَوِّجَ لَهَا.

⁶⁸⁴ - [الأعراف: ١٥٧]

⁶⁸⁵ - الأحمرى: سعيد بن عبد الرحمن، حكمة تحريم الخمر في الإسلام، ص 45-50، ط 1، 1405 هـ، مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

⁶⁸⁶ - [الصف: ٥]

3. الفراغ، فَلَمَّا فَرَّغَتِ الْقُلُوبُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْ ذِكْرِهِ، وَمِنْ مَحَبَّتِهِ،
وَجَدَ الشَّيْطَانُ ضَالَّتَهُ، فَسَهَّلَ عَلَيْهِمْ تَنَاوُلَ الْخَمْرِ وَشُرْبَهَا.

4. قُرْنَاءُ السُّوءِ وَالشَّلَلُ الْبَائِرَةُ الْفَاجِرَةُ الْفَاسِدَةُ، الَّتِي مَكَرَتْ بِالشَّبَابِ وَصَوَّرَتْ لَهُمُ
الدِّينَ وَحَلَقَاتِ الْعِلْمِ أَمَّا تَخَلَّفُ، وَأَنَّهَا تَزُمْتُ وَتَأَخَّرُ. فَأَوْرَدُوهُمْ مَوْرِدَ الْهَلَاكِ
وَالضِّيَاعِ بِالْخَمْرِ، وَالْمُخَدِّرَاتِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمُهْلِكَاتِ. (687)

الباب الخامس: أضرار الخمر

لِلْخَمْرِ أَضْرَارٌ دِينِيَّةٌ، وَصَحِيَّةٌ، وَنَفْسِيَّةٌ، وَعَقْلِيَّةٌ، وَفِي الْمَالِ، وَفِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ:

فَمِنْ أَضْرَارِهَا الدِّينِيَّةِ:

1. أَنَّهَا تَصُدُّ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَصُدُّ عَنِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ عِمَادُ الدِّينِ قَالَ

تَعَالَى: ﴿وَيُضِدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ (٩١) (688)

2. وَهِيَ تُضْعِفُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِ شَارِبِهَا، وَتُورِثُ الْحَزْنَ وَالنَّدَامَةَ.

3. تَقْضِي عَلَى الْجَوَانِبِ الْخَيْرَةِ فِي الْإِنْسَانِ.

4. بِجَانِبِ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ؛ فَهِيَ تَفْتَحُ الْمَجَالَ أَمَامَ مَعَاصٍ أُخْرَى.

وَمِنْ أَضْرَارِهَا الصَّحِيَّةِ: أَضْرَارٌ عَلَى كُلِّ مِنَ الْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ، وَأَمْرَاضُ نَاشِئَةٌ عَنِ
الْإِضْرَارِ بِالْمُخِّ، وَاعْتِلَالُ الْعَضَلَاتِ الْكُحُولِيَّةِ، وَإِفْسَادُ الْمِعْدَةِ، وَفُقْدَانُ الشَّهْوَةِ لِلطَّعَامِ،
وَإِضْعَافُ حَاسَةِ الذَّوْقِ، وَتُعِيقُ دَوْرَةَ الدَّمِ بِمُتَأَخَّرِهِ لَهُ، وَقَدْ يُوقِفُهَا أَحْيَانًا فَيَمُوتُ
السَّكِرُ فَجَاءَةً، وَلَهَا تَأْثِيرٌ عَلَى الْجِهَازِ التَّنَفُّسِيِّ، وَغَيْرُهَا. رُوِيَ عَنْ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ، قَوْلُهُ: "مَا رَأَيْتُ قَطُّ شَخْصًا فَقَدَ عَقْلَهُ ثُمَّ عَادَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى كَمَالِ عَقْلِهِ." وَتَأْتِي

687 - انظر: القرني، مجتمع المثل، مرجع سابق، ص 270.

688 - [المائدة: ٩١]

الأبحاثُ الطِّبِّيَّةُ الحَدِيثَةُ تُؤَكِّدُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ذُو النُّورَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَنَّ شَارِبَ الخَمْرِ - وَلَوْ بِدُونِ إِدْمَانٍ - يَفْقِدُ شَيْئاً مِنْ قُدْرَاتِهِ العَقْلِيَّةِ حَتَّى فِي حَالَةِ الصَّحْوَةِ الكَامِلَةِ.

وَمِنْ أَضْرَارِهَا العَقْلِيَّةِ: اضْطِرَابٌ فِي الإدْرَاكِ الحِسِيِّ، وَالتَّذَكُّرِ، وَالتَّفَكُّيرِ، وَاضْطِرَابٌ وَجْدَانِيٌّ، بَلِ السُّكْرُ يُضْعِفُ القُوَّةَ العَاقِلَةَ، وَكَثِيراً مَا يَنْتَهِي بِالْجُنُونِ.

وَمِنْ أَضْرَارِهَا المَالِيَّةِ: أَنَّهَا تَسْتَهْلِكُ المَالَ وَتُفْنِي الثَّرَوَةَ، وَهِيَ تُؤَثِّرُ عَلَى إِنْتاجِيَةِ الفَرْدِ المُسْلِمِ فِي عَمَلِهِ، وَهِيَ تَسْتَهْلِكُ أَمْوَالَ الدَّوْلَةِ الَّتِي تُنْفِقُ الأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ فِي بِنَايَةِ المَسْتَشْفَيَاتِ الخَاصَّةِ، وَمَا تُنْفِقُهُ عَلَى مُكَافَحَةِ هَذِهِ المَعْصِيَةِ.

وَمِنْ أَضْرَارِهَا فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ: وَقُوعُ التَّرَاعِ وَالْخِصَامِ بَيْنَ السُّكَارَى بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ يُعَاشِرُهُمْ، تَثِيرُ ذَلِكَ أَدْنَى بَادِرَةٍ مِنْ أَحَدِهِمْ، فَيُؤْغِلُونَ فِيهِ حَتَّى يَكُونَ عَدَاوَةً وَبُغْضاً. وَمِنْهَا إِفْشَاءُ السَّرِّ وَالْخِسَةِ وَالْمَهَانَةِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ. وَمِنْهَا أَنْ جَرِيْمَةُ السُّكْرِ تُغْرِي إِلَى جَمِيعِ الجَرَائِمِ الَّتِي تُعْرَضُ لِلسُّكَرَانِ وَتَجْرُهُ عَلَيْهَا، وَلَا سِيَّما الزَّنا وَالْقَتْلَ.⁽⁶⁸⁹⁾

البابُ السادسُ: كَيْفِيَّةُ الوَقَايَةِ مِنْ تَعَاطِي الخَمْرِ

إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنْ جَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً وَالأَدْوِيَّةُ النَّافِعَةُ فِي الوَقَايَةِ مِنْ دَاءِ تَعَاطِي الخَمْرِ كَثِيرَةٌ، ذَكَرَ الشَّيْخُ الأَهْدَلُ مِنْهَا⁽⁶⁹⁰⁾:

1. غَرَسُ الإِيْمَانِ فِي النُّفُوسِ، وَتَرْبِيَةُ المُجْتَمَعِ عَلَى تَطْبِيقِ الإِسْلَامِ فِي الحَيَاةِ.

2. الِاهْتِمَامُ بِتَرْبِيَةِ الأُسْرَةِ.

⁶⁸⁹ - انظر كل من: البنعلي، تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات، مرجع سابق، ص158. الحقيقل: سليمان بن عبد الرحمن، دليل المعلم إلى توعية الطلاب بأضرار الخمر والمخدرات، ص48 وما بعدها باختصار شديد، ط3، 1414هـ، الرياض- المملكة العربية السعودية. أبو غزالة: محمد حلمي، يسألونك عن الخمر، ص21 وما بعدها باختصار، ط1983م، دار الأرقم، عمان.

⁶⁹⁰ - انظر: الأهدل: عبد الله بن أحمد قادري، وقاية المجتمع من تعاطي المسكرات المخدرات، ط1، 1410هـ، المملكة العربية السعودية.

3. وَجُوبُ السَّعْيِ لِتَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ الْعُلْيَا الَّتِي تَحْيَا بِهَا الشُّعُوبُ.
4. صَرَفُ الشَّبَابِ إِلَى مَيَادِينِ التَّرَكِّيَّةِ وَالْجِهَادِ.
5. إِقَامَةُ قَاعِدَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.
6. جَعْلُ مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ وَالْإِعْلَامِ مُحَقَّقَةً لِمَقَاصِدِ الْإِسْلَامِ.
7. الْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

المطلب الثاني: السحر

وفيه أربعة أبواب

الباب الأول: تعريف السحر

هُوَ مُزَاوَلَةُ النَّفُوسِ الْخَبِيثَةِ لِأَفْعَالٍ وَأَحْوَالٍ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا أُمُورٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ لَا يَتَعَدَّرُ مُعَارَضَتُهَا. وَهُوَ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ الصَّرْفُ، وَأُطْلِقَ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ صَاحِبُ الْحِيلِ بِمَعُونَةِ الْآلَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ، وَمَا يُرِيكَ صَاحِبُ خِفَةِ الْيَدِ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ صَرَفُ الشَّيْءِ عَنْ جِهَتِهِ حَقِيقَةً لَعُوبَةً. (691)

قَالَ ابْنُ قَدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: السِّحْرُ: عَقْدُ وَرَقِي وَكَلَامٌ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيَكْتُبُهُ، أَوْ يَعْمَلُ شَيْئًا يُؤَثِّرُ فِي بَدَنِ الْمَسْحُورِ، أَوْ قَلْبِهِ، أَوْ عَقْلِهِ، مِنْ غَيْرِ مُبَاشَرَةٍ لَهُ، وَلَهُ حَقِيقَةٌ، فَمِنْهُ مَنْ يَقْتُلُ، وَمَا يُمَرِّضُ، وَمَا يَأْخُذُ الرَّجُلَ عَنْ امْرَأَتِهِ، وَمِنْهُ مَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَمَا يُبْغِضُ أَحَدَهُمَا إِلَى الْآخَرِ، أَوْ يُحِبُّ بَيْنَ اثْنَيْنِ. (692)

وَقِيلَ: السِّحْرُ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ مُخْتَصٌّ بِكُلِّ أَمْرٍ يَخْفَى سَبَبُهُ، وَيُتَخَيَّلُ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ، وَيَجْرِي مَجْرَى التَّمْوِيهِ وَالْخِدَاعِ، وَمَتَى أُطْلِقَ وَلَمْ يُقَيَّدَ أَفَادَ دَمَّ فَاعِلِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ (693) يَعْنِي مَوَّهُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّ حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ تَسْعَى، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (694). وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ مُقَيَّدًا فِيمَا يُمدَحُ وَيُحْمَدُ. نَحْوَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا أَوْ

691 - الكفوي، الكليات، مرجع سابق، ص510.

692 - ابن قدامة، المغني، مرجع سابق، ج12، ص131.

693 - [الأعراف: 116]

694 - [طه: 66]

إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ " (695) فَسَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ الْبَيَانِ سِحْرًا؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ يُوضِّحُ الشَّيْءَ الْمُسْكِلَ، وَيَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَتِهِ بِحُسْنِ بَيَانِهِ، وَبَلِغِ عِبَارَتِهِ (696).

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى مَا يُوضِّحُ الْحَقَّ وَيُنَبِّئُ عَنْهُ سِحْرًا؟

قِيلَ: إِنَّمَا سَمَّاهُ سِحْرًا لِوَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ ذَلِكَ الْقَدَرَ لِلطُّفْهِ وَحُسْنِهِ اسْتِمَالُ الْقُلُوبَ فَأَشْبَهَ السِّحْرَ الَّذِي يَسْتَمِيلُ الْقُلُوبَ، فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ سُمِّيَ سِحْرًا، لَا مِنْ الْوَجْهِ الَّذِي ظَنَنْتَ. الثَّانِي: أَنَّ الْمُقْتَدِرَ عَلَى الْبَيَانِ يَكُونُ قَادِرًا عَلَى تَحْسِينِ مَا يَكُونُ قَبِيحًا، وَتَقْبِيحِ مَا يَكُونُ حَسَنًا، فَذَلِكَ يُشَبِّهُ السِّحْرَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ (697).

وَقِيلَ لَمَّا كَانَ فِي الْبَيَانِ مِنْ إِبْدَاعِ التَّرَكِيبِ، وَغَرَابَةِ التَّأْلِيفِ، مَا يَجْذِبُ السَّمْعَ وَيُخْرِجُهُ إِلَى حَدٍّ يَكَادُ يُشْعَلُهُ عَنْ غَيْرِهِ؛ شَبَّهَ بِالسِّحْرِ الْحَقِيقِيِّ. (698)

الباب الثاني: معاني السحر

قَالَ الرَّائِغُ السُّحْرُ يُقَالُ عَلَى مَعَانٍ عَدَّةٍ:

الْأَوَّلُ: الْخِدَاعُ وَتَخِيلَاتُ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، نَحْوَ مَا يَفْعَلُهُ الْمُشْعُودُ بِصَرْفِ الْأَبْصَارِ عَمَّا يَفْعَلُهُ لِيَخْفَةَ يَدٍ، وَمَا يَفْعَلُهُ النَّمَامُ بِقَوْلٍ مُزَحَرْفٍ عَائِقٍ لِلْأَسْمَاعِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ (١١٦) (699).

الثَّانِي: اسْتِجْلَابُ مُعَاوَنَةِ الشَّيْطَانِ بِضَرْبٍ مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ

الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (١٠٢) (700).

695 - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج 10، ص 290، كتاب الطب، باب إن من البيان لسحرا.

696 - الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 3، ص 187.

697 - المرجع السابق نفسه.

698 - المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، مرجع سابق، ص 399.

699 - [الأعراف: 116]

700 - [البقرة: 102]

الثالث: مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْاِغْتِنَامُ، وَهُوَ اسْمٌ لِفِعْلٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنْ قُوَّتِهِ يُعَبِّرُ الصُّورَ وَالطَّبَائِعَ فَيَجْعَلُ الْإِنْسَانَ حِمَارًا، وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ عِنْدَ الْمُحَصِّلِينَ. (701)

ثُمَّ السِّحْرُ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الْآلَةُ الَّتِي يُسْحَرُ بِهَا ، وَيُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ فِعْلُ السَّاحِرِ وَالْآلَةُ تَارَةً تَكُونُ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي فَقَطُّ كَالرُّقْيِ وَالنَّفْثِ فِي الْعُقَدِ ، وَتَارَةً تَكُونُ بِالْمَحْسُوسَاتِ كَتَصْوِيرِ الصُّورَةِ عَلَى صُورَةِ الْمَسْحُورِ . وَتَارَةً بِجَمْعِ الْأُمُورِ الْحَسِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ وَهُوَ أَبْلَغُ (702)

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي أَنَّ السِّحْرَ لَهُ حَقِيقَةٌ أَمْ هُوَ تَخِيلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (703): وَالصَّحِيحُ أَنَّ لَهُ حَقِيقَةً وَبِهِ قَطَعَ الْجُمْهُورُ وَعَلَيْهِ عَامَّةُ الْعُلَمَاءِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ الْمَشْهُورَةُ. وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجُمْهُورِ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ، أَنَّ لَهُ حَقِيقَةً كَحَقِيقَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الثَّابِتَةِ، خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَنَفَى حَقِيقَتَهُ، وَأَضَافَ مَا يَقَعُ مِنْهُ إِلَى خَيَالَاتٍ بَاطِلَةٍ لَا حَقَائِقَ لَهَا، وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِمَّا يُتَعَلَّمُ، وَذَكَرَ مَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ مِمَّا يُكْفَرُ بِهِ، وَأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ لَا يُمَكِّنُ فِيمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ. وَقَدْ سَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيًّا، حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ.

وَالسِّحْرُ قَدِيمٌ جِدًّا فَقَدْ كَانَ فِي زَمَانِ صَالِحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (704): قَدْ كَانَ السِّحْرُ قَبْلَ زَمَانِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ صَحِيحٌ لَا شَكَّ فِيهِ؛ لِأَنَّ السَّحْرَةَ كَانُوا فِي زَمَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بَعْدَهُ، وَقَالَ قَوْمٌ صَالِحٍ

701 - انظر: الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 400.

702 - ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج 10، ص 373.

703 - النووي، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، ج 14، ص 146.

704 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج 1، ص 172.

-وَهُمْ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِنَبِيِّهِمْ صَالِحٍ: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (705) أي: مِنَ الْمُسَحُورِينَ عَلَى الْمَشْهُورِ.

الباب الثالث: حُكْمُ السَّحْرِ

لَمَّا كَانَ السَّحَرُ يَهْدِفُ إِلَى نَشْرِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ النَّاسِ وَنَشْرِ الْبَغْضَاءِ وَمَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَالسَّحَرُ لَا يَسْتَهْدِفُ هِدَايَةَ النَّاسِ، وَلَا يَتَّصِفُ بِعَقِيدَةٍ، وَلَيْسَ لَهُ فِكْرَةٌ مُعَيَّنَةٌ عَنِ الْإِلَهِيَّةِ وَعِلَاقَةِ الْخَلْقِ بِالْخَالِقِ؛ وَلَا يَتَّصِفُ مِنْهَا جَانِبًا تَنْظِيمِيًّا لِلْحَيَاةِ. فَمَا يَخْتَلِطُ السَّحَرُ بِهَذَا وَلَا يَلْتَبِسُ. وَمَا كَانَ السَّاحِرُونَ لِيُؤْدُوا عَمَلًا يَسْتَهْدِفُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ، وَيُحَقِّقُ مِثْلَ هَذَا الْإِتِّجَاهِ؛ وَمَا كَانُوا لِيُفْلِحُوا وَكُلُّ عَمَلِهِمْ تَخْيِيلٌ وَتَزْيِيفٌ. (706) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ (707) ﴿٦٩﴾ أَي: لَا يَظْفَرُ السَّاحِرُ بِسِحْرِهِ بِمَا طَلَبَ أَيْنَ كَانَ. (708)

فَالسَّحَرُ حَرَامٌ وَمِنَ الْكَبَائِرِ، فِعْلُهُ وَتَعْلَمُهُ وَتَعْلِيمُهُ. (709)

قَالَ الْكَفَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّحِيحُ أَنْ تَعْلَمَهُ حَرَامٌ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّهُ تُوسِّلُ إِلَى مَحْظُورٍ عَنْهُ غِنًى، وَتَوَقِّيَهُ بِالتَّجَنُّبِ أَصْلَحُ وَأَحْوَطُ. (710)

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: السَّاحِرُ لَا بُدَّ أَنْ يَكْفُرَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ

الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (711) ﴿١٠٢﴾

705 - [الشعراء: 153]

706 - قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج3، ص1813.

707 - [طه: 69]

708 - الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج8، ص434.

709 - النووي، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، ج14، ص146.

710 - الكفوي، الكليات، مرجع سابق، ص510.

711 - [البقرة: 102]

وَمَا لِلشَّيْطَانِ الْمَلْعُونِ غَرَضٌ فِي تَعْلِيمِهِ الْإِنْسَانَ السِّحْرَ إِلَّا لِيُشْرِكَ بِاللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا

يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (١٠٢) (712)

قلت: شِرْكُهُ بِاللَّهِ هُوَ تَعَاوُنُهُ مَعَ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ بِالْإِعْتِقَادِ بِأَن يَبْدِيهِمُ الضَّرُّ وَالنَّفْعُ وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى ضَرَرِ غَيْرِهِ بِمُعَاوَنَتِهِمْ دُونَ مَشِيعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَتَرَى خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الضَّلَالِ يَدْخُلُونَ فِي السِّحْرِ وَيُظَنُّونَهُ حَرَامًا فَقَطْ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُ الْكُفْرُ. وَحَدُّ السَّاحِرِ الْقَتْلُ؛ لِأَنَّهُ كَفَرَ بِاللَّهِ أَوْ مُضَارِعُ الْكُفْرِ، وَقَدْ جُعِلَ السِّحْرُ مِنَ السَّبْعِ الْمَوْبِقَاتِ، وَجُعِلَ مِنَ الشَّرِكِ لِعِتْقَادِ الْجُهَالِ أَنَّ ذَلِكَ يُؤَثِّرُ بِخِلَافِ مَا قَدَّرَ اللَّهُ. فَعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشَّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِلَاتِ." (713) والموبقاتُ المهلكاتُ، فليتنقِ العبدُ ربَّهُ، وَلَا يَدْخُلْ فِي مَا يَخْسِرُ بِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ. (714)

وَالسِّحْرُ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا وَقَدْ لَا يَكُونُ كُفْرًا؛ بَلْ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ. فَإِنْ كَانَ فِيهِ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ يَقْتَضِي الْكُفْرَ، كَفَرَ. وَإِلَّا فَلَا. وَكَذَلِكَ فِي تَعْلِيمِهِ وَتَعْلِيمِهِ. (715)

الباب الرابع: أقسامُ السحر

مِنْ خِلَالِ الْإِطْلَاعِ عَلَى بَعْضِ الْمَصَادِرِ تَبَيَّنَ لِي أَنَّ السِّحْرَ لَيْسَ مَرْتَبَةً وَاحِدَةً فَهُوَ مُتَعَدِّ مُتَنَوِّعٌ، عَلَى أَقْسَامٍ:

⁷¹² - [البقرة: ١٠٢]

⁷¹³ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج 5، ص 494، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْتَمَى ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] ج 5، ص 494، حديث رقم (2766).

⁷¹⁴ - الذهبي، الكبانر، مرجع سابق، ص 17.

⁷¹⁵ - النووي، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، ج 14، ص 147.

الأول: سِحْرُ الْكِلْدَانِيِّينَ وَالْكِسْدَانِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ، وَهُمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا هِيَ الْمُدَبِّرَةُ لِهَذَا الْعَالَمِ، وَمِنْهَا تَصْدُرُ الْخَيْرَاتُ وَالشُّرُورُ، وَالسَّعَادَةُ وَالنُّحُوسَةُ، وَهُمْ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُبْطِلًا لِمَقَالَتِهِمْ، وَرَادًّا عَلَيْهِمْ فِي مَذْهَبِهِمْ.

الثاني: سِحْرُ أَصْحَابِ الْأَوْهَامِ وَالنَّفْسِ الْقَوِيَّةِ.

الثالث: الاستِيعَانَةُ بِالْأَرْوَاحِ الْأَرْضِيَّةِ.

الرابع: التَّخِيلَاتُ وَالْأَخْذُ بِالْعُيُونِ، وَذَلِكَ لِأَنَّا أَغْلَطَ الْبَصَرَ كَثِيرَةً، فَإِنَّ رَاكِبَ السَّفِينَةِ إِذَا نَظَرَ إِلَى الشَّطِّ رَأَى السَّفِينَةَ وَاقِفَةً وَالشَّطَّ مُتَحَرِّكًا.

الخامس: الْأَعْمَالُ الْعَجِيبَةُ الَّتِي تَظْهَرُ مِنْ تَرْكِيبِ الْأَلَاتِ الْمُرَكَّبَةِ عَلَى النِّسَبِ الْهِنْدَسِيَّةِ تَارَةً، وَعَلَى ضُرُوبِ الْخِلَاءِ أُخْرَى.

السادس: الاستِيعَانَةُ بِخَوَاصِ الْأَدْوِيَةِ الْمُبْلَدَةِ وَالْمُزِيلَةِ لِلْعَقْلِ وَغَيْرِهَا.

السابع: تَعْلِيقُ الْقَلْبِ وَهُوَ أَنْ يَدَّعِيَ السَّاحِرُ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَ الْأَسْمَ الْأَعْظَمَ، وَأَنَّ الْجِنَّ يُطِيعُونَهُ وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي أَكْثَرِ الْأُمُورِ.

الثامن: السَّعْيُ بِالنَّمِيمَةِ وَالتَّضْرِيبُ مِنْ وُجُوهِ خَفِيفَةٍ لَطِيفَةٍ، وَذَلِكَ شَائِعٌ فِي النَّاسِ.⁽⁷¹⁶⁾

⁷¹⁶ - انظر كل من: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 3، ص 187. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 172. الهيثمي، الزواجر، ج 2، ص 164. مراجع سابقة.

المطلب الثالث

الربا

وفيه ستة أبواب

الباب الأول: معنى الربا

الربا لغةً: بمعنى الزيادة، والنماء، والعلو. ⁽⁷¹⁷⁾ وربا الشيء: إذا زاد على ما كان عليه فعظم، "فهو يربو ربواً". وإنما قيل للرابية (رابية)، لزيادتها في العظم، والإشراف على ما استوى من الأرض مما حولها، من قولهم: "ربا يربو". ومن ذلك قيل: "فلان في رباوة قومه"، يُراد أنه في رفعة وشرفٍ منهم، فأصل "الربا"، الإنافة والزيادة، وإنما قيل للمربي: "مرب" لتضعيفه المال، الذي كان له على غريمه حالاً، أو لزيادته عليه فيه لسبب الأجل الذي يؤخره إليه، فيزيده إلى أجله الذي كان له قبل حل دينه عليه. ⁽⁷¹⁸⁾

والربا في المال: الزيادة على رأس المال، وباعتبار هذه الزيادة قال تعالى: ﴿وَمَا

ءَاتَيْتُمْ مِّن رَّبٍّ لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيئُوا عِندَ اللَّهِ﴾ ⁽⁷¹⁹⁾

وهذه الزيادة لا يرضاها الله عز وجل، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ

الْمُصَدَّقَاتِ﴾ ⁽⁷²⁰⁾ ، فبين بذلك أن الزيادة المعقولة والمقبولة والمعبر عنها بالبركة، هي التي ترتفع عن الربا.

قال الطبري: الربا هو ما يعطى الناس بينهم، بعضهم بعضاً، يعطي الرجل الرجل العطية يريد أن يعطى أكثر منها، وأما كونه لا يربو عند الله فمعناه: ما أعطيتهم من

⁷¹⁷ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج1، ص509.

⁷¹⁸ - الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج3، ص102.

⁷¹⁹ - [الروم: ٣٩]

⁷²⁰ - [البقرة: ٢٧٦]

شَيْءٍ تُرِيدُونَ بِهِ مَثَابَةَ الدُّنْيَا وَمُجَازَاةَ النَّاسِ، فَذَلِكَ هُوَ الرَّبَا الَّذِي لَا يَقْبَلُهُ اللَّهُ وَلَا يَجْزِي بِهِ. ⁽⁷²¹⁾ وَفِي قَوْلِهِ ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ يَعْنِي بِالدُّنْيَا بِإِذْهَابِ بَرَكَتِهِ وَإِنْ كَانَ - فِي الظَّاهِرِ - كَثِيرًا، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: الْمَحْقُ أَلَّا يَقْبَلَ اللَّهُ مِنْهُ صَدَقَةً، وَلَا حَجًّا، وَلَا جِهَادًا، وَلَا صِلَةً. ⁽⁷²²⁾

الرَّبَا فِي الشَّرْعِ: الزِّيَادَةُ عَلَى رَأْسِ الْمَالِ لَكِنْ خُصَّ عَلَى وَجْهِ دُونَ وَجْهِ. ⁽⁷²³⁾

البَابُ الثَّانِي: أَنْوَاعُ الرِّبَا ⁽⁷²⁴⁾

أولاً: رَبَا الْفَضْلِ: وَهُوَ الْبَيْعُ مَعَ زِيَادَةِ أَحَدِ الْعَوَاضِينَ الْمُتَّفَقِي الْجِنْسِ عَلَى الْآخَرِ، كَبَيْعِ دِرْهَمٍ فِضَّةً بِدُونِ دِرْهَمٍ فِضَّةً أَوْ بِأَكْثَرِ. سَوَاءٌ اتَّقَابَضَا أَمْ لَا، وَسَوَاءٌ آجِلًا أَمْ لَا.

ثانياً: رَبَا الْيَدِ: وَهُوَ الْبَيْعُ مَعَ تَأْخِيرِ قَبْضِهِمَا، أَوْ قَبْضِ أَحَدِهِمَا عِنْدَ التَّفَرُّقِ مِنَ الْمَجْلِسِ، أَوْ التَّخَايُرِ فِيهِ بِشُرُوطِ اتِّحَادِهِمَا عِلَّةً، بِأَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنْهُمَا مَعْلُومًا، أَوْ كُلُّ مِنْهُمَا نَقْدًا وَإِنْ اخْتَلَفَ الْجِنْسُ. كَبَيْعِ دِرْهَمٍ ذَهَبٍ بِدِرْهَمٍ ذَهَبٍ، أَوْ دِرْهَمٍ ذَهَبٍ بِدِرْهَمٍ فِضَّةً أَوْ أَكْثَرِ، لَكِنْ تَأَخَّرَ قَبْضُ أَحَدِهِمَا مِنَ الْمَجْلِسِ أَوْ التَّخَايُرِ.

ثالثاً: رَبَا النَّسِيئَةِ: وَهُوَ الْبَيْعُ لِلْمَطْعُومِينَ أَوْ لِلنَّقْدِينَ الْمُتَّفَقِي الْجِنْسِ، أَوْ الْمُخْتَلَفِيهِ لِأَجَلٍ، وَلَوْ لَحِظَةً، وَإِنْ اسْتَوَيَا وَتَقَابَضَا فِي الْمَجْلِسِ، كَبَيْعِ دِرْهَمٍ فِضَّةً بِدِرْهَمٍ فِضَّةً، لَكِنْ مَعَ تَأْجِيلِ أَحَدِهِمَا وَلَوْ إِلَى لَحِظَةٍ، وَإِنْ تَسَاوَيَا أَوْ تَقَابَضَا فِي الْمَجْلِسِ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ مَتَى اسْتَوَى الْعَوَاضَانِ جِنْسًا وَعِلَّةً، كَبُرَ بُرٌّ، أَوْ ذَهَبٌ بِذَهَبٍ، اشْتُرِطَ ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ: التَّسَاوِي، وَعِلْمُهُمَا بِمَا يَقْتَنِيانِ عِنْدَ الْعَقْدِ، وَالْحُلُولُ وَالتَّقَابُضُ قَبْلَ التَّفَرُّقِ.

⁷²¹ - الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج 10، ص 187.

⁷²² - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 2، ص 994.

⁷²³ - الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 340.

⁷²⁴ - انظر: الهيثمي، الزواجر، مرجع سابق، ج 1، ص 299.

وَمَتَى اخْتَلَفَا جِنْسًا وَاتَّحَدَا عِلَّةً، كَبُرَ بِشَعِيرٍ، أَوْ ذَهَبٍ بِفِضَّةٍ، اشْتَرِطَ شَرْطَانِ:
الْحُلُولُ وَالتَّقَابُضُ. وَجَازَ التَّفَاضُلُ.

وَمَتَى اخْتَلَفَا جِنْسًا وَعِلَّةً، كَبُرَ بِذَهَبٍ أَوْ تَوْبٍ، لَمْ يُشْتَرِطْ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ.

الباب الثالث: حُكْمُ الرِّبَا

مِنَ الْمَعْلُومِ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ حُرْمَةُ الرِّبَا، حَيْثُ وَرَدَتْ حُرْمَتُهُ فِي صَرِيحِ الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى تَحْرِيمِهِ، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ الْمُهْلِكَةِ، وَكُفْرٍ مُسْتَحِيلِهِ⁽⁷²⁵⁾. وَالرِّبَا
لَمْ يُبَيِّنْ فِي شَرِيعَةٍ قَطٍ، وَقَدْ كَانَ مُحَرَّمًا عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ قَبْلَنَا⁽⁷²⁶⁾ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوْا وَقَدْ هُمُوهَا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾⁽⁷²⁷⁾

وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الرِّبَا كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِمْ، كَمَا هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا، وَأَنَّ النَّهْيَ
يَدُلُّ عَلَى حُرْمَةِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ⁽⁷²⁸⁾. فَالرِّبَا مُحَرَّمٌ فِي جَمِيعِ الْأَدْيَانِ السَّمَاءِيَّةِ وَمَحْظُورٌ فِي
الْيَهُودِيَّةِ، وَالْمَسِيحِيَّةِ، وَالْإِسْلَامِ.⁽⁷²⁹⁾

وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُبَيِّنُ شَنْاعَةَ الرِّبَا وَتَنْهَى عَنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽⁷³⁰⁾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا
بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^ط وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ
﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

⁷²⁵ - انظر: المليباري: زين الدين بن عبد العزيز ابن علي المعبري، إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد، ص 93،

الطبعة الأخيرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة- مصر.

⁷²⁶ - انظر: ابن حبان، تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ج 3، ص 411.

⁷²⁷ - [النساء: ١٦١]

⁷²⁸ - الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج 4، ص 21.

⁷²⁹ - السيد سابق، فقه السنة، ج 3، ص 123، ط 1، 1421 هـ، دار الفتح، القاهرة، مصر.

⁷³⁰ - [البقرة: 278 - ٢٧٩]

الرَّبَّوُا ﴿٢٧٥﴾ ⁽⁷³¹⁾، وَقَوْلُهُ: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿٢٧٦﴾ ⁽⁷³²⁾

وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ هُنَا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ اختِصَّاصَ هَذَا الْوَعِيدِ بِمَنْ يَأْكُلُهُ، بَلْ هُوَ عَامٌّ لِكُلِّ مَنْ يَتَعَامَلُ بِالرِّبَا، فَيَأْخُذُهُ، وَيُعْطِيهِ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْأَكْلَ؛ لِرِيَادَةِ التَّشْنِيعِ عَلَى فَاعِلِهِ، وَلِكَوْنِهِ الْغَرَضُ الْأَهَمُّ، فَإِنَّ آخِذَ الرِّبَا إِنَّمَا أَخَذَهُ لِلْأَكْلِ ⁽⁷³³⁾. فَهُوَ أَكْبَرُ الْمَقَاصِدِ ⁽⁷³⁴⁾ وَأَضْرُّهَا وَيَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ كَالشَّيْطَانِ ⁽⁷³⁵⁾

وَقِيلَ: إِنَّمَا ذَكَرَ الْأَكْلَ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مَنَافِعِ الْمَالِ، وَلَأنَّ الرِّبَا شَائِعٌ فِي الْمَطْعُومَاتِ وَهُوَ زِيَادَةٌ فِي الْأَجْلِ، بَأَنْ يُبَاعَ مَطْعُومٌ بِمَطْعُومٍ، أَوْ نَقْدٌ يَنْقَدُ إِلَى أَجَلٍ، أَوْ فِي الْعَوَضِ بَأَنْ يُبَاعَ أَحَدُهُمَا بِأَكْثَرِ مِنْهُ مِنْ جِنْسِهِ ⁽⁷³⁶⁾.

وَأَعْلَمُ أَنَّ بَيْنَ الرِّبَا وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ مُنَاسَبَةٌ مِنْ جِهَةِ التَّضَادِّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ عِبَارَةٌ عَنِ تَنْقِصِ الْمَالِ بِسَبَبِ أَمْرِ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَالرِّبَا عِبَارَةٌ عَنِ طَلَبِ الزِّيَادَةِ عَلَى الْمَالِ مَعَ نَهْيِ اللَّهِ عَنْهُ، فَكَانَا مُتَضَادَّيْنِ ⁽⁷³⁷⁾، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ ⁽⁷³⁸⁾ فَهُوَ - الرِّبَا - الْوَجْهُ الْآخَرُ الْمُقَابِلُ لِلصَّدَقَةِ . . الْوَجْهُ الْكَالِحُ الطَّالِحُ! لِهَذَا عَرَضَهُ السِّيَاقُ مُبَاشَرَةً بَعْدَ عَرَضِ الْوَجْهِ الطَّيِّبِ، السَّمِيحِ، الطَّاهِرِ، الْجَمِيلِ، الْوَدُودِ! عَرَضَهُ

⁷³¹ - [البقرة: ٢٧٥]

⁷³² - [البقرة: ٢٧٦]

⁷³³ - الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 201. والبيغوي، معالم التنزيل، ج 384. مراجع سابقة

⁷³⁴ - ابن الجوزي، زاد المسير، ج 1، ص 271. الرازي، مفاتيح الغيب، ج 7، ص 79. مراجع سابقة

⁷³⁵ - البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ج 4، ص 124.

⁷³⁶ - البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج 1، ص 142.

⁷³⁷ - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 7، ص 79.

⁷³⁸ - [البقرة: ٢٧٦]

عَرْضاً مُنْفَرَأً، يَكْشِفُ عَمَّا فِي عَمَلِيَّةِ الرَّبِّ مِنْ قُبْحٍ وَشَنَاعَةٍ. وَمِنْ جَفَافٍ فِي الْقَلْبِ وَشَرٍّ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَفَسَادٍ فِي الْأَرْضِ وَهَلَاكِ لِلْعِبَادِ. (739)

وَلَمْ يَبْلُغْ مِنْ تَفْطِيحِ أَمْرِ أَرَادَ الْإِسْلَامُ إِبْطَالَهُ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ، مَا بَلَغَ مِنْ تَفْطِيحِ الرَّبِّ. وَلَا بَلَغَ مِنَ التَّهْدِيدِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى مَا بَلَغَ التَّهْدِيدُ فِي أَمْرِ الرَّبِّ - فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَفِي غَيْرِهَا فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى - وَلِلَّهِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ. فَلَقَدْ كَانَتْ لِلرَّبِّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَفَاسِدُهُ وَشُرُورُهُ. وَلَكِنَّ الْجَوَانِبَ الشَّائِئَةَ الْقَبِيحَةَ مِنْ وَجْهِهِ الْكَالِحِ مَا كَانَتْ كُلُّهَا بَادِيَةً فِي مُجْتَمَعِ الْجَاهِلِيَّةِ كَمَا بَدَتْ الْيَوْمَ، وَتَكَشَّفَتْ فِي عَالَمِنَا الْحَاضِرِ، وَلَا كَانَتْ الْبُثُورُ وَالْدَّمَامِلُ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ الدَّمِيمِ مَكْشُوفَةً كُلُّهَا، كَمَا كُشِفَتْ الْيَوْمَ فِي مُجْتَمَعِنَا الْحَدِيثِ. فَهَذِهِ الْحَمَلَةُ الْمُفْرِغَةُ الْبَادِيَّةُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى ذَلِكَ النَّظَامِ الْمَقِيَّتِ، تَتَكَشَّفُ الْيَوْمَ حِكْمَتُهَا عَلَى ضَوْءِ الْوَاقِعِ الْفَاجِعِ فِي حَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ، أَشَدَّ مِمَّا كَانَتْ مُتَكَشِفَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى. وَيُدرِكُ - مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَدَبَّرَ حِكْمَةَ اللَّهِ وَعَظَمَةَ هَذَا الدِّينِ، وَكَمَالَ هَذَا الْمَنْهَجِ وَدِقَّةَ هَذَا النَّظَامِ - يُدرِكُ الْيَوْمَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُدرِكُهُ الَّذِينَ وَاجَهُوا هَذِهِ النُّصُوصَ أَوَّلَ مَرَّةٍ. وَأَمَامُهُ الْيَوْمَ مِنْ وَاقِعِ الْعَالَمِ مَا يُصَدِّقُ كُلَّ كَلِمَةٍ تُصَدِّقُ حَيَاً مُبَاشِراً وَاقِعاً. وَالْبَشَرِيَّةُ الضَّالَّةُ الَّتِي تَأْكُلُ الرَّبَّ وَتُوكِّلُهُ تَنْصَبُ عَلَيْهَا الْبَلَايَا الْمَاحِقَةُ السَّاحِقَةُ مِنْ جَرَاءِ هَذَا النَّظَامِ الرَّبَوِيِّ. فِي أَخْلَاقِهَا، وَدِينِهَا، وَصِحَّتِهَا، وَاقْتِصَادِهَا. وَتَتَلَقَّى - حَقّاً - حَرْباً مِنَ اللَّهِ تَصُبُّ عَلَيْهَا النِّقْمَةُ وَالْعَذَابُ . . أَفْرَاداً وَجَمَاعَاتٍ، وَأُمَمًا وَشُعُوبًا، وَهِيَ لَا تَعْتَبِرُ وَلَا تَفْقَهُ! (740)

هَذَا حُكْمُهُ - الرَّبِّ - وَقَوْلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِيهِ، أَمَا مِنَ السُّئَةِ الْمُطَهَّرَةِ فَفِيهَا مِنْ تَشْنِيعٍ وَتَنْفِيرٍ مِنَ الرَّبِّ، مَا لَا يَقِلُّ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَذْكُرُ مِنْهَا:

739 - قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 1، ص 318.

740 - المرجع السابق نفسه، ج 1، ص 318.

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكِلَ الرَّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ
وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ " (741)

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الرَّبَا سَبْعُونَ حَوْبًا أَيْسَرُهَا نِكَاحُ الرَّجُلِ أُمَّهُ، وَأَرْبَى
الرَّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ" (742)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: الرَّبَا
بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا وَالشَّرْكُ مِثْلُ ذَلِكَ. (743)

البَابُ الرَّابِعُ: الْحِكْمَةُ فِي تَحْرِيمِ الرَّبَا

إِنَّ مَا يَسْعَى إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ هُوَ بِنَاءُ مُجْتَمَعٍ مُتَكَافِلٍ يَعْيشُ فِي وُدٍّ وَطَمَائِينَةٍ وَرَخَاءٍ،
فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ مُتَكَافِلِينَ مُتَعَاوِينَ، يَنْتَفِعُونَ بِرِزْقِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاهُمْ عَلَى أَسَاسِ هَذَا
التَّكَافُلِ - لَا عَلَى قَاعِدَةِ الشُّيُوعِ الْمَطْلُوقِ كَمَا تَقُولُ الْمَارْكِسِيَّةُ. وَلَكِنْ عَلَى أَسَاسِ الْمُلْكِيَّةِ
الْفَرْدِيَّةِ الْمُقَيَّدَةِ - فَمَنْ وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ سَعَةً أَفَاضَ مِنْ سَعَتِهِ عَلَى مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ. مَعَ
تَكْلِيفِ الْجَمِيعِ بِالْعَمَلِ كُلِّ حَسَبَ طَاقَتِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ وَفِيمَا يَسَّرَهُ اللَّهُ لَهُ - فَلَا يَكُونُ
أَحَدُهُمْ كَلًّا عَلَى أَخِيهِ أَوْ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَهُوَ قَادِرٌ.

وَشَرَّطَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَلْتَزِمُوا فِي تَنْمِيَةِ أَمْوَالِهِمْ بِوَسَائِلَ لَا يَنْشَأُ عَنْهَا الْأَذَى لِلْآخَرِينَ،
وَلَا يَكُونُ مِنْ جَرَائِهَا أَيُّ تَعْوِيقٍ أَوْ تَعْطِيلٍ لِحَرَائِجِ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَدَوْرَانِ الْمَالِ فِي
الْأَيْدِي عَلَى أَوْسَعِ نِطَاقٍ، وَهُوَ مَقْصُودُ الشَّرْعِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا يَكُونُ دُولَةً

741- رواه مسلم، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، ج 1، ص 24، كتاب المساقاة، باب لعن الله أكل الربا وموكله، حديث رقم (1598).

742- ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد، متوفى سنة 235هـ، مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، ج 5، ص 234، كتاب البيوع والأقضية، باب أكل الربا وما جاء فيه، حديث رقم (10) ط 1، 1409هـ، دار الفكر، بيروت- لبنان.

743- البزار: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، متوفى سنة 292هـ، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، ج 1، ص 461، مسند عبد الله بن مسعود، حديث رقم (1935) 1422هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية.

بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴿٧﴾⁽⁷⁴⁴⁾، وَكَتَبَ عَلَيْهِمُ الطَّهَارَةَ فِي النِّيَّةِ وَالْعَمَلِ، وَالنَّظَافَةَ فِي
الْوَسِيلَةِ وَالْعَايَةِ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ قِيُوداً فِي تَنْمِيَةِ الْمَالِ لَا تَجْعَلُهُمْ يَسْلُكُونَ إِلَيْهَا سُبُلًا تُؤْذِي
ضَمِيرَ الْفَرْدِ وَخُلُقَهُ، أَوْ تُؤْذِي حَيَاةَ الْجَمَاعَةِ وَكَيَانَهَا.

وَأَقَامَ هَذَا كُلُّهُ عَلَى أَسَاسِ التَّصَوُّرِ الْمُمَثِّلِ لِحَقِيقَةِ الْوَاقِعِ فِي هَذَا الْوُجُودِ؛ وَعَلَى
أَسَاسِ عَهْدِ الْاسْتِخْلَافِ الَّذِي يَحْكُمُ كُلَّ تَصَرُّفَاتِ الْإِنْسَانِ الْمُسْتَخْلَفِ فِي هَذَا الْمُلْكِ
الْعَرِيضِ. . وَمِنْ ثَمَّ فَالرَّبُّ عَمَلِيَّةٌ تَصْطَدِمُ ابْتِدَاءً مَعَ قَوَاعِدِ التَّصَوُّرِ الْإِيمَانِيِّ إِطْلَاقاً؛ وَنِظَامٌ
يَقُومُ عَلَى تَصَوُّرٍ آخَرَ. تَصَوُّرٌ لَا نَظَرَ فِيهِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَمِنْ ثَمَّ لَا رِعَايَةَ فِيهِ لِلْمَبَادِئِ
وَالْعَايَاتِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي يُرِيدُ اللَّهُ لِلْبَشَرِ أَنْ تَقُومَ حَيَاتُهُمْ عَلَيْهَا.

إِنَّهُ يَقُومُ ابْتِدَاءً عَلَى أَسَاسٍ أَنْ لَا عِلَاقَةَ بَيْنَ إِرَادَةِ اللَّهِ وَحَيَاةِ الْبَشَرِ. فَلِلْإِنْسَانِ هُوَ
سَيِّدُ هَذِهِ الْأَرْضِ ابْتِدَاءً؛ وَهُوَ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِعَهْدٍ مِنَ اللَّهِ؛ وَغَيْرُ مُلْزَمٍ بِاتِّبَاعِ أَوْامِرِ اللَّهِ!

وَهُوَ بِذَلِكَ يَقُومُ عَلَى أَسَاسِ تَصَوُّرٍ خَاطِئٍ فَاسِدٍ. هُوَ أَنْ غَايَةَ الْعَايَاتِ لِلْوُجُودِ
الْإِنْسَانِيِّ هِيَ تَحْصِيلُهُ لِلْمَالِ - بَأْيَةٍ وَسِيلَةٍ - وَاسْتِمْتَاعُهُ بِهِ عَلَى النَحْوِ الَّذِي يَهْوَى! وَمِنْ
ثَمَّ يَتَكَالَبُ عَلَى جَمْعِ الْمَالِ وَعَلَى الْمَتَاعِ بِهِ؛ وَيَدُوسُ فِي الطَّرِيقِ كُلَّ مَبْدَأٍ وَكُلَّ صَالِحٍ
لِلْآخَرِينَ! (745)

وَالرَّبُّ لَا يَأْكُلُهُ إِنْسَانٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَخَافُ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ. . وَلَا يَأْكُلُ
الرَّبُّ إِنْسَانٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَيَعِزُّ نَفْسَهُ مِنْ صُفُوفِ الْكَافِرِينَ. . وَالْإِيمَانُ لَيْسَ كَلِمَةً تَقَالُ
بِاللسَانِ؛ إِنَّمَا هُوَ اتِّبَاعٌ لِلْمَنْهَجِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَرْجُمَةً عَمَلِيَّةً وَاقِعِيَّةً لِهَذَا الْإِيمَانِ. وَجَعَلَ
الْإِيمَانَ مَقْدَمَةً لِتَحْقِيقِهِ فِي الْحَيَاةِ الْوَاقِعِيَّةِ وَتَكْيِيفِ حَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ وَفَقِ مَقْتَضِيَّاتِهِ.

وَمَحَالٌ أَنْ يَجْتَمَعَ إِيمَانٌ وَنِظَامٌ رَبُّوِي فِي مَكَانٍ. وَحَيْثُمَا قَامَ النِّظَامُ الرَّبُّوِي فَهَنَّاكَ الْخُرُوجُ
مِنْ هَذَا الدِّينِ جَمَلَةً؛ وَهَنَّاكَ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ! وَالْمَاحِكَةُ فِي هَذَا الْأَمْرِ لَا تَخْرُجُ

⁷⁴⁴ - [الحشر: 7]

⁷⁴⁵ - قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص319.

عن كونها مباحكة . . والجمع في هذه الآيات بين النهي عن أكل الربا والدعوة إلى تقوى الله وإلى اتقاء النار التي أعدت للكافرين ليس عبثاً ولا مصادفة . إنما هو لتقرير هذه الحقيقة وتعميقها في تصورات المسلمين .

وكذلك رجاء الفلاح بترك الربا وتقوى الله . . فالفلاح هو الثمرة الطبيعية للتقوى ولتحقيق منهج الله في حياة الناس . . فالنظام الروي يفسد الحياة النفسية والخلقية ، كما أن من شأنه أن يفسد الحياة الاقتصادية وهنا يتبين علاقته بحياة الأمة كلها وتأثيره في مصائرها جميعاً، فلهذا السبب وغيره نجد القرآن الحكيم قد ربط بين آكل الربا وبين الفلاح؛ فلا يمكن أن يفلح قوم يتعاملون بالربا لما فيه من قبح وشناعة، ومن جفاف في القلب وشر في المجتمع وفساد في الأرض وهلاك للعباد، والشارع الحكيم ينهى عن كل ذلك أشد النهي ولا تفلح أمة تفعل ما نهى الله عنه وقبحه، ونحن في وقعنا المعاصر نرى أثر التعامل بالربا وعواقبه على الأفراد وعلى الجماعات، من تدمير للاقتصاد، واحتكار الأموال في أيدي فئة محتكرة، ومن انتشار للفقر، هذا في الدنيا، فضلاً عن الحرب التي وعد الله بها في الآخرة! فالربا بلاء على الإنسانية لا في إيمانها وأخلاقها فحسب، بل كذلك في صميم حياتها الاقتصادية والعملية، فهو أبشع نظام يحق سعادة البشرية. لهذا كله ندرك الارتباط بين معنى الفلاح هنا واقتترانه بترك النظام الربوي المقيت!

فضلاً عن ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ أَضْرَاراً أُخْرَى مِنْهَا:

1- أَنَّهُ يُسَبِّبُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْأَفْرَادِ، وَيَقْضِي عَلَى رُوحِ التَّعَاوُنِ بَيْنَهُمْ. وَالْأَدْيَانُ كُلُّهَا، وَلَا سِيَّامَا الْإِسْلَامَ، تَدْعُوا إِلَى التَّعَاوُنِ وَالْإِيثَارِ وَتُبْغِضُ الْأَثَرَةَ وَالْأَنَانِيَةَ وَاسْتِعْلَالَ جُهِدِ الْآخَرِينَ.

2- وَأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى خَلْقِ طَبَقَةٍ مُتْرَفَةٍ لَا تَعْمَلُ شَيْئاً، كَمَا يُؤَدِّي إِلَى تَضَخُّيمِ الْأَمْوَالِ فِي أَيْدِيهَا دُونَ جُهِدٍ مَبْذُولٍ، فَتَكُونُ كَالنَّبَاتَاتِ الطُّفِيلِيَّةِ تَنْمُو عَلَى حِسَابِ غَيْرِهَا.

- وَالْإِسْلَامُ يُمَجِّدُ الْعَمَلَ وَيُكْرِمُ الْعَامِلِينَ وَيَجْعَلُهُ أَفْضَلَ وَسِيلَةٍ مِنْ وَسَائِلِ الْكَسْبِ، لِأَنَّهُ يُؤْدِي إِلَى الْمَهَارَةِ، وَيَرْفَعُ الرُّوحَ الْمَعْنَوِيَّةَ فِي الْفَرْدِ. (746)
- 3- وَهُوَ وَسِيلَةُ الاسْتِعْمَارِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: الاسْتِعْمَارُ يَسِيرُ وَرَاءَ تَاجِرٍ أَوْ قَسِيسٍ. وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا الرَّبَّ وَآثَارَهُ فِي اسْتِعْمَارِ بِلَادِنَا.
- 4- وَالْإِسْلَامُ بَعْدَ هَذَا يَدْعُو إِلَى أَنْ يُقْرِضَ الْإِنْسَانُ أَخَاهُ قَرْضًا حَسَنًا إِذَا احتَاجَ إِلَى الْمَالِ، وَيُثَبِّبُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ مَثْوِيَةٍ. (747)
- 5- أَنَّ التَّعَامُلَ الرَّبَوِيَّ لَا يُمَكِّنُ إِلَّا أَنْ يُفْسِدَ ضَمِيرَ الْفَرْدِ وَخُلُقَهُ، وَشُعُورَهُ تُجَاهَ أَخِيهِ فِي الْجَمَاعَةِ؛ وَإِلَّا أَنْ يُفْسِدَ حَيَاةَ الْجَمَاعَةِ الْبَشَرِيَّةَ وَتَضَامُنَهَا بِمَا يَبْثُثُهُ مِنْ رُوحِ الشَّرِّ، وَالطَّمَعِ، وَالْأَثَرَةِ، وَالْمُخَالَئَةِ، وَالْمُقَامَرَةِ، بِصِفَةِ عَامَّةٍ (748)
- 6- وَالرَّبَّ يَقْتَضِي أَخْذَ مَالِ الْإِنْسَانِ مِنْ غَيْرِ عَوَضٍ، لِأَنَّ مَنْ يَبِيعُ الدِّرْهَمَ بِالْدِرْهَمَيْنِ نَقْدًا أَوْ نَسِيئَةً فَيَحْصُلُ لَهُ زِيَادَةُ دِرْهَمٍ مِنْ غَيْرِ عَوَضٍ، وَمَالُ الْإِنْسَانِ مُتَعَلِّقٌ حَاجَتُهُ وَلَهُ حُرْمَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "حُرْمَةُ مَالِ الْمُؤْمِنِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ" (749) فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَخْذُ مَالِهِ مِنْ غَيْرِ عَوَضٍ مُحَرَّمًا.
- 7- أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى انْقِطَاعِ الْمَعْرُوفِ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْقَرْضِ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِذَا طَابَتِ النُّفُوسُ بِقَرْضِ الدِّرْهَمِ وَاسْتِرْجَاعِ مِثْلِهِ، وَلَوْ حَلَّ الرَّبَّ لَكَانَتْ حَاجَةُ الْمُحْتَاجِ تَحْمِلُهُ عَلَى أَخْذِ الدِّرْهَمِ بِدِرْهَمَيْنِ، فَيُفْضِي ذَلِكَ إِلَى انْقِطَاعِ الْمُوَاسَاةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ.

746- انظر: قطب: سيد، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص122، ط3، 1952م، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة.

747- السيد سابق، فقه السنة، مرجع سابق، ج3، ص124.

748- قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص318.

749- الدارقطني: علي بن عمر، متوفى سنة 385هـ، سنن الدارقطني، ج3، ص425، كتاب البيوع، حديث رقم (2927) ط1، 1424هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

8- هُوَ أَنَّ الْعَالِبَ أَنَّ الْمُقْرَضَ يَكُونُ غَنِيًّا، وَالْمُسْتَقْرَضَ يَكُونُ فَقِيرًا، فَالْقَوْلُ بِتَجْوِيزِ عَقْدِ الرِّبَا تَمْكِينٌ لِلْعَنِيِّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْفَقِيرِ الضَّعِيفِ مَالًا زَائِدًا، وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ بِرَحْمَةِ الرَّحِيمِ.

9- ثُمَّ أَنَّهُ -زِيَادَةٌ عَلَى مَا ذُكِرَ- فَإِنَّ حُرْمَةَ الرِّبَا قَدْ ثَبَّتَتْ بِالنَّصِّ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَكْمُ جَمِيعِ التَّكَالِيفِ مَعْلُومَةً لِلخَلْقِ، فَوَجَبَ الْقَطْعُ بِحُرْمَةِ عَقْدِ الرِّبَا، وَإِنْ كُنَّا لَا نَعْلَمُ الْوَجْهَ فِيهِ⁽⁷⁵⁰⁾.

10- قَرَنَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الرِّبَا وَالزِّنَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ لِأَنَّهُمَا جَرِمَتَانِ اجْتِمَاعِيَّتَانِ مُتَشَابِهَتَانِ فِي آثَارِهِمَا السَّلْبِيَّةِ عَلَى الْمُجْتَمَعِ⁽⁷⁵¹⁾. قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ أُذِنَ بِهَلَاكِهَا⁽⁷⁵²⁾.

الباب الخامس: الفرق بين البيع والرِّبَا

ادَّعى كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَامِلِينَ بِالرِّبَا، أَنَّ الْعِلَّةَ فِي الرِّبْحِ فِي الْبَيْعِ هِيَ نَفْسُهَا الْعِلَّةُ فِي الرِّبَا لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، فَردَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الْكَلَامَ عَلَيْهِمْ، وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيِّنًا بَيْنَ الْبَيْعِ وَالرِّبَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾⁽⁷⁵³⁾.

فَالْقَوْمُ كَانُوا فِي تَحْلِيلِ الرِّبَا عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ، وَهِيَ أَنَّ مَنْ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشْرَةٍ ثُمَّ بَاعَهُ بِأَحَدٍ عَشَرَ فَهَذَا حَالٌ، فَكَذَا إِذَا بَاعَ الْعَشْرَةَ بِأَحَدٍ عَشَرَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَالًا، لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي الْعَقْلِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

⁷⁵⁰ - الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج7، ص83.

⁷⁵¹ - نضرة النعيم، مرجع سابق، ج10، ص453.

⁷⁵² - ابن القيم، الفوائد، مرجع سابق، ص226.

⁷⁵³ - [البقرة: ٢٧٥]

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ فَاسِدٌ وَلَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ مَا ذُكِرَ مُعَارَضَةً لِلنَّصِّ بِالْقِيَاسِ، وَهُوَ مِنْ عَمَلِ إِبْلِيسَ، فَإِنَّهُ لَمَّا أَمَرَهُ تَعَالَى بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَارَضَ النَّصَّ بِالْقِيَاسِ. ⁽⁷⁵⁴⁾ وَمَعْلُومٌ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ أَنَّهُ لَا يُعَارَضُ نَصٌّ بِقِيَاسٍ فَبَطَلَ قِيَاسُهُمْ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنْ طَلَبَ الزِّيَادَةُ بِطَرِيقِ التِّجَارَةِ غَيْرُ حَرَامٍ فِي الْجُمْلَةِ، إِنَّمَا الْمُحَرَّمُ زِيَادَةُ عَلَى صِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ فِي مَالٍ مَخْصُوصٍ بَيْنَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ⁽⁷⁵⁵⁾.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ مِثْلًا بِمِثْلٍ يَدًا بِيَدٍ فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرَبَى الْآخِذُ وَالْمُعْطِي فِيهِ سَوَاءٌ. ⁽⁷⁵⁶⁾

وَبَعْدَ أَنْ فَتَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَعْوَاهُمْ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَبَيَّنَ أَنَّ الْبَيْعَ لَيْسَ هُوَ نَفْسُهُ الرَّبَا، أَشَارَ سُبْحَانُهُ وَتَعَالَى إِلَى أَنَّهُ قَضَى بِنَزْعِ نُورِ الْعَقْلِ مِنَ الْمُرْبِي، وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ﴾ أَيُّ الْأَمْرِ الْبَعِيدِ مِنَ الصَّوَابِ، وَذَلِكَ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا مُعَاوَضَةٌ، فَقَوْلُهُمْ: نَحْنُ نَتَّعِطِي الرَّبَا كَمَا تَتَّعِطُونَ أَنْتُمْ الْبَيْعَ، فَمَا لَكُمْ تُنْكِرُونَهُ عَلَيْنَا؟ فَجَعَلَهُمُ الرَّبَا أَصْلًا انْسِلَاخًا مِمَّا أودَعَهُ اللَّهُ فِي نُورِ الْعَقْلِ وَحُكْمِ الشَّرْعِ وَسَلَامَةِ الطَّبَعِ مِنَ الْحِكْمَةِ؛ وَالْبَيْعُ كَمَا عَرَفَهُ الْفُقَهَاءُ نَقْلُ مِلْكٍ بِثَمَنِ.

قَالَ الْحَرَالِي: هُوَ رَغْبَةُ الْمَالِكِ عَمَّا فِي يَدِهِ إِلَى مَا فِي يَدٍ غَيْرِهِ، وَالشِّرَاءُ رَغْبَةُ الْمُسْتَمْلِكِ فِيمَا فِي يَدٍ غَيْرِهِ بِمُعَاوَضَةٍ بِمَا فِي يَدِهِ مِمَّا رَغِبَ عَنْهُ، وَكُلُّ شَارٍ بَائِعٍ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِتَمَامِ عَدْلِهِ وَعِظَمَتِهِ أَحَلَّ الْبَيْعَ لِمَا فِيهِ مِنْ عَدْلِ الْإِتِّفَاعِ، لِأَنَّهُ مُعَاوَضَةٌ عَلَى سَبِيلِ

⁷⁵⁴ - البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ج4، ص124.

⁷⁵⁵ - البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج1، ص386.

⁷⁵⁶ - رواه مسلم، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، ج11، ص12، كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الورق بالذهب نقداً، حديث رقم (1587).

النُصْفَةَ لِلتَّرَاضِي مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَلَأنَّ الْعُبْنَ فِيهِ غَيْرُ مُحَقَّقٍ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَلَأنَّ مَنْ اشْتَرَى مَا يُسَاوِي دِرْهَمًا بِدِرْهَمَيْنِ يُمَكِّنُ أَنْ يَبِيعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، لِرَوَاجِهِ أَوْ وُجُودِ رَاغِبٍ فِيهِ لِأَمْرِ دَعَاؤِهِ إِلَيْهِ بِثَلَاثَةٍ. وَحَرَّمَ الرِّبَا؛ لِمَا فِيهِ مِنْ اخْتِصَاصٍ أَحَدِ الْمُتَعَامِلِينَ بِالضَّرَرِ وَالْعُبْنِ، وَالْآخِرَ بِالِاسْتِثْنَاءِ عَلَى وَجْهِ التَّحْقِيقِ، فَإِنَّ مَنْ أَخَذَ دِرْهَمًا بِدِرْهَمَيْنِ لَا يُرْجَى خَيْرٌ مَا فَاتَهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ أَصْلًا، وَكَذَلِكَ رَبَا الْمُضَاعَفَةِ وَهُوَ مَا إِذَا طَلَبَ دَيْنَهُ فَكَانَ الْغَرِيمُ مُعْسِرًا فَالْزَمَهُ بِالِدَّفْعِ أَوْ الزِّيَادَةِ فِي الدَّيْنِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي مُقَابَلَةِ هَذَا الزَّائِدِ شَيْءٌ يَنْتَفِعُ بِهِ الْمَدِينُ. قَالَ الْحَرَالِي: فَيَقَعُ الْإِثَارُ قَهْرًا وَذَلِكَ الْجَوْرُ الَّذِي يُقَابَلُهُ الْعَدْلُ الَّذِي غَايَتُهُ الْفَضْلُ، فَأَجَوْرُ الْجَوْرِ فِي الْأَمْوَالِ: الرِّبَا، وَأَجَوْرُ الْجَوْرِ فِي الرِّبَا: الرِّبَا، كَالَّذِي يَقْتُلُ بِقَتِيلٍ قَتِيلَيْنِ، وَكُلُّ مَنْ طَفَفَ فِي مِيزَانٍ فَتَنَطَّفِيهِ رَبَا بِوَجْهِ مَا؛ وَلِذَلِكَ تَعَدَّدَتِ أَبْوَابُ الرِّبَا وَتَكَثَّرَتْ؛⁽⁷⁵⁷⁾ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الرِّبَا بَضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، وَالشَّرْكُ مِثْلُ ذَلِكَ وَهَذَا رَأْسُهُ"⁽⁷⁵⁸⁾

ثُمَّ إِنْ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْبَيْعَ مِثْلُ الرِّبَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَلَا يَحْتَاجُ الْأَمْرُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْحَذَقِ وَالذِّكَاءِ لِكَيْ يُعْرَفَ أَنَّ هُنَاكَ فُرُوقًا كَثِيرَةً بَيْنَ الْبَيْعِ وَالرِّبَا مِنْهَا: أَنَّ الْعَمَلِيَّاتِ التِّجَارِيَّةَ قَابِلَةٌ لِلرِّبْحِ وَلِلْخَسَارَةِ. وَالْمَهَارَةُ الشَّخْصِيَّةُ وَالْجُهْدُ الشَّخْصِيُّ وَالظُّرُوفُ الطَّبِيعِيَّةُ الْجَارِيَّةُ فِي الْحَيَاةِ هِيَ الَّتِي تَتَحَكَّمُ فِي الرِّبْحِ وَالْخَسَارَةِ. أَمَّا الْعَمَلِيَّاتُ الرِّبَوِيَّةُ فَهِيَ مُحَدَّدَةُ الرِّبْحِ فِي كُلِّ حَالَةٍ. وَهَذَا هُوَ الْفَارِقُ الرَّئِيسِي. وَهَذَا هُوَ مَنَاطُ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ . . . إِنْ كُلُّ عَمَلِيَّةٍ يُضْمَنُ فِيهَا الرِّبْحُ عَلَى أَيِّ وَضْعٍ هِيَ عَمَلِيَّةٌ رِبَوِيَّةٌ مُحَرَّمَةٌ بِسَبَبِ ضَمَانِ الرِّبْحِ وَتَحْدِيدِهِ.⁽⁷⁵⁹⁾

قُلْتُ: وَلَا يَدْخُلُ فِي هَذَا عَمَلِيَّاتُ الْبَيْعِ مَضْمُونَةُ الرِّبْحِ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَضْمُونَةً بِنِسْبَةِ مُعَيَّنَةٍ، وَلَيْسَ هُنَاكَ فِي التِّجَارَةِ مَا هُوَ مَضْمُونٌ بِنِسْبَةٍ كَامِلَةٍ، وَذَلِكَ لِتَقَلُّبِ السُّوقِ وَتَغْيِيرِ

⁷⁵⁷ - البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ج4، ص124.

⁷⁵⁸ - سبق تخريجه.

⁷⁵⁹ - انظر: قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص327.

وَذَكَرَ صَاحِبُ الْكَشَافِ أَنَّ هُنَاكَ مَسْأَلَةً أُخْرَى وَهِيَ أَنَّهُ: هَلَّا قِيلَ إِنَّمَا الرِّبَا مِثْلُ الْبَيْعِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي الرِّبَا لَا فِي الْبَيْعِ، فَوَجَبَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمْ شَبَّهُوا الرِّبَا بِالْبَيْعِ فَاسْتَحْلَوْهُ، قُلْتُ: جِيءَ بِهِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ، وَهُوَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنْ اعْتِقَادِهِمْ فِي حِلِّ الرِّبَا أَنَّهُمْ جَعَلُوهُ أَصْلًا وَقَانُونًا فِي الْحِلِّ حَتَّى شَبَّهُوا بِهِ الْبَيْعَ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (٢٧٥) ^ع، ⁽⁷⁶⁰⁾، إنْكَارٌ لِّتَسْوِيَّتِهِمْ بَيْنَهُمَا، وَدَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْقِيَاسَ يَهْدِمُهُ النَّصُّ - كَمَا ذُكِرَ - لِأَنَّهُ جَعَلَ الدَّلِيلَ عَلَى بُطْلَانِ قِيَاسِهِمْ إِحْلَالَ اللَّهِ وَتَحْرِيمَهُ. ⁽⁷⁶¹⁾

البَابُ السَّادِسُ: عُقُوبَاتُ آكِلِ الرِّبَا

عُقُوبَاتُ أَكِلِ الرَّبِّ كَثِيرَةٌ ذَكَرْتُ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ بَعْضَهَا:

الأولى: التَّخْبُطُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّبَّوْا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (762) يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: يَقُومُ أَكِلُ الرَّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قَبْرِهْ كَأَنَّهُ مَصْرُوعٌ يُخْنَقُ (763) أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ ذَلِكَ.

الثَّانِيَةُ: **الْمَحَقُّ**، يَعْنِي: مَحَقَّ الْبَرَكَةِ؛ أَي: أَنَّ الْأَمْوَالَ كَثِيرَةٌ وَطَائِلَةٌ وَالْقُصُورَ فَارِهَةٌ وَوَأَسِعَةٌ وَالْمَرَائِبَ حَمِيلَةٌ وَحَسَنَةٌ وَلَكِنَّ النَّفْسَ ضَيِّقَةً وَالْبَرَكَةَ مَعْدُومَةً وَالشَّقَاءَ حَالٌ فِي الْبَيْتِ وَفِي الْأُسْرَةِ وَفِي الْأَوْلَادِ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَمْوَالَ نَمَتْ مِنَ الرَّبَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ ^(٧٦٤) يَعْنِي مَهْمَا كَثُرَتِ الْأَمْوَالُ وَحَقَّقَ

760 - [البقرة: ٢٧٥]

⁷⁶¹ - الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج 1، ص 399.

762 - [البقرة: ٢٧٥]

⁷⁶³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج 1، ص 401.

764- [البقرة: ٢٧٦]

الإنسان الملائين والمليارات ماله إلى أي شيء؟ إلى المحق؛ لأن البركة قد زالت إذ ليست العبرة بكثرة النقود وإنما العبرة بالبركة فيها.

الثالثة: الحرب من الله عز وجل، ومن حارب الله سبحانه فقد خسر خسراناً ميبناً، قال تعالى: ﴿فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٢٧٩) (765)

الرابعة: الكفر لمن استحلّه، من استحلّه فقد كفر بدليل قوله في هذه الآيات: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) (766)

الخامسة: الخلود في النار، أي لمن استحلّه أيضاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧٥) (767)

765 - [البقرة: ٢٧٩]

766 - [البقرة: ٢٧٨]

767 - [البقرة: ٢٧٥]

الفصل الخامس

نماذج من المفلحين

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: أبو بكر الصديق رضي الله عنه

المطلب الثاني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه

المطلب الثالث: عثمان بن عفان رضي الله عنه

المطلب الرابع: الأنصار رضوان الله عليهم

تمهيد

بَعْدَ أَنْ ذَكَرْتُ فِي الْفُصُولِ السَّابِقَةِ تَعْرِيفَ الْفَلَّاحِ، وَأَبْرَزَ الصِّفَاتِ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا الْمَفْلِحُونَ، وَأَبْرَزَ الْمَوَانِعَ الَّتِي تَمْنَعُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْفَلَّاحِ، وَتُبْعِدُهُ عَنِ النَّهْجِ الْقَوِيمِ الَّذِي أَرَادَهُ رَبُّ الْعِزَّةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُطْلِقَ عَلَيْهِ "الْجَانِبُ النَّظَرِي" فِي مَوْضُوعِ الْفَلَّاحِ.

أَمَّا فِي هَذَا الْفَصْلِ فَسَأَعْمَدُ إِلَى ذِكْرِ نَمَازِجٍ مِنَ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي ذَكَرْتُ وَغَيْرِهَا نَحْسِبُهُمْ مِنَ الْمَفْلِحِينَ وَلَا نُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَنَّاسٌ حَمَلُوا لَوَاءَ الْإِسْلَامِ عَلَى أَكْتَافِهِمْ، وَبَذَلُوا الْعَالِي وَالنَفِيسَ مِنْ أَجْلِ تَبْلِيغِ دَعْوَةِ الْحَقِّ وَنَشْرِهَا فِي بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَهُمْ الَّذِينَ حَمَلُوا اللِّوَاءَ بَعْدَ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ، فَكَانُوا خَيْرَ خَلْفٍ لِخَيْرِ مُعَلِّمٍ، وَسَارُوا عَلَى نَهْجِهِ وَاقْتَدَوْا بِهِ، وَهُمْ كَثُرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا يُحْصِيهِمْ بَحْثٌ؛ بَلْ ذُكِرُوا فِي مُؤَلَّفَاتٍ كَثِيرَةٍ عُنِيَتْ بِذَلِكَ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَذُو النُّورَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَسَأَكْتَفِي بِذِكْرِ جَانِبٍ وَاحِدٍ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفُوا بِهَا، بَعْدَ أَنْ أَذْكَرَ فِي عُجَالَةٍ نَسَبَهُمْ وَفَضَائِلَهُمْ.

وَلَمْ يَخْتَصِ الْفَلَّاحُ وَالْمَفْلِحُونَ بِالْأَفْرَادِ فَقَطْ؛ بَلْ إِنْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ سَخَّرَ لَهَا جَمَاعَاتٍ وَأَقْوَامًا سَاهَمُوا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَنَشَرُوا هَذَا الدِّينَ، وَنَصَرُوا نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ النَّمَاذِجِ: الْأَنْصَارُ رِضْوَانُ اللَّهِ

عليهم، والحديث عنهم يطول، ولكني سأذكر بعض الأمثلة التي تدل على
تضحيتهم، وإخلاصهم في نشر دعوة الله تعالى، والفضل الذي كان لهم في إيواء
الرسول صلى الله عليه وسلم، والمهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق،
ليكونوا خير نصير لله ولرسوله وللمؤمنين.

وما سأذكره هو فقط نقطة في محيط من الجود، والخير، والعطاء، والقُدوة
في التضحية، والخدمة لدين الله عز وجل، فإنه مهما تذكر من صفات ومدح
لرجال من أمثال: الصديق، والفاروق، وصاحب الكرم والحياء ذي النورين...
وقوم مثل الأنصار؛ فإنه لا يمكن أن حقهم، فإن أجرهم على الله عز وجل،
هو يوفيههم أجورهم بفضله، وجوده، ورحمته يوم القيامة.

نسأل الله أن يحشرنا وإياهم في جناته، وأن يجزيهم عنا خير الجزاء؛ لما
قدموا من خدمة لهذا الدين.

المطلب الأول

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

أولاً: نسبه وكنيته ولقبه:

هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيِ الْقُرَشِيِّ التَّمِيمِيِّ. أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. وَأُمُّهُ أُمُّ الْخَيْرِ سَلَمَى بِنْتُ صَخْرٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ بْنِ مُرَّةَ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّ أَبِيهِ. (768) وَقِيلَ: اسْمُهَا لَيْلَى بِنْتُ صَخْرٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ. وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ فَإِنَّهَا تَكُنْ ابْنَةُ أَخِيهِ وَلَمْ تَكُنْ الْعَرَبُ تُنَكِّحُ بَنَاتُ الْإِخْوَةِ. (769)

وَلَهُ مِنَ الْوَلَدِ: عَبْدُ اللَّهِ، وَأَسْمَاءُ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَعَائِشَةُ، وَمُحَمَّدٌ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ. (770)

ثانياً: مناقبه:

هُوَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْبُعْثَةِ، وَسَبَقَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَهُوَ صَاحِبُهُ فِي الْعَارِ وَفِي الْهِجْرَةِ (771) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (772) وَأَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَهُوَ أَوَّلُ خَطِيبٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ شَرْبِ الْخَمْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَقَيَّأَ تَنْظِيفاً وَتَحَرَّجاً مِنَ الشُّبُهَاتِ. وَهُوَ صَاحِبُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا إِلَى أَنْ مَاتَ، وَكَانَ فِيمَنْ

768 - الأصفهاني: أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج1، ص62، ط2، 1423 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

769 - ابن الأثير، أسد الغابة، مرجع سابق، ج3، ص204.

770 - ابن سعد: محمد، الطبقات الكبرى، ج2، ص160، 1414 هـ، دار الفكر، بيروت- لبنان.

771 - ابن حجر، الإصابة، مرجع سابق، ج4، ص145.

772 - ابن عبد البر، الاستيعاب، ج3، ص92. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص161. مراجع سابقة

ثَبَّتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ وَلِيَ النَّاسُ. ⁽⁷⁷³⁾ وَهَذَا بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ السِّيَرِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَتَخَلَّفَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِهِ كُلِّهَا. ⁽⁷⁷⁴⁾ وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةً تِسْعَ، وَاسْتَقَرَّ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُ وَلَقَّبَهُ الْمُسْلِمُونَ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ. ⁽⁷⁷⁵⁾

كَانَ أَنْسَبَ الْعَرَبِ، وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَكَانَ رَجُلًا مُؤَلَّفًا لِقَوْمِهِ، مُحِبًّا سَهْلًا، وَكَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ، وَكَانَ تَاجِرًا ذَا خُلُقٍ وَمَعْرُوفٍ، وَكَانُوا يَأْلَفُونَهُ لِعِلْمِهِ وَتِجَارَتِهِ وَحُسْنِ مُجَالَسَتِهِ. ⁽⁷⁷⁶⁾

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ عَنْهُ كِبَوَةٌ وَتَرَدَّدٌ وَنَظَرٌ، إِلَّا أَبَا بَكْرٍ مَا عَمَّ حِينَ ذَكَرْتَهُ لَهُ مَا تَرَدَّدَ فِيهِ ".

قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَبِي بَكْرٍ: أَسْلَمَ أَبَوَاهُ جَمِيعًا وَلَمْ يَجْتَمِعْ لِأَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ. ⁽⁷⁷⁷⁾ قَالَ الْبَغَوِيُّ: لَمْ يَكُنْ لِأَبِي بَكْرٍ وَلَدٌ إِلَّا آمَنَ، فَاجْتَمَعَ لِأَبِي بَكْرٍ إِسْلَامُ أَبَوَيْهِ وَابْنِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبِي عَتِيقٍ مُحَمَّدٌ، فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَدْرَكُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْلَمُوا وَلَمْ يَجْتَمِعْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ غَيْرِ أَبِي بَكْرٍ. ⁽⁷⁷⁸⁾

⁷⁷³ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج2، ص164.

⁷⁷⁴ - ابن الأثير، أسد الغابة، مرجع سابق، ج3، ص213.

⁷⁷⁵ - ابن حجر، الإصابة، مرجع سابق، ج4، ص145.

⁷⁷⁶ - ابن هشام: عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، ج1، ص180، 1424هـ، دار الحديث القاهرة.

مصر. ابن حجر، الإصابة، مرجع سابق، ج4، ص147.

⁷⁷⁷ - المحب الطبري، الرياض النضرة، مرجع سابق، ج1، ص399.

⁷⁷⁸ - البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج5، ص442.

ثالثاً: جوانب من فلاحه:

أ- رحمته رضي الله عنه:

1- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْحَمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ (779)

2- وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله وعدني أن يدخل الجنة أربعمئة ألف، فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا، وجمع كفيه، فقال عمر: حسبك يا أبا بكر، فقال أبو بكر: دعني يا عمر، وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا؟ فقال عمر: إن الله لو شاء أدخل خلقه الجنة بكف واحدة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر. (780)

3- وعن الشعبي رحمه الله قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "أنه-أي أبو بكر- لأرأف الناس، وإنه لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار، وإنه لأعظم الناس غناءً عن نبيه صلى الله عليه وسلم" (781)

4- ولما أعز الله عز وجل جنده ونصر عباده المؤمنين الموحدين وهزم عدوهم شر هزيمة في معركة بدر الكبرى وأسر المسلمون ما يزيد على السبعين من المشركين شاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في أسراهم فقال الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله أهلك وقومك -وفي رواية- هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان قد أعطاك الله الظفر ونصرك عليهم وأرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منه قوة لنا على الكفار وعسى الله أن

779- ضعيف، أخرجه المحب الطبري، الرياض النضرة، مرجع سابق، ج2، ص27.

780- صحيح صححه الألباني في ظلال الجنة، أخرجه المحب الطبري، الرياض النضرة، مرجع سابق، ج2، ص27.

781- المرجع السابق نفسه، ج2، ص17.

يهدّهم فيكونوا لنا عضداً.⁽⁷⁸²⁾ فانظر إلى حكمته ورحمته رضي الله عنه فهو ينظر إليهم أنهم أهل وأرحام ويجب الإحسان إليهم وعدم قتلهم بعد أن نصرهم الله عليهم وإشارته إلى أخذ الفداء ليتقوى المسلمون به، وهو في الوقت نفسه يطمع في إسلامهم وحريص على ذلك لكي يكونوا قوة للمسلمين. فآخذ الرسول صلى الله عليه وسلم برأيه وخالف رأي الفاروق الذي وافق القرآن الكريم.

ب- إنفاقه رضي الله عنه:

1- موقفه من النفقة على مسطح: لما نزلت براءة السيد الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من حادثة الإفك من السماء، كان مسطح-واسمه عوف- من الذين خاضوا في ذلك الحديث وكان الصديق رضي الله عنه ينفق عليه لقربته ولحاجته، فقال الصديق رضي الله عنه: والله لا انفق على مسطح شيئاً أبداً، ولا انفعه بنفع أبداً، بعد الذي قاله لعائشة وادخله علينا، فانزل الله عز وجل: فقال أبو بكر رضي الله عنه بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال والله لا انزعها منه أبداً.⁽⁷⁸³⁾

2- وأَعْتَقَ سَبْعَةَ كُلِّهِمْ يُعَذِّبُ فِي اللَّهِ: أَعْتَقَ بِلَالاً، وَعَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، وَزَيْنَةَ، وَالنَّهْدِيَّةَ وَابْنَتَيْهَا، وَجَارِيَةَ بَنِي الْمُؤَمِّلِ، وَأُمَّ عُبَيْسٍ.⁽⁷⁸⁴⁾

حكمته رضي الله عنه:

1- بعدما فجعت المدينة بخبر وفاة خير البرية عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ودهش الناس بين مصدق ومكذب كان لابد أن تظهر حكمة الصديق ورزاقته، فقد رَوَى الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: حَدَّثَنِي

⁷⁸² - الحلي: نور الدين بن إبراهيم، السيرة الحلبية، ج2، ص260، ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

⁷⁸³ - ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج3، ص216.

⁷⁸⁴ - ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص224. ابن حجر، الإصابة، ج4، ص148. المحب الطبري، الرياض النضرة، ج2، ص22. مراجع سابقة

أَبُو سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ اجْلِسْ يَا عُمَرُ فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ اللَّهُ { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلَى قَوْلِهِ الشَّاكِرِينَ } وَقَالَ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ آيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا. فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقَرْتُ حَتَّى مَا تُقْلِنِي رَجُلَايَ وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ⁽⁷⁸⁵⁾. ما أهوله من موقف وما أصعبه أن يفارق من هو أعز إليه من نفسه وماله وأهله ولكنه الحكمة التي لا تنقص الصديق رضي الله عنه يقف بكل رزاة وحكمة في موقف مهيب لا يقول إلا ما يرضي الله عز وجل قول الواثق بقدر الله الممتلئ قلبه باليقين، في حين ذهل كثير من الصحابة ومن بينهم عمر رغم ما عرف به من قوة ورباطة جأش ورجاحة عقله وعلمه، لكن حكمة أبي بكر وورزاته كانت حاضرة في مثل ذلك الموقف.

2- موقفه من حروب الردة وإنفاذ جيش أسامة: بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومبايعة الصديق خليفة للمسلمين ارتد عدد كبير من العرب عن الإسلام وامتنع قوم آخرون عن أداء الزكاة لأبي بكر، فكان لا بد من حكمته التي لا تنافي رحمته ورقته ورأفته، ليقف بكل صلابة في مواجهة من ارتد ومنع الزكاة وليقوم بإنفاذ الجيش الذي جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل انتقاله إلى الرفيق الأعلى رغم مخالفة أكثر الصحابة ذلك، ويصر أبو بكر على إنفاذ ذلك الجيش ليظهر صورة حية من الاقتداء

⁷⁸⁵ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج 8، ص 183، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته حديث رقم (4454).

بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ولتظهر بعدها حكمة أبي بكر
ورجاحة رأيه في إنفاذ تلك البعثة، فبعد إنفاذها وعودتها شاع في الجزيرة
العربية خبرها وروى المؤرخون أنها كانت لا تمر بقبيلة تريد أن ترتد إلا
تخوفوا وسكنوا وقالوا فيما بينهم لو لم يكن المسلمون على قوة لما خرج
من عندهم هؤلاء⁽⁷⁸⁶⁾.

والناظر في صلابة أبي بكر في حروب الردة يرى أنها صلابة حكمة رجاحة عقل
وليست صلابة تعنت أو مكابرة، فأبو بكر ليس ذلك الرجل الذي يتهاون أو يلين في
موقف يحتاج إلى الصلابة والقوة، فموقفه موقف الوثاق بنصر الله الساعي لتطبيق شرعه
على من ارتد من العرب أو منع الزكاة⁽⁷⁸⁷⁾، ولا أدل على ذلك من قوله: إن الزكاة حق
المال، والله لو منعوني عناقا لقاتلتهم عليه"

⁷⁸⁶ - انظر كل من: ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ج6، ص346. وابن خلدون: عبد الرحمن، تاريخ
ابن خلدون المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي
السلطان الأكبر)، ج2، ص469، ط1، 1413هـ، دار الكتب العلمية، بيروت. ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي،
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج4، ص141، ط1412هـ، دار الكتب العلمية، بيروت. بتصرف.
⁷⁸⁷ - العقاد، عبقرية الصديق، مرجع سابق، ص.

المطلب الثاني

الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ وَهُوَ ثَانِي الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَأَحَدُ كِبَارِ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ وَزُهَادِهِمْ. (788)

أولاً: نَسَبُهُ وَكُنْيَتُهُ وَلَقَبُهُ

هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ نَفِيلٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ رِيَّاحٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قِرْطٍ بْنِ زُرَّاحٍ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ لُؤْيٍ بْنِ غَالِبٍ. يَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَعْبٍ. وَأُمُّهُ حَنْتَمَةُ بِنْتُ هَاشِمٍ بْنِ الْمُغِيرَةِ بِنْتِ عَمِّ أَبِي جَهْلٍ وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ. كُنْيَتُهُ أَبُو حَفْصٍ كَنَاهُ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَقَبَهُ بِالْفَارُوقِ. (789)

ثانياً: مَوْلَدُهُ وَنَشَأَتُهُ

وُلِدَ فِي مَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَنَشَأَ وَتَرَعَرَغَ بِهَا، وَتَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ. رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: (سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ وُلِدْتُ قَبْلَ الْفُجَارِ (790) الْأَعْظَمِ الْآخِرِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ) (791).

ثالثاً: إِسْلَامُهُ

أَسْلَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِبِعْثَةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ خَرَجَ ابْنُ سَعْدٍ بِسَنَدِهِ عَنْ أَسْلَمَ (792) مَوْلَى عُمَرَ، قَالَ: (أَسْلَمَ فِي ذِي الْحِجَّةِ، السَّنَةِ

788 - السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، ص 121، مطبعة معتوق وإخوانه.

789 - ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 1، ص 268، ، المحب الطبري، الرياض النضرة، ج 1، ص 245، ابن

حجر، فتح الباري، ج 7، ص 44. مراجع سابقة

790 - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 3، ص 269، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 115. مراجع سابقة

791 - أيام كانت بين قيس بن غيلان وبين قريش في الجاهلية وهي أربعة أفجرة وسميت بالفجار لأنهم تفاجروا فيها بعكاظ فاستحلوا الحرمات في الأشهر الحرم وقالوا لما قاتلوا فجزنا فسميت فجارا. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ج 1، ص 123.

السَّادِسَةِ مِنَ النُّبُوءَةِ⁽⁷⁹³⁾ وَقَدْ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ أَنْ يُعَزَّزَ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ الْعُمَرَيْنِ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَوْ عُمَرُ بْنُ هِشَامٍ، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ إِلَى ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اللَّهُمَّ اعِزَّزْ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ)⁽⁷⁹⁴⁾

وكان إسلامُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ تِسْعَةِ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا، وَثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ امْرَأَةً، وَقِيلَ بَعْدَ خَمْسَةِ وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا، وَإِحْدَى عَشَرَ امْرَأَةً، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَسْلَمَ فَظَهَرَ الْإِسْلَامُ بِمَكَّةَ، وَفَرِحَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ⁽⁷⁹⁵⁾.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَا زِلْنَا أَعَزَّةَ مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ)⁽⁷⁹⁶⁾

رَابِعًا: مَنَاقِبُهُ وَفَضَائِلُهُ

شَهِدَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشَاهِدَ كُلِّهَا، وَهُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةِ دُعَايِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ التَّارِيخَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ فِي الْمَصْحَفِ، وَأَوَّلُ مَنْ جَمَعَ النَّاسَ عَلَى إِمَامٍ وَاحِدٍ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، وَأَوَّلُ مَنْ عَسَّ⁽⁷⁹⁷⁾ فِي عَمَلِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ فِي الْحَمْرِ ثَمَانِينَ، وَحَمَلَ الدُّرَّةَ وَأَدَبَ بِهَا، حَتَّى قِيلَ "لَدُرَّةَ عُمَرَ أَهْيَبُ مِنْ سَيْفِكُمْ"⁽⁷⁹⁸⁾

⁷⁹² - هو أسلم أبو خالد ويقال أبو زيد القرشي مولى عمر بن الخطاب من سبي اليمن سمع أبا بكر الصديق وعمر وعثمان وأبا عبيدة ومعاذ رضي الله عنهم وسمع منه ابنه زيد والقاسم بن محمد. حضر الجابية مع سيده عمر. انظر: ابن عساکر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تاريخ دمشق، ج8، ص336.

⁷⁹³ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، ص269. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص115. مرجعان سابقان

⁷⁹⁴ - رواه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب المناقب، في مناقب عمر بن الخطاب، ج5، ص617. وقال حديث حسن صحيح غريب.

⁷⁹⁵ - السيوطي، تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص109.

⁷⁹⁶ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج7، ص41، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب.

⁷⁹⁷ - عس: يطوف الليل يحرس الناس ويكشف أهل الرابية.

⁷⁹⁸ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص242، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1، ص477. مرجعان سابقان

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَقَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ نَاسٌ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ" (799) هَذَا الْحَدِيثُ يُدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَيَّانِ مَثَلِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ يُلْهِمُهُ الْحَقُّ، وَيُجْرِي عَلَى لِسَانِهِ الصَّوَابَ، وَيَنْطِقُ وَيَحْكُمُ بِالْعَدْلِ، وَاتَّضَحَ ذَلِكَ مِنْ كَثَرَةِ مُوَافَقَتِهِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَيْثُ نَزَلَ وَفَّقَ مَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أَسَارَى بَدْرٍ" (800) وَالْحَقُّ أَنَّ مُوَافَقَةَ الْفَارُوقِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثٍ فَقَدْ وَافَقَهُ فِي تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، وَفِي مَنَعَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَغَيْرِهَا كَثِيرٌ أَوْصَلَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى ثَلَاثِينَ، وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ مُتَقَدِّمٌ، وَيَدُلُّ عَلَى كَثَرَةِ مُوَافَقَةِ الْفَارُوقِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "مَا نَزَلَ النَّاسُ أَمْرٌ قَطُّ فَقَالُوا فِيهِ وَقَالَ فِيهِ عُمَرُ - أَوْ قَالَ ابْنُ الْخَطَّابِ - إِلَّا نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ عُمَرُ. (801) فَهَذَا الْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي كَثَرَةِ مُوَافَقَةِ الْفَارُوقِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِهِ وَعِلْمِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خامساً: جوانب من فلاحه:

عَدْلُهُ وَزُهْدُهُ

كَانَ الْفَارُوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صُورَةً حَيَّةً مِنَ الْعَدْلِ وَالزُّهْدِ، وَعَدْلُهُ مَدْرَسَةٌ تُدْرَسُ وَنَمُودَجًا يُطَبَّقُ فَيَكُونُ أَصْدَقَ تَطْبِيقٍ، فَلَمْ يَشْهَدْ التَّارِيخُ رَجُلًا أَقَامَ الْعَدْلَ مِثْلَ مَا أَقَامَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى أَنَّ عَدْلَهُ ذَهَبَ مَضْرَبًا لِلْمَثَلِ وَشَهِدَ لَهُ بِهِ الْعَدُوُّ قَبْلَ

⁷⁹⁹ رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج7، ص57، حديث رقم (3689)

⁸⁰⁰ رواه مسلم، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، ج15، ص162، كتاب فضائل الصحابة، باب في مناقب عمر بن الخطاب، حديث رقم (6156)

⁸⁰¹ صحيح، رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب، في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج4، ص455، حديث رقم (3682).

الصديق، ولم تكن شهادة الرسول الرومي حين جاءه فوجدته نائماً تحت شجرة متوسداً حجراً دون حرسٍ ولا خدمٍ له فقال: عدلت فأمنت فمنت، الأول ولم يكن الأخير، بل إن جميع من جاء بعده قد شهد له بذلك. فهو رضي الله عنه نموذج رائع في ذلك، فقد كان رضي الله عنه عادلاً في أهل بيته، عادلاً في رعيته، عادلاً بين الضعيف والقوي لا تأخذه بالله لومة لائم، بل إن عدله كان بين المسلمين وغيرهم فقد وصل عدله أهل الذمة ونالهم، وكان يعدل بينه وبين مواليه وخدمه وهو أمير للمؤمنين، وقصته وهو في طريقه إلى فتح بيت المقدس وهو يتعاقب الركوب مع غلامه في الطريق على راحلته معروفة ومشهورة، وعدله في توزيع أموال الغنائم وتخصيصه أهل بدرٍ لسابق فضلهم وإيمانهم ومعاملته للولاء ومحاسبتهم، ولم يكن الفاروق رضي الله عنه في الزهد بأقل من ذلك فقد باع نفسه لله واشترى الآخرة وأعرض عن الدنيا ورغم كونه أميراً للمؤمنين فإنه كان لزهد لا يفرق بينه وبين أحدٍ من الرعية فهو واحدٌ منهم في المعاملة وليس أميراً. والقصص في ذلك كثيرة أفردت بالتأليف في كتب كثيرة نذكر منها:

- روى ابن سعد في الطبقات عنه أنه قال: "إني لم استعمل عليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، وليشتمو أعراضكم، ويأخذوا أموالكم، ولكني استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم، وسنة نبيكم، فمن ظلمه عامله بمظلمة، فلا إذن له علي ليرفعها إلي حتى أقصه منه، فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين أرايت إن أدب أمير رجلا من رعيته، أثقصه منه؟ فقال عمر: ومالي لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقص من نفسه؟⁽⁸⁰²⁾
- وعن أبي عثمان النهدي قال: رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت عليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة إحداهن بأديم أحمر.⁽⁸⁰³⁾

⁸⁰² ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج 1، ص 242
⁸⁰³ ابن الجوزي، المنتظم، ج 4، ص 141. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 280. مرجعان سابقان

• وعن الحسن البصري رحمه الله قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: والله إني لو شئت لكنت من ألباسكم، وأطيبكم طعاماً، وأرقكم عيشاً، وإني والله ما أجهل عن كراكر وأسمنة وعن صلاء وصناب وصلایق، ولكني سمعت الله عز وجل غير قوما بأمر فعلوه، فقال: "أذهبتم طيباتكم في حياتكم...." (804)

• روى أسلم - غلام عمر - قال: أصاب الناس مجاعة غلا فيها السمن، فكان عمر يأكل الزيت فيقرقر بطنه فيقول: قرقر ما شئت فوالله لا أكل السمن حتى يأكل الناس وحرّم على نفسه السمن حتى أكل الناس.

ومواقفه في الشدة على نفسه كثيرة وهذا من تمام عدله رضي الله عنه فهو أمير للمؤمنين وينظر إلى نفسه كأبي مسلم من الرعية دون تخصيص نفسه بشيء وموقفه عام الرمادة مشهور ومعروف في شدته على نفسه ويشهد بذلك قوله: بئس الوالي أنا إن أكلت طيباً وأطعمت الناس كراديسها. وعدله وزهد تعداه إلى أهل بيته فقد روي أنه كان نهى الناس عن شيء فدخل على أهله وقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم ووقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني والله لا أوتى برجل منكم وقع في ما نهيت عنه الناس، إلا أضعفت له العقاب لمكانه مني، فمن شاء فليتقدم ومن شاء فليتأخر. (805)

سادساً: استشهاد رضي الله عنه

كَانَ لِلْفُرسُ شَأْنٌ عَظِيمٌ وَكَانَتْ مَمْلَكَتُهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْمَمَالِكِ فَقَدْ كَانُوا هُمْ وَالرُّومُ أَعْظَمُ دَوْلَتَيْنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَكَانَ الْعَرَبُ أَقَلَّ النَّاسِ شَأْنًا فِي نَظَرِهِمْ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَنَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الرُّومِ وَالْفُرسِ، مَا اسْتَطَاعَ الْفُرسُ أَنْ يَسْتَوْعِبُوا ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْتَغْلِبُوا بَلْ حَاوَلُوا الْمُقَاوَمَةَ وَالْقِتَالَ مِرَارًا، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَبَيَّنَ

804 الأصفهاني، الحلية، مرجع سابق، ج1، ص84
805 - ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج1، ص249

لَهُمْ أَنْ الْجَيْشَ الْإِسْلَامِي هُوَ الْجَيْشُ الَّذِي لَا يُقْهَرُ، وَأَنْ مُقَارَعَتِهِمْ بِالسَّنَانِ لَا تُجْدِي نَفْعًا، فَلَجُّنَا إِلَى الْحَيْلَةِ وَالْدَهَاءِ وَقَدْ اسْتَهَرُوا بِهَذَا، وَكَانَ مِمَّنْ وَصَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْضُ الْمَوَالِي مِمَّنْ اسْتَرْقَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي تِلْكَ الْمَعَارِكِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْهَرْمُزَانِ وَأَبُو لَوْلُؤَةَ غُلَامُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَكَانَ يَزِيدُهُمْ غَيْظًا مَا يَنْظُرُوهُ مِنَ السَّبَايَا وَالْمَوَالِي وَالْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ الَّتِي تَأْتِي إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ بِلَادِ فَارِسٍ وَقَدْ شَارَكَهُمْ فِي هَذَا الْحَقْدِ بَعْضُ زُعَمَاءِ يَهُودِ الَّذِينَ رَأَوْا فِي خُرُوجِ النَّبِيِّ الْأَخِيرِ مِنْ بَنِي الْعَرَبِ ضِيَاعًا لِأَحْلَامِهِمْ وَطُمُوحَاتِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَتَبَاهَوْنَ وَيَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِهَا، فَاجْتَمَعَ عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ مَكْرُ يَهُودٍ وَحَقْدُ الْمَجُوسِ فَكَانَ مَا كَانَ مِنْ اسْتِشْهَادِ الْفَارُوقِ نَتِيجَةً لِمَكْرِهِمْ وَحَقْدِهِمْ.

طُعِنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، لِأَرْبَعِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ 23هـ، وَدُفِنَ يَوْمَ الْأَحَدِ صَبِيحَةَ هِلَالِ الْمُحَرَّمِ، وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَالَّذِي طَعَنَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ الْمَجُوسِيُّ غُلَامُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ - عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ اللَّعْنَةُ - وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا⁽⁸⁰⁶⁾.

⁸⁰⁶ - ابن الجوزي، صفة الصفوة، مرجع سابق، ج 1، ص 287 بتصرف.

المطلب الثالث

عثمان بن عفان رضي الله عنه

أولاً: نسبه وكنيته ولقبه رضي الله عنه:

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمه: أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أسلمت. يكنى أبا عبد الله وأبو عمرو وهو الأشهر. (807) ولد سنة ستة بعد الفيل (808) يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف (809) من السابقين إلى الإسلام أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان يقول إني لرابع أربعة في الإسلام، (810) هاجر المجرتين (811)، لقب ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، (812) وقيل لأنه كان يختم القرآن في الوتر، فالقران نور والقيام نور، وقيل لأنه كان له سخاءان قبل الإسلام وبعده، وقيل غير ذلك (813)، بايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان. (814) جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة، (815) وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة (816) وهو أول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط عليه السلام، كان أشبه الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم خلقاً، ولم يجمع بين بنتي نبي غيره، بدري بسهمه وأجره. (817)

-
- 807 - ابن الجوزي، صفة الصفوة، مرجع سابق، ج1، ص154.
808 - ابن حجر، الإصابة، ج4، ص377، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج3، ص155. مرجعان سابقان
809 - ابن الأثير، أسد الغاب، ج3، ص479، المحب الطبري، الرياض النضرة، ج3، ص5. مرجعان سابقان
810 - ابن الأثير، أسد الغاب، ج3، ص280، المحب الطبري، الرياض النضرة، ج3، ص33. مرجعان سابقان
811 - ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1، ص159، المحب الطبري، الرياض النضرة، ج3، ص9. مرجعان سابقان
812 - ابن الجوزي، صفة الصفوة، مرجع سابق، ج1، ص159.
813 - المحب الطبري، الرياض النضرة، مرجع سابق، ج3، ص6.
814 - ابن الجوزي، صفة الصفوة، مرجع سابق، ج1، ص154.
815 - ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ج4، ص207.
816 - ابن الأثير، أسد الغاب، مرجع سابق، ج3، ص481.
817 - الأصبهاني، معرفة الصحابة، مرجع سابق، ج3، ص361.

ثانياً: جوانب من فلاحه:

كرمه وجوده رضي الله عنه:

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه أجود الأمة وأسخاها، وأعظمها في سبيل الله وله في ذلك مآثر كانت ولا تزال غرة في جبين التاريخ الإسلامي، وهي كثيرة أذكر منها: أنه جهز جيش العسرة وكان مؤلفاً من نحو ثلاثين ألف جندي، روى البخاري رحمه الله في صحيحه أن عثمان يوم حُصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ أَنشُدْكُمْ اللَّهَ وَلَا أَنشُدْ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ حَفَرَ رُومَةً فَلَهُ الْجَنَّةُ فَحَفَرْتُهَا أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ فَجَهَّزْتُهُمْ قَالَ فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ⁽⁸¹⁸⁾.... وزاد النسائي " حَتَّى لَمْ يَفْقِدُوا عِقَالًا وَلَا خِطَامًا"⁽⁸¹⁹⁾ وفي الترمذي " أن عثمان جاء بألف دينار في ثوبه فصبتها في حجر الرسول صلى الله عليه وسلم حين جهَّز جيش العسرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم " ما على عثمان ما فعل بعد اليوم"⁽⁸²⁰⁾

ولم يقف كرم عثمان وسخائه في سبيل الله عند هذا الحد في هذه الغزوة التي كانت تمحيصاً وتنقية للإيمان وامتحان للعزائم، فقد ورد أنه أصاب الناس فيها مجاعة فأووا إلى كنف عثمان فوسعهم واشترى لهم طعاماً أسبغ الجيش كله.

ومن مآثر جوده وكرمه أنه اشترى بئر رومة بعشرين ألف درهم وكانت رومة ركية ليهودي يبيع ماءها للمسلمين، روى الحكيم الترمذي رحمه الله عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ حَزْنٍ الْقُشَيْرِيِّ قَالَ: شَهِدْتُ الدَّارَ حِينَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ فَقَالَ ائْتُونِي بِصَاحِبَيْكُمْ الَّذِينَ

⁸¹⁸ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، فَتْحُ الْبَارِيِّ، مَرْجِعُ سَابِقٍ، ج 5، ص 510، كِتَابُ الْوَصَايَا، بَابُ إِذَا وَقَفَ أَرْضاً أَوْ بَيْتاً وَاشْتَرَطَ لِنَفْسِهِ مِثْلَ دَلَاءِ الْمُسْلِمِينَ، حَدِيثٌ رَقْمُ (2778).

⁸¹⁹ - رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، سُنَنِ النَّسَائِيِّ، مَرْجِعُ سَابِقٍ، ج 6، ص 47، كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ جَهَّزَ غَازِيَا، عَنْ طَرِيقِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ.

⁸²⁰ - صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، ج 4، ص 463، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدِيثٌ رَقْمُ (3700)

أَلْبَاكُمْ عَلَيَّ قَالَ فَجِيءَ بِهِمَا فَكَأَنَّهُمَا جَمَلَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِمَارَانِ قَالَ فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمَا
عُثْمَانُ فَقَالَ أُنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ
الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْدَبُ غَيْرَ بئرِ رُومَةَ فَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي بِئرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ ذُلُوهَ مَعَ
دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبٍ مَالِي... قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ. (821)

ولم تكن مآثر عثمان رضي الله عنه وجوده في الجهاد فقط بل أوسع من ذلك
وأكثر فقد كان رضي الله عنه أول من وسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد
اشترى مقدار خمس سوار إجابة لرغبة الرسول صلى الله عليه وسلم حين ضاق المسجد
بأهله ؛ جاء في رواية الترمذي أن عثمان لما حوَصِرَ أَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: أُنْشِدُكُمْ
بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَسْجِدَ ضَاقَ بِأَهْلِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلَانٍ فَيَزِيدَهَا فِي الْمَسْجِدِ بِخَيْرٍ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبٍ
مَالِي. (822)

وما كل هذه المآثر والأفعال التي قل مثلها إلا دليل على أن هذا السخاء والكرم
هو من طبائعه وخلائقه رضي الله عنه ، وليس للتكليف إليه سبيل، بل هو سمة بارزة فيه
رضي الله عنه فهو يجري منه مجرى الدم ولا يفارقه، فهو لا يستكثر في الإنفاق في سبيل
الله وفي مواساة إخوانه شيء، فقد روي أنه كان له على طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه
خمسون ألفاً ، فقال له طلحة رضي الله عنه يوماً: قد تمياً مالك فاقبضه؛ فقال له عثمان
رضي الله عنه: هو لك معونة لك على مروءتك. (823)

وروي أن الناس في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه قد أصابهم
قحط؛ فلما اشتد بهم الأمر جاؤوا إلى أبي بكر ، فقالوا: يا خليفة رسول الله ، إن السماء

⁸²¹ - صحيح، رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج4، ص463، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،

باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، حديث رقم (3699)

⁸²² - صحيح، رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج4، ص463، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،

باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، حديث رقم (3699)

⁸²³ - ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ج7، ص207.

لم تمطر، والأرض لم تمطر وقد توقع الناس الهلاك، فما نصنع؟ قال: انصرفوا واصبروا فإني أرجو الله أن لا تمسوا حتى يفرج عنكم؛ فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيرا لعثمان جاءت من الشام وتصبح بالمدينة، فلما جاءت خرج الناس يتلقونها؛ فإذا هي ألف بعير مسوقة بُراً وزيتاً وزيبياً، فأناخت بباب عثمان رضي الله عنه، فلما جعلها في داره جاءه التجار، فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد؛ بعنا من هذا الذي وصل إليك، تعلم ضرورة الناس، قال: حبا وكرامة، كم ترجوني على شرائي؟ قالوا: الدرهم درهمين، قال: أعطيت زيادة على هذا، قالوا: أربعة، قال: أعطيت زيادة على هذا، قالوا: خمسة، قال: أعطيت زيادة على هذا، قالوا: يا أبا عمر، ما بقي في المدينة تجار غيرنا، وما سبقنا إليك أحد، فمن ذا الذي أعطاك؟ قال: إن الله أعطاني بكل درهم عشرة؛ أعندكم زيادة؟ قالوا: لا، قال: فإني أشهد الله أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين. (824)

هذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، وهذا جزء من كرمه وسخائه وجوده ولا غرابة في ذلك فهو تلميذ معلم البشرية وسيدها وأجود من خلق الله صلى الله عليه وسلم. فهل يفتح الله علي عباد المال في هذا الزمان ليقتدوا بعثمان رضي الله عنه ويسمعوا إلى صوت هذه العظمة العثمانية التي تهز القلوب وتوقظ فيها بواعث الرحمة والرافة وحب الخير والإحسان إلى الفقراء والمساكين الذين لا يجدون قوت يومهم.

⁸²⁴ - الوطواط: برهان الدين الكبتي، غرر الخصائص الواضحة، كتاب في السخاء، باب ذكر الأجواد المعروفين ببذل الأموال، ص246، دار صعب، بيروت - لبنان.

ثالثاً: خلافته رضي الله عنه:

بويع للخلافة يوم السبت عاشر من محرم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بثلاثة أيام⁽⁸²⁵⁾ وروى ابن الجوزي رحمه أن بيعته كانت الاثني لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين،⁽⁸²⁶⁾ عاش في الخلافة اثني عشرة سنة، إلا اثني عشرة ليلة.⁽⁸²⁷⁾

رابعاً: استشهاد رضي الله عنه:

استشهد رضي الله عنه مغدوراً بعد أن حوَّصر في بيته يوم الجمعة لثلاث عشرة حلت من ذي الحجة وقيل لثمان عشرة من سنة خمس وثلاثين⁽⁸²⁸⁾. واختلف في قاتله، فقليل: الأسود التجيبي من أهل مصر، وقيل: جبلة بن الأيهم، وقيل سودان بن رومان المرادي، وقتل وهو يقرأ القرآن وكان صائماً يومئذ⁽⁸²⁹⁾.

⁸²⁵ - ابن حجر، الإصابة، ج4، ص379، ابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص140، المحب الطبري، الرياض النضرة، ج3، ص52، ابن الأثير، أسد الغاب، ج3، ص488، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج3، ص159. مراجع سابقة

⁸²⁶ - ابن الجوزي، صفة الصفوة، مرجع سابق، ج1، ص159
⁸²⁷ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص140، المحب الطبري، الرياض النضرة، ج3، ص75، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1، ص159، ابن الأثير، أسد الغاب، ج3، ص488، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج3، ص162. مراجع سابقة

⁸²⁸ - السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص128، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1، ص159. مراجع سابقة
⁸²⁹ - ابن الجوزي، صفة الصفوة، مرجع سابق، ج1، ص159. بتصرف.

المطلب الرابع

الأنصار رضي الله عنهم

تمهيد

لَمْ يَكُنِ الشَّرَفُ الَّذِي حَازَهُ الْأَنْصَارُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شَرَفًا عَابِرًا يُمَكِّنُ لَأَيِّ قَوْمٍ الْحُصُولَ عَلَيْهِ وَنَيْلَهُ، فَالْخِصَالُ الْحَمِيدَةُ الَّتِي جَمَعَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِمْ لَيْسَ فِي مَنْ سِوَاهُمْ، فَقَدْ اثْبَتُوا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ أَنَّهُمْ أَهْلٌ لِلتَّكْرِيمِ وَالْمِنَّةِ الَّتِي وَهَبَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِيَّاهَا وَأَنَّهُمْ أَهْلٌ وَكَفَوْا لِنَيْلِ شَرَفِ النُّصْرَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى سُمُوا بِالْأَنْصَارِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ عَنْ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: قُلْتُ لِأَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَرَأَيْتَ اسْمَ الْأَنْصَارِ، كُنْتُمْ تُسَمُّونَ بِهِ أَمْ سَمَّاكُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ قَالَ بَلْ سَمَّانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ... (830) وَهَذَا إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ فَهُمْ أَحِبَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُتَّبِعِيهِ فِي الشَّدَةِ وَالرَّخَاءِ، وَظَهَرَ أَثَرُ ذَلِكَ الْحُبِّ فِي وَصَايَا الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ، وَوَصَايَاهُ بِهِمْ، وَالِدُعَاءِ لَهُمْ، وَلِاتِّبَاعِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ" (831)

وَقَدْ كَانَ لِلْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ دَوْرٌ مُهِمٌّ فِي نُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذَلِكَ لِطِفْطَرَتِهِمُ الطَّيِّبَةِ الَّتِي جُبِلُوا عَلَيْهَا، وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ لَهُمُ الْخَيْرَ فِي اسْتِثَارِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

⁸³⁰ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب الأنصار، ج7، ص138، حديث رقم (3776).

⁸³¹ - رواه مسلم، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار، ج15، ص283، حديث رقم (6363).

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمْ، وَسَبَقَهُمْ إِلَى إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ وَإِيْوَانِهِمْ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَبَذَلِهِمُ الْمُهْجَ فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ وَطَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْمٌ هُمْ دُعُمُ الْهُدَى لَا تَعْدُونَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ إِنْ تُرِدْ دُعَمُ الْهُدَى

الرَّاشِدُونَ الْمُرْشِدُونَ إِلَى الْهُدَى وَالْوَارِدُونَ الْمُصْدِرُونَ الْوُرْدَا

لَوْ حَاوَلُوا نَيْلَ السَّمَاءِ بِعَزَمِهِمْ نَالُوا الثَّرِيَّا بَعْدَهُ وَالْفَرْقَدَا

وَإِذَا ادْلَهَمَ ظَلَامٌ لَيْلَ جَهَالَةٍ بَزَغُوا فَفَاقُوا النَّبِرَاتِ تَوَقُّدَا

أولاً: مَنْ هُمُ الْأَنْصَارُ

الأنصار: هو جمع ناصر كأصحاب وصاحب، أو جمع نصير كأشراف وشريف، واللام فيه للعهد أي: أنصار سول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁸³²⁾. وهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ — مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ — الَّذِينَ آوَا الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِمْ فَأَنْزَلُوهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ وَوَأَسَّوَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَتَصَرُّوا دِينَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولَهُ بِمَا بَدَّلُوا مِنْ مُهْجٍ وَمَا قَدَّمُوا مِنْ تَضَحِيَّاتٍ.

قَالَ صَاحِبُ الْأَسْتَبْصَارِ⁽⁸³³⁾: هُمُ الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجُ أَبْنَاءُ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ قَحْطَانَ. أَهْ

وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم⁽⁸³⁴⁾.

⁸³² -ابن حجر: فتح الباري، مرجع سابق، ج 1، ص 86.

⁸³³ -المقدسي: عبد الله بن قدامه، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، دار الفكر، بيروت، لبنان.

⁸³⁴ -ابن حجر: فتح الباري، مرجع سابق، ج 1، ص 87.

ثانياً: الثَّوَاتُ الْأُولَى

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَشَرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةٍ وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمَنْى يَقُولُ مَنْ يُؤْوِيَنِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبْلَغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ أَوْ مِنْ مُضَرَ كَذَا قَالَ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ احْذَرْ غُلَامٌ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ حَتَّى بَعَثْنَا اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ فَأَوْيَنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيَسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ ثُمَّ اتَّمَرُوا جَمِيعًا فَقُلْنَا حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ تُبَايِعُكَ قَالَ تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ قَالَ فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ فَقَالَ رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً وَقَتْلُ حَيَارِكُمْ وَأَنْ تَعْضُكُمْ السُّيُوفُ فِيمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً فَيَبْنُوا ذَلِكَ فَهُوَ عُذْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ قَالُوا أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ فَوَاللَّهِ لَا نَدْعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا قَالَ فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ. (835)

وَيَذُلُّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى سُرْعَةِ اسْتِجَابَةِ الْأَنْصَارِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُرْعَةِ دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى أَسْلَمَتِ جَمِيعُ دُورِ الْأَنْصَارِ وَيَذُلُّ عَلَى اسْتِعْدَادِهِمْ لِبَذْلِ نَفْسِهِمْ فِدَاءً لِهَذَا الدِّينِ الَّذِي دَخَلُوا فِيهِ طَوَاعِيَةً وَعَنْ طِيبِ نَفْسٍ.

835- أخرجه الإمام أحمد، المسند، باقي مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، حديث رقم (13934).

ثالثاً: فضل الأنصار

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار: إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم ، فقالوا أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو غير ذلك؟ قالوا : وما ذاك يا رسول الله؟ قال: هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونيهم الثمر، قالوا نعم.⁽⁸³⁶⁾

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله عن أنس رضي الله عنه، قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ، ولا أحسن بذلا من كثير، لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنة، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: لا. ما أثبتتم عليهم ودعوتهم الله لهم.⁽⁸³⁷⁾

وروى الإمام مسلم في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار، ورجلين من قريش، فلما رَهَقُوا قال: " من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة" فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم رَهَقُوهُ، فقال: " من يردهم عنها وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة" فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما أنصفنا أصحابنا"⁽⁸³⁸⁾

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم إلى المدينة وقد تركوا ديارهم وأموالهم وأهلهم، وفروا إلى الله بأنفسهم، تنافس الأنصار رضي الله عنهم في إيواء إخوانهم المهاجرين حتى وصل بهم الأمر إلى الاقتراع على إيوائهم بل طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقسم بينهم وبين إخوانهم المهاجرين نخيلهم، فقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَتْ الْأَنْصَارُ

⁸³⁶ - ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ج3، ص280.

⁸³⁷ - أخرجه الإمام أحمد، المسند، باقي مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم(12602)

⁸³⁸ - رواه مسلم، صحيح مسلم شرح النووي، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ج12، ص124، حديث رقم(1789).

لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقسِمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّحِيلَ قَالَ لَا فَقَالَ تَكْفُونَا الْمُثُونَةَ وَنُشْرِكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. (839)

وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، فكانت هذه الآصرة أقوى من آصرة القبيلة والنسب حتى وصل بهم الحال إلى التوارث بينهم، كما جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ (النساء: ٣٣) قال ورثته، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ﴾ (النساء: ٣٣) قال: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه، للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم، فما نزلت ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ (النساء: ٣٣) نسخت ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ﴾ (النساء: ٣٣) من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصي له (840).

وقد ضرب الأنصار أروع الأمثال في إكرام إخوانهم المهاجرين بل في إيثارهم على أنفسهم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩). ولما فتحت البحرين أراد الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام أن يعوض الأنصار ما أنفقوه على إخوانهم المهاجرين، كما روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، قال: دعا

⁸³⁹ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، كتاب المزارعة، باب إذا قال اكفني مونة النخل وغيره وتشركني

في الثمر، ج5، ص10، حديث رقم (2325)

⁸⁴⁰ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، ج4، ص334، كتاب الكفالة، باب قوله تعالى: والذين عقدت أيمانكم، حديث رقم (2292).

النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار أن يقطع لهم البحرين. قالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: "أما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم أثره." (841)

وفي البخاري أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالا فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها فإذا حلت تزوجها، قال: فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق قينقاع، قال: فغدا إليه عبد الرحمن فأتني بأقط وسمن قال: ثم تابع الغدو فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه اثر صفرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تزوجت؟ قال: نعم، قال: ومن؟ قال: امرأة من الأنصار، قال: "كم سقت؟ قال: زنة نواة من ذهب أو نواة من ذهب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أو لم ولو بشاة" (842)

والأمثلة في جود الأنصار وكرمهم كثيرة تُفردُ بالتأليف وإنما هذه صور من إيوائهم ونصرتهم الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرين رضي الله عنهم، ولا يخفى ما كان للأنصار من دور عظيم في نصر الإسلام وأهله سواء كان ذلك في بذل المال أو في بذل النفوس التي لم ييخلوا فيها ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى.

⁸⁴¹ - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب مناقب الأنصار رضي الله عنهم، ج7، ص147، حديث رقم (3794).

⁸⁴² - رواه البخاري، فتح الباري، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب فإذا قضيت الصلاة، ج4، ص334، حديث رقم (2048).

الخاتمة

وهذه المحطة الأخيرة من هذه الدراسة، حيث خاتمة الجهد وخلاصته، فنُظهِرُ ما فيها من أفكار، وما توصلت من نتائج.

❖ الفلاح غاية ينشدها كل مسلم تهفو إليها نفسه لينجو من عذاب ربه ويفوز بجنته ورضوانه.

❖ الفلاح في اللغة يدل على معان كثيرة، منها: الشق والقطع، والفوز والنجاة، ويأتي كذلك بمعنى السحور.

❖ الفلاح في الاصطلاح: نيل رضوان الله عز وجل والخلود في جنته والبعد سخطه وعذابه والنجاة من نار جهنم.

❖ من الأضداد التي وردت للفلاح في القرآن الكريم كلمة (الخسران) وهو النقص والهلاك. وهو قسمين في القرآن الكريم؛ خسران مادي: وهو الخسران في كيزان الدنيا وكيله المستعمل في المقتنيات الخارجية كالنقود وغير ذلك، وخسران معنوي: وهو الخسران المتعلق بالمقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والدين وغيرها.

❖ هناك علاقة وطيدة بين الفلاح ومكارم الأخلاق؛ فإسلام دين أخلاق جاء ليتممها، ويحث الناس على العمل بها.

❖ من أبرز الأخلاق التي أمر بها الإسلام وحث عليها خلقي الصدق والكرم، حيث كانا من أبرز أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في حياته وكذلك في حياة أصحابه رضوان الله عليهم.

❖ جاءت دلالة لفظ الفلاح في القرآن الكريم على خمسة أوجه، هي: النجاة والأمان والسعد والبقاء والفوز.

❖ هناك ألفاظ مشابهة للفلاح في القرآن الكريم هي الفوز والنجاة والنصر.

- ❖ كلمة الفلاح أوسع مدلولاً من كلمة للفوز فالفلاح كلمة جامعة لكثير من الصفات لا توجد في كلمة الفوز.
- ❖ الفوز: هو النجاة والظفر بالخير مع حصول السلامة وهو تعريف يشترك مع الفلاح.
- ❖ النجاة الخلاص من الشر وحصول الخير، وهي تشترك مع الفلاح في هذا الجانب.
- ❖ مصطلح الفلاح أشمل مدلولاً من كلمة النجاة، وإن كانا متشابهين من حيث النتيجة.
- ❖ النصر: إتيان الخير والظفر والعون والفوز في الدنيا.
- ❖ قد يكون النصر من العبد للعبد بفضل من الله عز وجل.
- ❖ إذا ودرت كلمة النصر في الحياة الدنيا يكون للمؤمنين على أعدائهم، أما إذا ورد في القرآن فيكون منفياً ويجيء مضافاً إلى الكافرين بشكل عام.
- ❖ النصر فلاح للمؤمنين في الدنيا؛ إذ هو نتيجة طبيعية للجهاد في سبيل الله عز وجل الذي هو صفة من صفات المفلحين.
- ❖ ذكر في القرآن الكريم عدد من صفات المفلحين أبرزها: الإيمان بالله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله والصبر وذكر الله عز وجل.
- ❖ عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان أنه قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.
- ❖ جاء الإيمان في القرآن الكريم على معان عدة، منها: التصديق والتوحيد والصلاة والدعاء.
- ❖ الخشوع إحدى صفات المؤمنين المفلحين وهو حسن الهيئة وخفض الجناح وعدم الالتفات في الصلاة.

❖ الإعراض عن اللغو هو ترك ما يكرهه الله عز وجل، والمفلحون معرضون عن كل لغو؛ لغو القول، ولغو الفعل، ولغو الشعور.

❖ المفلحون مداومون على أداء الزكاة وهو طبع وسجية فيهم.

❖ فرضت الزكاة لحكم كثيرة، منها: أنها تكفر الذنوب واجلب الرحمة وتصون المال وتحصنه.

❖ المفلحون يحفظون فروجهم عن الحرام فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من الزنا وغيره.

❖ في حفظ الفرج طهارة للروح والبيت والجماعة ووقاية للنفس والأسرة والمجتمع.

❖ لحفظ الفرج آثار عظيمة ، منها: الفوز والفلاح برضوان الله عز وجل.

❖ حفظ العهد والأمانة من صفات المفلحين فهم يراعون أماناتهم التي ائتمنوا عليها ويوفون بعهدهم إذا عاهدوا.

❖ الأمانات كثيرة في عنق الفرد المسلم وفي عنق الجماعة وهي متعددة ومتنوعة، لا يكاد يخلو منها مكلف، وليس العهد كذلك.

❖ المفلحون يحافظون على صلاتهم ولا يتهاونون فيها ويؤدونها على أكمل وجه بما يرضي الله عز وجل.

❖ في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الطريق القويم إلى الفلاح فهو عليه الصلاة والسلام الرحمة المهداة إلى العالمين، أرسله الله عز وجل وأمر باتباعه وطاعته.

❖ تكون محبة النبي صلى الله عليه وسلم بميل قلب المؤمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ميل يتجلى فيه إثثار حبه على كل من سواه من البشر.

❖ دوافع حب النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة، منها: أن حبه من محبة الله عز

وجل، وفي محبته نيل كرامة الدنيا والآخرة، وما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من السمائل والأخلاق يدفع المؤمن إلى حبه والافتداء به.

❖ تكون مظاهر الإتياع بالافتداء والتأسي به وتحكيم سنته والتحاكم إليها والوقوف عند شريعته.

❖ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الطرق التي تؤدي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

❖ المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه وكل ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به.

❖ المنكر خلاف المعروف وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه.

❖ اتفقت الأمة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب أوجبه الله تعالى وأمر به عباده من فوق سبع سموات بصيغة لا تحتل تأويلا أو تفسيراً غير الوجوب.

❖ يُقدَّر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر الاستطاعة كل حسب طاقته واستطاعته.

❖ لا يُشترط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون كامل الحال متمثلاً ما يأمر به محتثاً ما ينهى عنه بل عليه الأمر وإن كان مخلاً ببعض ما يأمر به.

❖ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أرقى درجات الكمال الإنساني، وهو من علامات المؤمنين المفلحين.

❖ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في صلاح العباد؛ وذلك أن صلاح العباد في طاعة الله عز وجل وطاعته لا تتم إلا بالاجتهاد بالقيام بهذا الواجب وهو سبب الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة.

❖ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أركان وشروط، منها: الأمر والمأمور بالمعروف والمنهي عن المنكر والمنكر ونفس الأمر والنهي.

❖ في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخاطر على الأمة بتزول العقاب عليها وعموم البلاء وعدم الاستجابة.

❖ الجهاد في سبيل الله عز وجل من أعظم العبادات حيث يضحى فيها المسلم بروحه وماله ووقته في سبيل الله عز وجل.

❖ الجهاد هو بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة أو معاونة بمال أو رأي أو تكثير سواد أو غير ذلك.

❖ الجهاد فرض كفاية على المسلمين ويتعين في حالات عدة.

❖ الجهاد من أفضل الأعمال وهو تجارة رابحة بين العبد وربّه.

❖ شرع الجهاد لغايات نبيلة وأهداف سامية حيث جاء ليحمي أعراض الناس وكرامتهم.

❖ يكون الجهاد ببذل المال والفكر في البحث والتأمل لنصرة دين الله.

❖ الصبر من الأخلاق الفاضلة التي دعا إليها الإسلام وأمر بها وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

❖ جعل الله عز وجل الصبر مفتاح الفرج وبه رفع قدر الصابرين إلى أعلى الدرج.

❖ من فضل الصبر أن الله عز وجل وصف به نفسه وهو بمعنى الحلم.

❖ الصبر واجب بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان، والآخر الشكر.

❖ الصبر ثلاثة أنواع: صبر مع الله، وصبر لله، وصبر بالله.

❖ للصبر فوائد كثيرة، منها: معية الله مع الصابرين ومحبة لهم وإيجاب الجزاء لهم بأحسن الأعمال.

❖ الذكر يكون بحضور القلب فيجب على الذاكر أن يحرص على تحصيله.

❖ الذكر ثلاثة أنواع: ذكر اللسان والقلب غافل، وذكر اللسان والقلب حاضر، وذكر يملأ القلب ويملأ اللسان.

- ❖ الذكر لله مخفوف برعايته، محبوب منه، والذاكر له قدره ومكانته عند الله.
- ❖ ليس لذكر الله عز وجل حدود فالمؤمن يذكر الله عز وجل على كل حال وفي كل حين.
- ❖ موانع الفلاح كثيرة ذكرها سبحانه في القرآن الكريم، منها: الكفر والظلم والكبائر.
- ❖ الكفر هو الستر والتغطية والكافر هو الجاحد لأنعم الله عز وجل .
- ❖ يحصل الكفر بالقول تارة وبالفعل أخرى.
- ❖ الكفر نوعان: كفر اكبر؛ وهو الموجب للخلود في النار، وكفر أصغر؛ وهو الموجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.
- ❖ أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة.
- ❖ الكفار ثلاثة أقسام: منهم من يتوب إلى الله توبة صحيحة، ومنهم من يتوب توبة فاسدة، ومنهم من يموت على كفره.
- ❖ الظلم هو التعدي عن الحق إلى الباطل وهو وضع الشيء في غير موضعه المختص به.
- ❖ الظلم محرم في جميع الشرائع السماوية، وكذلك الإعانة عليه، وقد أجمع أهل العلم على أنه من الكبائر.
- ❖ الظلم ثلاثة أنواع؛ ظلم بين الإنسان وبين ربه، وظلم بين الإنسان وغيره من الناس، وظلم بين الإنسان وبين نفسه.
- ❖ الظلم سبب في هلاك الأمم وحرمان الفلاح وهو من أعظم الذنوب عند الله تعالى.
- ❖ الخمر اسم لكل مسكر وعند البعض اسم للمتخذ من العنب والتمر.
- ❖ أجمعت الأمة على حرمة الخمر ولو قطرة ويحذُّ شاربها بل يكفر إن استحلها.

- ❖ حرم الإسلام الخمر لما فيها من الضرر على الفرد والمجتمع، حيث أنه من حكمة الإسلام إيجاد الشخصية المسلمة القوية والمجتمع الصالح.
- ❖ السحر هو مزاولة النفوس الخبيثة لأفعال وأحوال يترتب عليها أمور خارقة للعادة ولا يتعذر معارضته.
- ❖ جمهور العلماء على أن للسحر حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة.
- ❖ الربا هو الزيادة على رأس المال بغير وجه حق لا يرضاها الله عز وجل.
- ❖ أنواع الربا ثلاثة: ربا الفضل وربا النسيئة وربا اليد، وهي جميعاً محرمة.
- ❖ وردت حرمة الربا بالكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو من الكبائر المهلكة ويُكفّر مستحله.
- ❖ الربا يتنافى مع مشروع الإسلام ببناء مجتمع متكافل يقوم على الود والطمأنينة والتعاون، فضلاً عما له من أضرار أخرى من تسبب بالعداوة بين الأفراد، وخلق طبقة مترفة في المجتمع وانقطاع المعروف بين الناس.
- ❖ الربا ليس كالبيع؛ فهناك فروق واضحة لا تحتاج إلى كثير تأمل منها أن البيع قابل للربح والخسارة وليس كذلك الربا.

فهرس الآيات

رقم الصفحة	سورة الفاتحة	
41، 38، 34	﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾	❖
	سورة البقرة	
39	﴿ وَأُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴿٥٠﴾ ﴾	❖
20	﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾	❖
141	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾	❖
140	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غُشُوةٌ ﴿٧﴾ ﴾	❖
145	﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	❖
40	﴿ فَمَارِحَتْ يَحْدَرْتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾	❖
67، 49، 48	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٢٥﴾ ﴾	❖
148	﴿ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾	❖
39	﴿ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾	❖
32	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿٤١﴾ ﴾	❖
149	﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾	❖
67	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴿٦٢﴾ ﴾	❖
44	﴿ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾	❖

141	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾	❖
142	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾	❖
50	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ۖ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾	❖
173،171	﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴿١٠٢﴾ ﴾	❖
174	﴿ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴿١٠٢﴾ ﴾	❖
34	﴿ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾	❖
142	﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاسْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾	❖
145	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾	❖
112	﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾	❖
67	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٣﴾ ﴾	❖
38	﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ ﴿١٦٣﴾ ﴾	❖
123	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴿١٥٥﴾ ﴾	❖
126 ،49	﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾	❖
49	﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾	❖
39	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴿١٥٩﴾ ﴾	❖
123	﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴿١٧٧﴾ ﴾	❖

41	﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾	❖
116	﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴿٢١٧﴾﴾	❖
88	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٢٨﴾﴾	❖
55	﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾	❖
44	﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾	❖
38	﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾	❖
55	﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾	❖
189	﴿عَادُوا لَوَلِيِّكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾	❖
185، 179، 188	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ ﴿٢٧٥﴾﴾	❖
180، 177، 189	﴿يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّادَّةَ ﴿٢٧٦﴾﴾	❖
189، 179	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾	❖
189	﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ ﴿٢٧٩﴾﴾	❖
سورة آل عمران		
46	﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾﴾	❖
91	﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾	❖
49	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ ﴿٤٥﴾﴾	❖

52	﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٧٢﴾	❖
37	﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ۝٨٦﴾	❖
144	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٨٩﴾	❖
144	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّاكُوتُونَ ۝٩٠﴾	❖
144	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ۝٩١﴾	❖
144	﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ ۝٩١﴾	❖
100، 101، 102	﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾	❖
104	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۝١١٠﴾	❖
126	﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ۝١٢٥﴾	❖
160	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٣٠﴾	❖
126	﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝١٤٦﴾	❖
42	﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۝١٦٠﴾	❖
54	﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٧١﴾	❖
141	﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٧﴾	❖

28	﴿ إِنَّمَا نُعَمِّدُ لَهُمْ لِيَرْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١٧٨)	❖
29، 28، 27	﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١٨٥)	❖
29، 28	﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٨٨)	❖
121، 109	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢٠٠)	❖
	سورة النساء	
29	﴿ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٣)	❖
40	﴿ وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (٦٦)	❖
148، 77	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (٤١)	❖
40	﴿ هُنَّ لَآءٍ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ (٥١)	❖
94	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (١٥)	❖
38	﴿ وَلَهَدَيْتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (٦٨)	❖
29	﴿ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧٣)	❖
53	﴿ وَلَئِنْ أَصْبَحْتُمْ فَضَّلُ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٧٣)	❖
29	﴿ وَلَئِنْ أَصْبَحْتُمْ فَضَّلُ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ (٧٣)	❖
141	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّلَعُوتِ ﴾ (٧٦)	❖
54	﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٢)	❖
149	﴿ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴾ (٨٥)	❖

114	﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ ۝١٥﴾	❖
53	﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾	❖
9، 6	﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ۝١١١﴾	❖
49	﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١١٨﴾	❖
132، 88	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾	❖
179	﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ ۝١١٦﴾	❖
54	﴿فَسَيُجْزِيهِمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ۝١٧٥﴾	❖
	سورة المائدة	
67	﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْآيَاتِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ۝٥﴾	❖
58	﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ۝١٦﴾	❖
110، 109	﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣٥﴾	❖
149	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ۝٣٨﴾	❖
63	﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ۝٤١﴾	❖
96	﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٥٤﴾	❖
98	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۝٧٨﴾	❖
161، 160	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ	❖

	لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾	
167	﴿وَيَصِدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾	❖
13	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴿١١٩﴾﴾	❖
29	﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾	❖
57	﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾	❖
	سورة الأنعام	
158	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾	❖
20	﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٦١﴾﴾	❖
9	﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴿٣١﴾﴾	❖
139	﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾	❖
148	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾	❖
39	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدِ ﴿٩٠﴾﴾	❖
9	﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾	❖
12	﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾	❖
	سورة الأعراف	
148	﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿١﴾﴾	

36	﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (٤٢)	❖
50	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ (٥٧)	❖
171، 170	﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ (١١٣)	❖
166، 91	﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (١٥٧)	❖
91	﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (١٥٨)	❖
104	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾ (١٦٥)	❖
88	﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (١٧٠)	❖
140	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾ (١٧٩)	❖
سورة الأنفال		
68، 64	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٢)	❖
112	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴾ (١٥)	
150	﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢٥)	❖
89	﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾ (٣٥)	❖
131، 109	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاغْلُظْوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤٥)	❖
126	﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤٦)	❖
43	﴿ وَإِنْ أَسْنَصِرْكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ يَبِينُكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ (٧٢)	❖

	سورة التوبة	
112	﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ﴾ (١٩)	❖
48	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٢٠)	❖
57، 48	﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢١)	❖
162	﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ۖ ﴾ (٢٨)	❖
112	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ ﴾ (٢٨)	❖
75	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٦٠)	❖
103	﴿ الْمُتَنَفِقُونَ وَالْمُتَنَفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ (٦٧)	❖
103	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٧١)	❖
58	﴿ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٢)	❖
119	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جُنْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ ﴾ (٧٣)	❖
110	﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ﴾ (٨١)	❖
110	﴿ لَنِكَرِ الْرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨٨)	❖
29	﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٨٩)	❖
77، 75، 74، 78	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ ﴾ (١٠٣)	❖

112	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآبٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ ۖ﴾	❖
12	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾	❖
101	﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾	❖
	سورة يونس	
48	﴿النَّاسُ وَشِرِّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾	❖
36	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾	❖
157	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾	❖
31	﴿فَلَمَّا أَتَجَّهُمُ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾	❖
53	﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾	❖
55	﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾	❖
48	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾	❖
46	﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يُبْدِلُ إِلَٰهٌ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	❖
19	﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾	❖
32	﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ ءَايَةً﴾	❖
68	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾	❖
32	﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾	❖

	سورة هود	
157	﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾	❖
7	﴿وَلَا تَعْفُرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾	❖
157	﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّي إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾	❖
150	﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ ﴿١١٣﴾﴾	❖
	سورة يوسف	
7	﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الدِّثْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾	❖
67، 62	﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾	❖
20	﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾	❖
54	﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾	❖
40	﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَفَنِي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾﴾	❖
32	﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴿٨٠﴾﴾	❖
	سورة الرعد	
39، 36	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾	❖
	سورة إبراهيم	
49	﴿قُلْ نَسْتَعُوذُ بِكَ مِنْ مَصِيرِكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾	❖
	سورة الحجر	

128	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	❖
12	﴿ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾	❖
	سورة النحل	
39	﴿ وَعَلَّمْتَ ^٤ وَبِالْتَّجِيمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾	❖
37	﴿ إِن تَحْرِضْ عَلَىٰ هُدًى ^٥ هُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ^٦ ﴿٣٧﴾ ﴾	❖
153	﴿ وَإِذَا رَأَوْا ^٧ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾	❖
152	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴿٩٠﴾ ﴾	❖
126	﴿ بَاقٍ ^٨ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾	❖
125	﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ^٩ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴿١٢٧﴾ ﴾	❖
	سورة الإسراء	
39	﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾	❖
81	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾	❖
84	﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ ﴾	❖
31	﴿ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَنَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾	❖
51	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْ ^{١٠} وَالْبَحْرِ ﴿٧٠﴾ ﴾	❖
53	﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ ^{١١} إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾	❖
39	﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ﴿٩٤﴾ ﴾	❖

	سورة الكهف	
39	﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ۖ﴾ (٥٥)	❖
64	﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا﴾ (١١٠)	❖
	سورة مريم	
77	﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (١٣)	❖
32	﴿وَنَذِّنُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (٥٢)	❖
123	﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ يَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٦٥)	❖
39	﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلَيْتُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ (٦١)	❖
145	﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ (١٠)	❖
	سورة طه	
40	﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (١٠)	❖
40، 35	﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ۖ ثُمَّ هَدَى﴾ (٥٠)	❖
170	﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (١٦)	❖
173، 160	﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (١٦)	❖
40	﴿وَلِيَّ لَعْفَارٍ ۖ لَمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٢)	❖
	سورة الأنبياء	
45	﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾	❖

	وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾	
35	﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴿٧٣﴾﴾	❖
124	﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾	❖
90	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾	❖
	سورة الحج	
141	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٢﴾﴾	❖
141، 35	﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾	❖
8	﴿خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾	❖
43	﴿مَن كَانَ يَظُنْ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿١٥﴾﴾	❖
101	﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾	❖
47	﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾	❖
106، 44	﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّكَ لَمِنَ الْقَوِيَّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾	❖
104	﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴿٤١﴾﴾	❖
39	﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾	❖
140	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴿٧٢﴾﴾	❖
	سورة المؤمنون	
61، 19	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾	❖

69	﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾	❖
72	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾	❖
75 ، 74	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾	❖
79	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرْآنِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾﴾	❖
82	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾	❖
85	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾	❖
139	﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾	❖
9	﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٣﴾﴾	❖
	سورة النور	
55	﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾	❖
55	﴿وَلَا يَأْتَلِي أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴿١٢﴾﴾	❖
162	﴿الْحَيْثُ الثُّ لِّلْحَيْثَيْنِ وَالْخَيْثُ ثُ لِّلْخَيْثَيْنِ ﴿٦٦﴾﴾	❖
	سورة الفرقان	
127	﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾	❖
	سورة الشعراء	
44	﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكَ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾﴾	❖
173	﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾	❖

8	﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ (١٨١)	❖
	سورة النمل	
38	﴿ وَجَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُظُومًا ﴾ (١٤)	❖
30	﴿ وَأَنْجِئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ ﴾ (٥٣)	❖
37	﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ﴾ (٨١)	❖
	سورة القصص	
20	﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣٧)	❖
39	﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢٢)	❖
158	﴿ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٠)	❖
36	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٥٦)	❖
20 ، 19	﴿ وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٢)	❖
	سورة العنكبوت	
142	﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ (٢٥)	❖
31	﴿ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبَاتِ ﴾ (٣٣)	❖
152	﴿ إِنَّكَ الصَّكُوءُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ (٤٥)	❖
115	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦١)	❖
	سورة الروم	

177	﴿ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ رَبِّكَ لِيُوقُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوُا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٣٩)	❖
	سورة لقمان	
154	﴿ يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣)	❖
123	﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٧)	❖
	سورة الأحزاب	
90	﴿ الَّذِينَ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (٦)	❖
94 ، 90	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٦١)	❖
81	﴿ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظِينَ ﴾ (٣٥)	❖
90	﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٤٠)	❖
54 ، 49	﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ (٤٧)	❖
27	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١)	❖
	سورة فاطر	
53	﴿ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢)	❖
154	﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ﴾ (٣٢)	❖
	سورة يس	
48	﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَوَّيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَتَرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ (١١)	❖
	سورة الصافات	

40، 35	﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ (٢٣)	❖
43	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ (٣٥)	❖
	سورة ص	
124	﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٤٤)	❖
	سورة الزمر	
7	﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ (١٥)	❖
47	﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ (١٧)	❖
7	﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١٥)	❖
	سورة غافر	
32	﴿ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ (٤١)	❖
39	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴾ (٥٣)	❖
	سورة فصلت	
38، 34	﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ (١٧)	❖
47	﴿ إِنَّ الَّذِيكَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ (٣٠)	❖
103	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (٣٣)	❖
	سورة الشورى	
28	﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣٦)	❖

158	﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠)	❖
45	﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤١)	❖
154	﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (٤٢)	❖
95، 36	﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢)	❖
	سورة محمد	
36	﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ (٥)	❖
42	﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْهُمْ وَيُنِيبَتْ أَقْدَامُكُمْ﴾ (٧)	❖
38، 36	﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَتْهُمْ نَفْسُهُمْ﴾ (١٧)	❖
	سورة الفتح	
57	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (١٨)	❖
57	﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ (٢٩)	❖
	سورة الحجرات	
64، 63	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ (١٤)	❖
	سورة الطور	
158	﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٧)	❖
	سورة القمر	
45، 43	﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ (١٠)	❖

	سورة الرحمن	
8 ، 7	﴿ وَأَقِيمُوا الزُّكُوتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْاِمْرَانَ ﴿١﴾ ﴾	❖
	سورة الحديد	
71	﴿ اَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴿١٦﴾ ﴾	❖
142	﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَسِيحُ فَرَدُّهُ مُصْفًى ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴿٢٠﴾ ﴾	❖
42	﴿ وَلَيَعْلَمَ اللّٰهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ اِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾	❖
57	﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴿٢٧﴾ ﴾	❖
52	﴿ وَاِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾	❖
	سورة المجادلة	
31	﴿ يَتَأْتِيهَا الدِّينُ ءَامِنًا اِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجُّوْا بِالْاِيْمِ وَالْعُدُوْنَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُوْلِ ﴿١﴾ ﴾	❖
64	﴿ اُولٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْاِيْمَنَ ﴿٢٢﴾ ﴾	❖
	سورة الحشر	
182	﴿ لَا يَكُوْنُ دُوْلَةٌ بَيْنَ الْاَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴿٧﴾ ﴾	❖
17	﴿ وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهٖ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴿١﴾ ﴾	❖
44	﴿ وَلَٰٓنْ قُوْلَتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَ ﴿١١﴾ ﴾	❖
	سورة الصف	
102	﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ اَنْ تَقُوْلُوْا مَا لَا تَفْعَلُوْنَ ﴿٢﴾ ﴾	❖

112	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْنِتُونَ فِي سَبِيلِهِ ۖ صَفًا ۝﴾	❖
166	﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝﴾	❖
90	﴿وَمُبَشِّرًا يُبَشِّرُ الْغَايِبَ ۚ بَعْدَ أَسْمَاءَ ۖ أَخَذَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝﴾	❖
39	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝﴾	❖
29	﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾	❖
42	﴿وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرَ اللَّهِ وَفَتْحَ قُرَيْبٍ ۚ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾	❖
42	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِثِ ۚ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ مَشْرِقًا ۝﴾	❖
	سورة الجمعة	
53	﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝﴾	❖
53	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ۚ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ مَعَهُ ۝﴾	❖
132	﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾	❖
	سورة التغابن	
29	﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾	❖
36	﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾	❖
17	﴿وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾	❖
	سورة القلم	
10	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾	❖

	سورة نوح	
140	﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصِعُهُمْ فِي آءَآذَانِهِمْ ﴿٧﴾﴾	❖
	سورة القيامة	
88	﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَٰ ﴿٢١﴾﴾	❖
	سورة الإنسان	
127	﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾	❖
	سورة النبأ	
29	﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَآرًا ﴿٣١﴾﴾	❖
29	﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَآبًا ﴿٣٢﴾﴾	❖
	سورة المطففين	
8 ، 7 ، 6	﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾	❖
	سورة البروج	
27	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾	❖
	سورة الأعلى	
19	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾﴾	❖
	سورة الشمس	
77 ، 19	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾	❖

	سورة الليل	
40، 34	﴿إِنَّا عَلَّمْنَا لِّلْهُدَىٰ ۝١٢﴾	❖
	سورة الضحى	
40	﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾	❖
	سورة العلق	
15	﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٢﴾	❖
40	﴿أَنزَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝١١﴾	❖
	سورة البينة	
64	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ۝٥﴾	❖
	سورة العصر	
6	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢﴾	❖
	سورة النصر	
42	﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾	❖

فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	طرف الحديث	
3	فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح	❖
10	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	❖
11	ما من شيء أثقل في الميزان	❖
15	ما نقص مال عبد من صدقة	❖
15	أي الصدقة أفضل؟ قال جهد المقل	❖
15	إن ربكم حيي كريم	❖
16	ما بقي منها؟	❖
18	إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح	❖
21	أول ما يحاسب به العبد بصلاته	❖
21	الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق	❖
21	يا جبريل ما هذا؟	❖
22	إن لكل عمل شره ولكل شره فترة	❖
22	أنا أفرطكم على الخوض فمن ورد فقد افلح	❖
22	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الكي	❖
22	ويل لأصحاب المئين	❖
23	قد افلح من اخلص قلبه	❖
23	يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا	❖
23	الخير في نواصيها الخير	❖

27	❖	وموضع سوط أحدكم في الجنة
28	❖	من أحب أن يزحزح عن النار
46	❖	هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم
55	❖	إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة
64	❖	أمرت أن أقاتل الناس
64	❖	يا معشر من امن بلسانه
70	❖	وجعلت قره عيني في الصلاة
70	❖	يا بلال أرحنا بالصلاة
70	❖	ألا إن في الجسد مضغة
71	❖	ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة
82	❖	آية المنافق ثلاث
83	❖	لا إيمان لمن لا أمانة له
87	❖	كان آخر كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة
87	❖	رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة
88	❖	خمس صلوات افترضهن الله على عباده
91	❖	متى الساعة؟ قال له الرسول صلى الله عليه وسلم ما أعددت لها؟
92	❖	كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر
100	❖	من رأى منكم منكرا فليغيره
107	❖	إن الناس إذا رأوا الظالم
107	❖	مروا بالمعروف وانهموا عن المنكر

107	مثل القائم على حدود الله	❖
113	سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل	❖
113	لا تفعل فان مقام أحدكم في سبيل الله	❖
114	أولا أدلك على رأس الأمر وعموده	❖
114	أي الناس أفضل فقال رجل يجاهد في سبيل الله	❖
114	ألا أخرجكم بخير الناس منزلا	❖
114	مثل المجاهد في سبيل الله	❖
115	إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين	❖
115	تظمن الله لمن خرج في سبيله	❖
118	من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا	❖
122	ليس أحد أو ليس شيء	❖
124	الصبر عند الصدمة الأولى	❖
132	سبق المفردون	❖
132	من دخل سوقا من الأسواق	❖
133	لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله	❖
138	اثنتان في الناس هما بهم كفر	❖
138	لا ترجعوا بعدي كفارا	❖
149	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي	❖
150	انصر أخاك ظالما أو مظلوما	❖
152	الظلم ثلاثة	❖

155	مطل الغني ظلم	❖
157	الظلم ظلمات يوم القيامة	❖
157	واتقي دعوة المظلوم	❖
157	إن الله ليملي للظالم	❖
162	شارب الخمر كعابد الوثن	❖
163	لعن الله الخمر وشاربها	❖
164	كل مخمر خمر وكل مسكر حرام	❖
170	إن من البيان لسحرا	❖
174	اجتنبوا السبع الموبقات	❖
182	لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله	❖
182	الربا سبعون حوبا	❖
182	الربا بضع وسبعون بابا	❖
184	حرمة مال المؤمن كحرمة دمه	❖
186	الذهب بالذهب والفضة بالفضة	❖
195	أرحم هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر	❖
195	إن الله وعدني إن يدخل الجنة أربعمئة ألف	❖
200	ما زلنا أعزّ من ذلك أسلم عمر	❖
201	لقد كان في الأمم ناسٌ محدثون	❖
201	وآفقت ربي في ثلاث	❖
201	ما نزل الناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر	❖

206	❖	مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ
206	❖	ما على عثمان ما فعل بعد اليوم
207	❖	مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ
210	❖	اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ
211	❖	مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ
212	❖	إِنْ إِخْوَانَكُمْ قَدْ تَرَكَوا الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ
212	❖	قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا
213	❖	من يردهم عنا وله الجنة
213	❖	أَقْسَمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ
214	❖	دعا النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار أن يقطع لهم البحرين

المصادر والمراجع

- ❖ ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد، متوفى سنة 281هـ، ذمُّ المُسكر، ط1، 1409هـ، دار الراية، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ❖ ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد، متوفى سنة 235هـ، مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، ط1، 1409هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ❖ ابن الأثير: علي بن محمد الجزري، متوفى سنة 630هـ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، 1423هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان
- ❖ ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، متوفى سنة 606هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ط1، 1422هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان
- ❖ ابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي، بستان الواعظين ورياض السامعين، ط1، 1422هـ، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان
- ❖ ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، صفة الصفوة،
- ❖ ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ط1، 1421هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن بن علي، متوفى سنة 597هـ، زاد المسير في علم التفسير، ط4، 1407هـ، المكتب الاسلامي، بيروت.
- ❖ ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1412هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ❖ ابن الرسام: احمد بن أبي بكر بن احمد بن علي الحموي، متوفى سنة 844هـ، معاد الجواهر في فضل الذكر والذاكر، ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
- ❖ ابن الشجري: علي بن محمد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، ط1، 1317هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- ❖ ابن القيم: محمد بن أبي بكر الدمشقي، متوفى سنة 751هـ، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط1، 1424هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان
- ❖ ابن القيم: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، متوفى سنة 751هـ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، د.ط، المكتبة القيمة، القاهرة - مصر
- ❖ ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام، عالم الكتب، بيروت - لبنان
- ❖ ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ط1، 1418هـ، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان
- ❖ ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط1، 1416هـ، دار الحديث، القاهرة - مصر
- ❖ ابن القيم: محمد بن أبي بكر، متوفى سنة 751هـ، الداء والدواء، ط3، 1419هـ، دار ابن الجوزي، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ❖ ابن القيم: محمد بن أبي بكر، متوفى سنة 751هـ، بدائع الفوائد، ط1، 1414هـ، دار الخير
- ❖ ابن القيم: محمد بن أبي بكر، متوفى سنة 751هـ، الفوائد، ط1، 1423هـ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان.
- ❖ ابن الملقن: عمر بن علي بن أحمد، عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج، ط2001م، دار الكتاب - الأردن.
- ❖ ابن تيمية: أحمد عبد الحليم، مجموعة الفتاوى، ط3، 1419هـ، دار الوفا.
- ❖ ابن تيمية: شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم، متوفى سنة 728هـ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط1، 1422هـ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان
- ❖ ابن حبان: محمد بن يوسف، متوفى سنة 745هـ، تفسير البحر المحيط، ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- ❖ ابن حجر: أحمد بن علي، متوفى سنة 852هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، ط2، 1423هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- ❖ ابن حزم: علي بن احمد، متوفى سنة 456هـ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1405هـ، دار الجيل، بيروت - لبنان
- ❖ ابن خلدون: عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، ط1، 1413هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ❖ ابن رجب: عبد الرحمن بن احمد بن رجب، متوفى سنة 795، الخشوع في الصلاة، مكتبة المصطفى.
- ❖ ابن سعد: محمد، الطبقات الكبرى، 1414هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان
- ❖ ابن عابدين: محمد أمين بن عمر، حاشية ابن عابدين (رد المختار على الدر المختار) ط1، 1421هـ، دار الثقافة والتراث، دمشق - سوريا.
- ❖ ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، متوفى سنة 463هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط2، 1422هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ ابن عجيبة: أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ط1، 1423هـ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- ❖ ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ ابن قدامة: عبد الله بن حمد بن محمد المقدسي، المتوفى سنة 620هـ، المغني، 1425هـ، دار الحديث، القاهرة - مصر.
- ❖ ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط1، 1425هـ، دار عالم الكتب، بيروت - لبنان.
- ❖ ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية
- ❖ ابن ماجة: القزويني: محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ط1، 1417هـ، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية
- ❖ ابن مسكويه: أحمد بن محمد بن يعقوب، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الثقافة الدينية.

- ❖ ابن مفلح: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد، المبدع شرح المقنع، ط1، 1418هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ ابن مفلح: محمد بن مفلح، 763هـ، الآداب الشرعية، ط1، 1416هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان
- ❖ ابن منددة: محمد بن اسحق بن يحيى، الإيمان، ط4، 1421هـ، دار ابن حزم، بيروت - دار الفضلية
- ❖ ابن منظور: جمال الدين بن مكرم، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، ط1، 1413هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ ابن منظور: جمال الدين بن مكرم، متوفى سنة 711هـ، لسان العرب، ط3، دار إحياء التراث العربي. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.
- ❖ ابن هشام: عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، 1424هـ، دار الحديث القاهرة - مصر
- ❖ أبو حامد محمد بن محمد، متوفى سنة 505هـ، إحياء علوم الدين، ط3، 1423هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
- ❖ أبو غزالة: محمد حلمي، يسألونك عن الخمر، ط1983م، دار الأرقم، عمان.
- ❖ احمد بن ناصر العمار، حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط1، 1417هـ، دار اشبيليا
- ❖ الأزدي: محمد بن عيسى بن محمد، متوفى سنة 620هـ، الإنجاد في أبواب الجهاد، ط1، 1415هـ، دار الإمام مالك، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة. مؤسسة الريان - بيروت - لبنان
- ❖ الأصفهاني: أحمد بن عبد الله، متوفى سنة 430هـ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط2، 1423هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار القلم، دمشق - سوريا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ إطفيش: محمد بن يوسف، تيسير التفسير، مكتبة الضامري، عُمان.

- ❖ الأحمري: سعيد بن عبد الرحمن، حكمة تحريم الخمر في الإسلام، ط1، 1405هـ، مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية
- ❖ الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط1415هـ، مكتبة دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ❖ الألوسي: شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ الإمام الشافعي: محمد بن ادريس، متوفى سنة 204هـ، الرسالة، ط1، 1985م، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة - مصر.
- ❖ الأهدل: عبد الله بن أحمد قادري، وقاية المجتمع من تعاطي المسكرات المخدرات، ط1، 1410هـ، المملكة العربية السعودية
- ❖ أيوب: حسن، فقه العبادات، ص346، ط2، 1423هـ، دار السلام.
- ❖ البازوي: محمد علي، الغيب والشهادة من خلال القرآن، ط1، 1407هـ، دار القارئ، بيروت - لبنان.
- ❖ بدرية بنت سعود بن محمد البشر، فقه إنكار المنكر، ط1، 1421هـ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان
- ❖ البزار: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، متوفى سنة 292هـ، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، 1422هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية
- ❖ بسيولي: عبد الفتاح فيود، من هدي القرآن، ط1، 1409هـ، مطبعة السعادة، مصر
- ❖ البصري: ابو الحسين، المعتمد، ط1384هـ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق سوريا.
- ❖ البغوي: الحسين بن مسعود الفراء، متوفى سنة 516هـ، معالم التنزيل، ط1، 1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
- ❖ البقاعي: إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 1398هـ.

- ❖ البلخي: مقاتل بن سليمان، الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، ط2، 1395هـ،
الهيئة المصرية العامة للكتب
- ❖ البنعلي: أحمد بن حجر، تطهير المجتمعات من أنجاس الموبقات، ط 1985، مكتبة
ابن تيمية، الكويت
- ❖ البيهقي: أحمد بن الحسين ابن علي بن موسى، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد،
ط1، 1420هـ، دار ابن حزم - بيروت، دار الفضيلة - الرياض.
- ❖ البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، ط 1420، دار الكتب
العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، ط1، 1421هـ، دار الكتب
العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ الجرجاني: علي بن محمد بن الحسين الحنفي، التعريفات، ط1، 1421هـ، دار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ جمعة: أحمد خليل، الصدق والصادقون في القرآن العظيم والسنة النبوية، ط1،
1415هـ، دار الكلم، دمشق، سوريا.
- ❖ الجمل: سليمان بن عمر العجلي، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق
الخفية، ط1، 1416هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ الجوهرى: إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية، ط1،
1420هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ الحسين: عبد اللطيف بن إبراهيم، الأمانة في الإسلام وأثرها على المجتمع، ط1،
1416هـ، دار ابن الجوزي، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ❖ الحقييل: سليمان بن عبد الرحمن، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء
الكتاب والسنة، ط1، 1417هـ
- ❖ الحقييل: سليمان بن عبد الرحمن، دليل المعلم إلى توعية الطلاب بأضرار الخمر
والمخدرات، ط3، 1414هـ، الرياض - المملكة العربية السعودية

- ❖ الحلبي: نور الدين بن إبراهيم، السيرة الحلبية، ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية - بيروت
- ❖ الحوفي: محمد احمد، الجهاد، 1389هـ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
- ❖ حوى: سعيد، جند الله ثقافة وأخلاقاً، ط3، 1424هـ، دار السلام، القاهرة — مصر.
- ❖ خالد عثمان السبت، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه، ط1، 1415هـ، المنتدى الإسلامي، لندن
- ❖ الخالدي: صلاح عبد الفتاح، تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد، ط1، 1419هـ، دار النفائس، عمان - الأردن
- ❖ الخالدي: صلاح عبد الفتاح، في ظلال الإيمان، ط3، 1415هـ، دار القلم، دمشق - سوريا.
- ❖ الخزندار: محمود محمد، هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، ط5، 1420هـ، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية
- ❖ الخطيب: عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، د.ط، دار الفكر العربي.
- ❖ الدارقطني: علي بن عمر، متوفى سنة 385هـ، سنن الدارقطني، ط1، 1424هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان
- ❖ الدامغاني: الحسين بن محمد، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، ط1، 1419هـ، مكتبة دار الفارابي، دمشق - سوريا.
- ❖ الدرة: محمد بن عطية، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانها، ط1408، دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق - سوريا.
- ❖ الدينوري: عبد الله بن محمد بن وهب، الواضح في تفسير القرآن الكريم، ط1، 1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ الذهبي: محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، متوفى سنة 748هـ، الكبائر، د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان

- ❖ الرازي: محمد فخر الدين، مفاتيح الغيب، ط1، 1401هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ❖ الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل، متوفى سنة 502هـ، الذريعة إلى أحكام الشريعة، ط1، 1405هـ، دار الصحوة، القاهرة - مصر.
- ❖ الزجاج: إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، ط1، 1408هـ.
- ❖ الزحيلي: وهبه، أخلاق المسلم وعلاقته بالخالق، ط1424هـ، دار الفكر، دمشق - سوريا. دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان.
- ❖ الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط1392هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة - مصر.
- ❖ الزنداني: عبد المجيد عزيز، التوحيد، ط7، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ❖ الزين: سميح عاطف، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ط4، 1422هـ، الدار الإفريقية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان.
- ❖ السجستاني: أبو داود، سليمان بن أشعث، سنن أبي داود، طبعة جديدة كاملة في مجلد واحد، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ السلمي: محمد بن الحسين بن موسى، متوفى سنة 412هـ، حقائق التفسير، ط1، 1421هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، متوفى سنة 375هـ، بحر العلوم، ط1، 1413هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ السيد سابق، فقه السنة، ط1، 1421هـ، دار الفتح، القاهرة، مصر.
- ❖ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، مطبعة معنوق وإخوانه
- ❖ الشربيني: محمد بن أحمد الخطيب، متوفى سنة 977هـ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، ط1، 1425هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- ❖ شرف الدين: جعفر، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ط1، 1420هـ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت - لبنان
- ❖ الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط1415هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ❖ الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، متوفى سنة 1250هـ، نيل الأوطار بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط1، 1422هـ، عالم الكتب، بيروت - لبنان.
- ❖ الشوكاني، فتح القدير،
- ❖ الشيباني: الإمام أحمد ابن حنبل، متوفى سنة 241هـ، المسند، ط1، 1416هـ، دار الحديث، القاهرة.
- ❖ الصاغرجي: اسعد محمد سعيد، غرض البصر وحفظ الفرج، ط1417هـ، مطبعة الشام
- ❖ الصنعاني: عبد الرزاق بن همام، متوفى سنة 211هـ، المصنف، ط2، 1403هـ، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- ❖ الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، 1418هـ، دار القلم، دمشق، سوريا.
- ❖ الطحاوي: أصول العقيدة الإسلامية للطحاوي، شرح علي بن أبي العز الأذري، ط1، 1407هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ❖ الطريحي: فخر الدين، مجمع البحرين، ط1، 1416هـ، مؤسسة البعثة.
- ❖ طنطاوي: محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة - مصر.
- ❖ طهماز: عبد الحميد محمود، من موضوعات سور القرآن الكريم، ط1، 1417هـ، دار القلم، دمشق - سوريا.
- ❖ عارف: مذكر محمد، الصدق في القرآن الكريم، ط1، 1419هـ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ❖ عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط1، 1420هـ، مؤسسة التاريخ، لبنان

- ❖ عباس: فضل حسن، خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمانة، ط1، 1410هـ، دار البشير، عمان-الأردن.
- ❖ عبده: غالب عيس، أضواء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط1، 1407هـ، دار الجليل، بيروت-لبنان.
- ❖ عثمان: عبد الرؤوف محمد، محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع، ط1، 1414هـ، وكالة الطباعة والترجمة، الرياض، المملكة العربية السعودية
- ❖ العز بن عبد السلام: عز الدين بن عبد العزيز: متوفى سنة 660هـ، تفسير القرآن، ط1، 1416هـ، دار ابن حزم، المملكة العربية السعودية
- ❖ العسقلاني: احمد بن حجر، متوفى سنة 852هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط4، 1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان
- ❖ العطية: درية، فقه العبادات على المذهب الشافعي، 1409هـ، مطبعة الصباح، دمشق-سوريا.
- ❖ عفيفي: محمد عبده، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، ط1، 1408هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية
- ❖ غاوجي: وهبي سليمان، أركان الإسلام، ط1، 1423هـ، دار البشائر الاسلامية، بيروت - لبنان.
- ❖ الغزالي: محمد بن محمد، خلق المسلم، ط8، دار الكتب الحديثة، القاهرة-مصر
- ❖ الغزالي: محمد محمد، أدب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، د.ط، مطبعة العاني بغداد.
- ❖ الفراهيدي: الخليل بن أحمد، العين، ط1، 1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- ❖ الفيروزآبادي: مجد الدين محمد يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- ❖ الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، ط1، المطبعة الخيرية، القاهرة-مصر.

- ❖ القرضاوي: يوسف عبد الله، الصبر في القرآن الكريم، ط10، 1417هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان
- ❖ القرضاوي: يوسف عبد الله، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ط1، 1421هـ، دار الشروق، القاهرة- مصر.
- ❖ القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ط1424هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
- ❖ القرني: عائض بن عبد الله، الإسلام وقضايا العصر، ط1، 1421هـ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان.
- ❖ القرني: عائض بن عبد الله، إلى الذين أسرفوا على أنفسهم، ط1، 1421هـ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان.
- ❖ القرني: عائض بن عبد الله، بيت أسس على التقوى، ط1، 1421هـ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان.
- ❖ القرني: عائض بن عبد الله، مجتمع المثل، ط1، 1420هـ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان.
- ❖ القرني: عائض بن عبد الله، نظرات حول بعض الآيات، ط1، 1424هـ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان.
- ❖ القشيري: عبد الكريم بن هوازن، متوفى سنة 465هـ، الرسالة القشيرية، 1422هـ، دار الكتب العلمية.
- ❖ قطب: سيد، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط3، 1952 م، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة.
- ❖ قطب: سيد، في ظلال القرآن، ط10، 1402هـ، دار الشروق، بيروت، لبنان.
- ❖ القليوبي: شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة، وعميرة: شهاب الدين أحمد البرلسي، حاشيتا القليوبي وعميرة، ط2، 1424هـ، دار الكتب العلمية- لبنان.
- ❖ كرار: عباس، أركان الإسلام، ط1، 1386هـ، دار مصر للطباعة- مصر

- ❖ الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، ط2، 1413هـ ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان
- ❖ اللالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ط1، 1423هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ❖ الماوردي: علي بن محمد بن حبيب البصري: متوفى سنة 450هـ ، النكت والعيون، د.ط، دار الكتب العلمية، دار الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.
- ❖ الماوردي: علي بن محمد بن حبيب البصري، أدب الدنيا والدين، ط 1424هـ ، دار الكتب العالمية، بيروت - لبنان.
- ❖ الماوردي: علي بن محمد بن حبيب، الحاوي الكبير، ط1414هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان
- ❖ مجموعة التوحيد لمجموعة من العلماء منهم ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب وغيرهم، ط1413هـ، دار البيان - دمشق.
- ❖ مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد و عبد الرحمن بن محمد بن ملوح، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ط1، 1418هـ، دار الوسيلة، جدة، المملكة العربية السعودية.
- ❖ الحاميد: أحمد نصيب، الأمانة والأمناء، ط1، 1399هـ.
- ❖ المحب الطبري: أحمد بن عبد الله بن محمد، متوفى سنة 694هـ، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط1، 1996م، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان
- ❖ محمود: علي عبد الحليم، ركن الجهاد، ط1، 1415هـ، دار التوزيع والتراث الإسلامية.
- ❖ محمود: محمد حمودة، صفات عباد الرحمن في آيات من الفرقان، ط1، 2004م، مؤسسة الوارق للنشر والطباعة، عمان - الأردن.
- ❖ مخلوف: حسنين محمد، صفوة البيان لمعاني القرآن، ط3، 1407هـ ، الكويت.
- ❖ ابن مفلح: محمد بن مفلح المقدسي، الفروع، ط1، 1218هـ، دار الكتب العلمية - لبنان.

- ❖ المقدسي: عبد الله بن قدامه، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، دار الفكر، بيروت ، لبنان
- ❖ الملياري: زين الدين بن عبد العزيز بن علي المعيري، إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد، الطبعة الأخيرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة- مصر
- ❖ المناوي: محمد عبد الرؤوف المناوي، متوفى سنة 1013هـ، التوقيف على مهمات التعاريف، إعادة الطبعة الأولى 1423هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سوريا.
- ❖ الميداني عبد الرحمن حسن، تدبر سورة الفرقان، ط1، 1412هـ ، دار القلم، دمشق- سوريا.
- ❖ الميداني: عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأساسها، ط3، 1413هـ، دار القلم، دمشق — سوريا
- ❖ النسفي: عبد الله بن أحمد، متوفى سنة 710هـ ، تفسير النسفي (المسمى مدارك التنزيل)، ط1، 1416هـ ، دار النفائس، بيروت- لبنان.
- ❖ النووي: محي الدين يحيى بن شرف النووي، متوفى سنة 676هـ، الأذكار من كلام سيد الأبرار ط1، 1425هـ، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية.
- ❖ النيسابوري: إسماعيل بن أحمد الحيري، وجوه القرآن الكريم، ط1، 1996م ، دار السقا، دمشق- سوريا.
- ❖ الهاللي: سليم عبد الله، الخشوع وأثره في بناء الأمة، ط1، 1410هـ ، دار ابن الجوزي، السعودية.
- ❖ الهيثمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ط1، 1407هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- ❖ الهيثمي: احمد بن محمد بن علي بن حجر، تحفة المحتاج بشرح المنهاج، ط1، 1421هـ، دار الكتب العلمية، لبنان.
- ❖ الواحدي: علي بن أحمد بن محمد بن علي، متوفى سنة 468هـ، أسباب نزول القرآن، ط1، 1426هـ، دار الميمان، الرياض، المملكة العربية السعودية

- ❖ الوطواط: برهان الدين الكبتي، غرر الخصائص الواضحة، كتاب في السخاء، باب ذكر الأجواد المعروفين ببذل الأموال، دار صعب، بيروت - لبنان
- ❖ يحيى بن سلام، التصاريف تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، ط1997، الشركة التونسية للتوزيع.
- ❖ يماني: محمد عبده، علموا أولادكم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ط4، 1409هـ، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، المملكة العربية السعودية. مؤسسة علوم القرآن دمشق - سوريا.